سلسلة اللؤلؤ والمرجان (٦)

# الوصايا النبوية

(الجزء الأول)


تأليف

«أبو إسلام رَحِمَهُ اللَّهُ»

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن – عمان



مكتبة الغرباء

الموزعون

مكتبة الغربــــــــــــــــــــاء

٠٠٩٦٢٧٩٨٣٠٨٠٢٠

٠٠٩٦٢٧٩٥٢٢٠٢٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا ألله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

**أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، لقد صدر من (سلسلة اللؤلؤ والمرجان)، التي كتبها الشيخ صالح طه -أبو إسلام- رحمه الله ثلاثة أجزاء مطبوعة وهي:

١- ثمرات السيرة النبوية.

٢- البشارات النبوية.

٣- المعجزات النبوية.

وها هو الجزء الرابع بعنوان: (الوصايا النبوية) الذي يشتمل على ثمانين وصيةٍ من وصايا النبي ﷺ والتي كان يجعلها على صورة خطبٍ يخطب بها يوم الجمعة وقد أتم الشيخ -رحمه الله تعالى- ثماني وثلاثين وصية قبل أن تعاجله المنية، ويلقى ربه، وكان يُمنّي النفس أن يطيل الله تعالى في عمره -رغم المرض الذي كان يعاني منه- حتى يتم ثمانين وصية، فرأيت أن من البر أن أحقق له ما تمنى، وأُكمل هذه الوصايا إلى الثمانين، ولقد بذلت في ذلك جهداً أحتسبه عند الله تعالى، وأرجو أن يكون هذا العمل في ميزان حسناته يلقى به ربَّه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

واللهَ أسأل أن يتغمد زوجي الشيخ -أبا إسلام- بواسع رحمته، وأن ينفع بهذا الكتاب المسلمين عامة، وطلبةَ العلمِ خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**وكتبته**

**أم إسلام**

**في ١٥ من شهر رجب سنة ١٤٤٢هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلةُ مواعظَ بعنوان: الوصايا النبوية.

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وَأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

**أما بعد:**

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكُل بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

يقولُ الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١].

ما زلنا في صدد الحديثِ عن سلسلة الخطبِ والمواعظِ التي بعنوان: قصص

القرآنِ الكريم، التي تتكون من أربعة أجزاء.

• **الجزءُ الأول:** «**الفرقان من قَصص القرآن**» والذي تكلمنا فيه عن قصصِ القرآن من غيرِ قصص الأنبياءِ، كقصةِ قارونَ، وصاحب الجنتين وسبأ... وغيرهِم.

• **الجزء الثاني:** «**البيانُ من قصص القرآن**»، والذي تكلمنا فيه عن قصص الأنبياءِ من غير أولي العزم، كقصةِ آدمَ، وسليمانَ ويوسفَ عليهم السلام وغيرها.

• **الجزء الثالثُ:** «**البرهان من قَصصِ القرآن**»؛ والذي تكلمنا فيه عن قصص أولي العزم من الرُّسل: قصةِ نوحٍ، وقصةِ إبراهيمَ، وقصةِ موسى، وقصة عيسى عليهم السلام.

• **الجزء الرابع:** «**اللؤلؤ المرجان من قصص القرآن**»، والذي سنتكلم فيه إن شاءَ اللهُ تعالى عن قصة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الجزءُ سيكونُ على مراحل.

• **المرحلة الأولى:** وقد تكلمنا فيها عن «**ثمرات السيرةِ النبويةِ**».

• **المرحلة الثانية:** وقد تكلمنا فيها عن «**البشارات النبوية**».

• **المرحلة الثالثة:** وقد تكلمنا فيها عن «**المعجزات النبوية**».

• **المرحلة الرابعة:** وهي التي سنتكلم فيها إِن شاء الله تعالى عن «**الوصايا النبوية**».

• الوصايا النبويةُ مَن أخذها، وَعَمِلَ بمقتضاها سَعِدَ في الدنيا والآخرة، وكان من الفائزين السعداءَ أتدرونَ لم يا عباد الله؟

**أولاً: لأنها -الوصايا النبوية- خَرَجَتْ من محمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً.**

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

وأَمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يُعلنَ ذلك على الناسِ فقالَ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

**ثانياً: لأنّها خرجَتْ ممن لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.**

قالَ تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ].

**ثالثاً: لأنها خَرجَتْ من نبيّ الرحمة:**

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء].

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[١].

ولما قيل لهُ: يا رسولَ اللهِ! ادعُ على المشركين، قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[٢].

بل كان ﷺ يقول: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه الدارمي (١٧)، والبزار (٩٢٠٥)، والحاكم (١٠٠)، [«الصحيحة» (٤٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٥).

**رابعاً: لأنها خرجَتْ من أحسنِ الناسِ خُلقاً وخَلْقاً.**

• فأما خُلُقُهُ ﷺ:

فحَسبُهُ شهادةُ اللهِ له: قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ويكفيه شهادة أمِّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها التي قالت عن خُلِق رسول الله ﷺ: إنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ(1).

ويكفيه شهادةُ أصحابهِ؛ أفضلُ جيلٍ وُجِدَ على وجهِ الأَرض بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ.

يقول أنسٌ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا(2).

ويقول أيضـًا: (خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين، فما قال لي أفٍّ قطُّ، ولا قالَ لشيءٍ فعلتُهُ: لِمَ فعَلْتَهُ؟ ولا لشيءٍ لم أفْعَلْه: أَلا فَعَلْتَ كذا؟)(3).

• وأما خَلْقُهُ ﷺ:

يقولُ البراءُ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلاَ بِالقَصِيرِ(4).

وسُئِلَ البَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟

قَالَ: لاَ! بَلْ مِثْلَ القَمَرِ(5).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري(٦٠٣٨)، ومسلم(٢٣٠٩) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧)

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٢)

ويقول كعبُ بنُ مالكٍ ﵁ وهو يصفُ رسولَ اللهِ ﷺ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ[1].

ويقول أبو سعيدٍ الخدريُّ ﵁: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا[2].

**خامساً: لأنها خرجت من أشجع الناس.**

يقول أنسٌ ﵁: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**»[3].

وفي غزوةَ حنين لما فاجأ المشركونَ جيشَ المسلمينَ فتفرقوا وفروا هاربين، ثبتَ النبيُّ ﷺ على دابته، وجعل يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[4].

ويقولُ عليٌّ ﵁: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا[5].

**سادساً: لأنها خرجت من الأسوةِ الحسنةِ:**

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٥٦٢، ٦١٠٢، ٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠)

(٣) **صحيح:** رواه البخاري(٣٠٤٠)، ومسلم (٢٣٠٧)

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٣١٥)، ومسلم (١٧٧٦).

(٥) **صحيح:** رواه أحمد (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٣٣٢٨١)، [ محققو المسند].

فهو ﷺ القويُّ في رحمتِه، الرحيمُ في قوتِهِ، بدأ دعوتَهُ بالسِّلمِ والعفوِ والصفحِ، ولذلك كان أولَ ما قال عندما هاجرَ من مكةَ إلى المدينةِ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»**(١).

ولم ينقُض ﷺ عهداً ولم يَغدِرْ، وأكبرُ دليلٍ على ذلك: صلحُ الحديبية فرسولُ الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ في كلِّ شيء.

فاقبل يا مسلمُ وصايا رسولِ اللهِ ﷺ وعَضَّ عليها بالنواجذِ لتسعدَ بها في الدُنيا والآخرة، فهي وصايا كما سُمِعتَ من رسولٍ رحيمٍ أرحمُ بك من نفسِك كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

فالرسولُ ﷺ يريدُ من المؤمنين أن يأخذوا بهذه الوصايا لينجوا من عذابِ الله، ويفوزوا بجنةِ الله تعالى.

أما نحنُ فنريدُ الدنيا الفانيةَ وزينتَها.

ورسولَ الله ﷺ يخبرنا فيقول: **«مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»**(٢).

ويقول ﷺ: **«إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ**

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والحاكم (٧٢٧٧)، [«صحيح الترغيب» (٦١٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٢٢٨٥).

**فَـأَدْلَجُوا، فَـانْطَلَقُوا عَلَـى مَهَلِهِـمْ فَنَجَـوْا، وَكَـذَّبَتْ طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ، فَأَصْـبَحُوا مَكَـانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ**»[1].

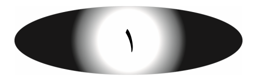
فمن أخذَ بوصايا النبيِّ ﷺ وعَمِلَ بمقتضاها سَعِدَ، ومن ردَّها ولم يعملَ بها هلك. **يقول ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**[2].

فما هي الوصية الأولى لرسولِ الله ﷺ؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٧٢٨٣) ومسلم(٢٢٨٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري(٧٢٨٠).



# وصيتُهُ ﷺ للمريضِ بالصبرِ

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

أرسلَ اللهُ تعالى رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ، بشيراً ونذيراً ليخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فبلغ ﷺ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصح الأمةَ، وكشفَ الغمةَ، وجاهدَ في سبيل دينه حتى أتاهُ اليقين، وتركَ أمتَهُ على البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضال.

ووصى أمتَهُ بوصايا مَنْ أخذَ بها وعَمِلَ بمقتضاها سَعِدَ في الدنيا والآخرةَ.

وموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ الله تعالى مع؛ **الوصية الأولى: وصيتُهُ ﷺ للمريضِ بالصبر**.

عَنْ فَاطِمَةَ الْخُزَاعِيَّةَ قَالَتْ: عَادَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَهِيَ وَجِعَةٌ، فَقَالَ لَهَا: «**كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟**» قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِلَّا أَنَّ أُمَّ مِلْدَمٍ قَدْ بَرَحَتْ بِي[1] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اصْبِرِي فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَبَثَ ابْنِ آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[2]

---

(١) أم ملدم قد برحت بي: أي الحمّى أصابني منها (البُرحاء) وهو شدتها.

(٢) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٠٥/ ٩٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٤٠)].

فاصبرْ أيها المريض على ما أصابكَ من مرض، واستعنْ باللهِ واحتسبْ فإنّ النبيَّ ﷺ قال: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»(١).

وأحسنْ الظنَّ بربك فإنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يقول الله** ﷻ: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(٢).

أخي المريض! وها أنا أضعُ بين يديك فضلَ المرضِ لتَصبرَ.

إنَّ المرضَ نعمةٌ من نعم اللهِ على عبادِهِ الصالِحين، به تُرفعُ الدرجاتُ وتُكَفَّرُ السيئات، ويُتَحَصّلُ على الجناتِ التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

فقد أخبرنا رسولُ اللهِ ﷺ عن فضائلِ المرض ومنها:

**أولاً: شدةُ المرضِ دليلٌ على صلاحِ العبدِ وصلابةِ دينه:**

عن مصعبِ بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ! ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٣).

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه أنه دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَوْعُوكٌ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ،

(١) **صحيح**: رواه مسلم(٢٢٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)، وأحمد (١/ ١٧٢)، [ «صحيح الترغيب» (٣٤٠٢)].

فَوَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ الْقَطِيفَةِ، فَقَالَ: مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ**» ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**الْعُلَمَاءُ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**الصَّالِحُونَ، وكَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى تَقْتُلَهُ، وَيُبْتَلَى أحدُهم بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَلْبَسُهَا، وَلَأَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ**»(١).

**ثانياً: المرضُ دليلٌ على محبةِ اللهِ تعالى للعبد.**

عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تعالى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(٢).

**ثالثاً: المرضُ يُبلغُ العبدَ منزلَتَهُ عندَ الله، التي لم يبلغها بعمله:**

قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(٣).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ، فَلَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلٍ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَه عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى (١٠٤٥)، والحاكم (١١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣١٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٣)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٢٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٧)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٠٩٥)، وابن حبان (٢٩٠٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٨)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٠٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣١٨/ ٨٠١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٩)].

**رابعاً: المرضُ يُطَهِّرُ العبدَ من الذنوبِ والخطايا:**

يقولُ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ** -أي: تعبٍ- **وَلَا وَصَبٍ** -أي: مرض- **وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُها إِلَّا كفَّر الله بهَا مِنْ خطَايَاه**»[1].

ويقول ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[2].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي، وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ**»[3].

وعن جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ تُزَفْزِفِينَ**[4]؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: «**لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[5].

**خامساً: المرضُ سببٌ لدخولِ الجنة إذا صبر العبدُ واحتسب.**

قال ﷺ: «**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»[6] -يريد عينيه-.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٢) **حسن صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٩٩)، والحاكم (٧٨٧٩)، وابن حبان (٢٩٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٧٦) [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)].

(٣) **حسن:** رواه أحمد (٤/ ١٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٠٩) وفي «الكبير»(٧/ ٢٧٩/ ٧١٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٢٣)].

(٤) تُزَفْزِفِينَ: أي تتحركين حركة شديدة؛ أي ترعدين.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٥).

(٦) **صحيح:** رواه البخاري (٥٦٥٣).

وقال ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فَقَالَ: انْظُرَا مَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ**»(١).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي.

قَالَ: «**إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لي أنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا(٢).

**سادساً: الصابرُ على المرضِ وغيرِهِ يأخذُ أجْرَهُ يوم القيامةِ بغير حساب:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر].

ولذلك قالَ ﷺ: «**يَوَدُّ أَهلُ العَافِيَةِ يَومَ القِيَامَةِ، حِينَ يُعطَى أَهلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ؛ لَو أَنَّ جُلُودَهُم كَانَت قُرِّضَت فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**»(٣).

فاصبر أيها المريض واستعن بالله تعالى لتتحصل على هذا الفضل في الدنيا والآخرة.

---

(١) **حسن لغيره:** رواه مالك (٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٧١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣١)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٣) **حسن:** رواه الترمذي (٢٤٠٢)، [«مشكاة المصابيح» (١٥٧٠)].

• أيها المريض! وها أنا أضعُ بين يديك أمثلةً للصابرين على المرض للتأسِّي بهم.

**أولاً: أيوبُ عليه السلام الذي ضرب أروعَ الأمثلةِ في الصبر:**

فقد ابتُلِيَ في جسده بالمرض وفي ولدِهِ ومالِهِ، ومعَ ذلك يصفه لنا ربنا جلَّ وعلا في كتابه فيقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ﴾ ثم أثنى عليه فقال: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

فلما صبرَ أيوبُ على البلاءِ وتأدَّبَ مع ربه في الدعاء استجاب الله له.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

**ثانياً: عروةُ بنُ الزبير جَبَلٌ من جبال الصبر:**

قال ابن القيم رحمه الله: (وقدمَ عروةُ بنُ الزبير على الوليدِ بن عبدِ الملك ومعه ابنُه محمد، وكان من أحسن الناس وجهاً، فدخل يوماً على الوليد في ثياب مُوَشَّةٍ -أي: مُعلّمةٍ ومخططة- وله غديرتان وهو يضربُ بيده، فقال الوليدُ: هكذا تكونُ فتيان قريش فعانَه -أي: حَسَدَه وأصابه بعينه- فخرج من عنده متوسناً -أي: يترنّحُ- فوقع في اصْطَبل الدوابِّ، فلم تزل الدواب تطؤه بأرجُلِها حتى مات، ثم إنّ الآكلة وقعت في رِجل عُروة، فبعث إليه الوليد الأطباءَ، فقالوا إن لَم تقطعها، سرت إلى باقي الجسد فتهلك.

فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشى عليه، ثم أفاق والعَرَقُ يتحدَّرُ على وجهه وهو يُهلل ويكبِّر، فأخذها وجعل يقلبها في يده، ثم قال: أما والذى حملنى عليك، إنه لَيعلمُ أني

ما مَشَيتُ بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يُرضى الله، ثم أمر بها فغسِّلَت وطُيبت وكُفِّنَت في قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة، تَلقَّاهُ أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه فجعل يقول: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف] ولم يزد عليه)[1].

فاصبر أيها المريض! فإن النبيَّ ﷺ يقول: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**»[2].

ما هي الوصيةُ الثانية للمريض؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(١) «عدة الصابرين» (ص٩٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).



# وصيتُهُ ﷺ للمريضِ

## ببعضِ الأمورِ المهمةِ التي يحتاجُ إليها في حالِ مرضِه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول سبحانه: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

ويقول سبحانه في وصف النبي ﷺ: ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ [التوبة:٦١].

فرسولُنا محمدٌ ﷺ أرسلهُ اللهُ رحمةً للعالمين عامةً ورحمةً للمؤمنين خاصة.

ومن رحمتهِ ﷺ بالمؤمنين أن وصاهم بوصايا لو أخذوا بها لسعدوا في الدنيا والآخرة.

ولذا فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاء اللهُ تعالى مع:

**الوصية الثانية: وصيتُهُ ﷺ للمريض ببعضِ الأمورِ المهمةِ التي يحتاجُ إليها في حالِ مرضِه.**

• وَصَّى النبيُّ ﷺ المريضَ بالصبرِ على المرضِ ليتحصلَ على أجر الصبر على المرض في الدنيا والآخرةِ كما قلنا في الجمعة الماضية ومع ذلك.

فرسولنا ﷺ يوصي المريضَ ببعضِ الأمورِ المهمة التي يحتاجُ إليها في حال مرضه:

**الأمر الأول: أن يرضى بقضاء الله، ويصبرَ على قَـدَرِه، ويُحسنَ الظنَّ بربِّه فإنَّ ذلك خيرٌ له.**

يقُولُ ﷺ: «**عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ، وليسَ ذاكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خَيرًا له، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانَ خَيرًا لهُ**»[1].

وقال ﷺ: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى**»[2].

وقال ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»[3].

**الأمرُ الثاني: أن يكونَ المريضُ في حالِ مرضه بين الخوفِ والرجاء:**

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**» قَالَ: أَرْجُو اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»[4].

**الأمرُ الثالث: أنْ لا يتمنى المريضُ الموتَ مهما اشتدَّ به المرضُ:**

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوتَ من ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيرًا لِي، وَتَوفَّنِي إِذَا كَانَتِ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم(٢٩٩٩)

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٢٨٧٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٣٤)، والبزار (٦٨٧٤)، وأبو يعلى (٣٣٠٣) [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٣)]

**الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[1].

وعن قيسِ بنِ أبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى قال: دَخَلْنَا علَى خَبَّابٍ نَعُودُهُ، وقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ في بطنه، فَقَالَ: لَوْما أنَّ رسول الله ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ، لَدَعَوْتُ به[2].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «...**ولا يَتَمَنينَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، إِمَّا مُحسِنًا فَلَعَلَّهُ أن يَزْدادَ خيراً، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أن يَسْتَعْتِبَ**»[3].

**الأمرُ الرابعُ: أن يأخذَ المريضُ بأسبابِ العلاج المشروعة متوكلاً على الله وأنْ يبتعدَ عن أسباب العلاج غير المشروعة.**

والعلاجُ النبويُّ أفضلُ العلاجِ وهو نوعان:

**النوعُ الأول:** الرُّقيَة الشرعية، كقراءةِ آياتٍ من القرآن الكريم، والفاتحة، وآية الكرسي، وآخر سورة البقرة، والمعوّذات، ويضعُ يدَه على مكانِ الألم ويقول: «**بسم الله، بسم الله، بسم الله**»، ويقول: «**أعوذُ بعزَّةِ اللهِ وقدرته من شرِّ ما أجدُ وأحاذرُ**» سبعاً وغيرَها مما ثبت عن رسول الله ﷺ.

**النوع الثاني:** الأدوية كالعسل، فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

وكماءِ زمزمَ، إذا شربَه المريضُ بنيةِ الشفاءِ قال ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٧٣).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٣٣)، [«صحيح الجامع» (٥٥٠٢)].

وكالحبة السوداء، قال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ** -وهو الموت-»[1].

وكالحجامة والحناء، قال ﷺ: «**الْحِجَامَةُ عَلَى الرِّيقِ، أَمْثَلُ، وَفِيهِا شِفَاءٌ وَبَرَكَةٌ**»[2].

وقال ﷺ: « **إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ خَيْرٌ فَالْحِجَامَةُ**» [3].

وعن سلمى خادمِ رسول الله ﷺ قالت: (مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ: «**احْتَجِمْ**»، وَلَا وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ، إِلَّا قَالَ: «**اخْضِبْهُمَا**»[4].

وإذا ذهب المريضُ إلى الطبيبِ أَخْذاً بالأسبابِ فلا حرجَ.

لقوله ﷺ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ**»[5].

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ تعالى**»[6].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[7].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥)

(٢) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٤٨٧)، والبزار (٥٩٦٨)، والحاكم (٧٤٨١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦٦)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٥٧)، وابن ماجه (٣٤٧٦)، والحاكم (٨٢٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٠)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٥٨)، وأحمد (٦/ ٤٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦١)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٨١/ ٤٦٩)، وابن حبان (٦٠٦١)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٤).

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٤٣)، والطبراني في «الأوسط» (٧٠٣٦)، وابن حبان (٦٠٦٢)، [«الصحيحة» (١٦٥٠)].

واحذر أيها المريضُ من الذهابِ إلى السَّحَرَةِ والكهنةِ والعرافين، فإن ذلك حرامٌ وشركٌ.

• قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(١).

• وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(٢).

• وقال ﷺ «**فلا تأتوا الكُهَّانَ**»(٣).

• وقال ﷺ عن الكهان: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**» (٤).

واحذرْ أيها المريضُ من تعليقِ الحُجُبِ والتمائمِ فإنها شركٌ:

قال ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» (٥).

قال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وكِلَ إليه**»(٦).

وقال ﷺ: «**مَنْ عَلَّقَ فقد أَشْرَكَ**»(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، وعلي بن الجعد (١٩٤٦)، والحاكم (١٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٤٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨)

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٧)].

(٦) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٧٠٧٢)، وأحمد (٤/ ٣١٠)، والحاكم (٧٥٠٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٦)].

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٧٥١٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٥)].

**الأمر الخامس: أن يحافظ المريضَ على عبادةِ ربّه عامَّةً وعلى الصلاة خاصَّةً حسَبَ استطاعته، ولا يترك العبادة أبداً:**

أيها المريض! احذرْ مما يفعله كثيرٌ من المرضى من ترك الصلاة، واعلم أنَّ الصلاةَ لا تسقُطُ عنك أبداً إلا بذهاب العقل فالصلاةُ لا تجبُ على المجنون -أو بذهاب الروح- أي الموتِ فلا يجوزُ للمريضِ أبداً أن يتركَ الصلاةَ لأن ترك الصلاةِ سببٌ لدخول النار.

قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر].

**وقال ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**[1].

• أيها المريض! إذا عَجَزْتَ عن الوضوءِ فعليك بالتيمم: وذلك بأن تضربَ الأرضَ أوِ الحائطَ الذي بجوارِك بيدَيك ثم تسمحُ وجهَكَ ثم كفَّيْكَ، وإن عَجَزْتَ عن الوضوءِ والتيمم فصلِّ على حالِكَ، وإن عَجِزْتَ عن القيام في الصلاةِ فصلِّ قاعداً، فإن عجَزتَ فصلّ على جَنْبٍ.

• عن عمرانَ بن حصين رضي الله عنه قال: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[2].

فإن عَجَزْتُ عن ذلك كلِّه فصلِّ على الحالِ الذي تستطيعُهُ، فإن الله عز وجل قال: ﴿لَا

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٥٦٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١١١٧).

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

المُهِمُّ ألا تتركَ الصلاة بأي حالٍ من الأحوالِ.

**الأمرُ السادسُ: على المريضِ أن يكونَ على علمٍ بالوصيةِ وما يتعلقُ بها:**

فكثيرٌ من الناسِ عامةً ومن المرضى خاصةً لا يعلمون شيئـًا عن الوصية وما يتعلقُ بها.

أيها المريض! اعلم:

**أولاً: أنَّ الوصيةَ للأقاربِ الذين لا يرثونَ منك بعدَ الموتِ واجبةٌ.**

لقولـه تعـالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة].

• أما الوصيةُ للوالِدَيْن والأقربين الذين يرثون منك فلا تجوزُ، لأنها منسوخةٌ بآية الميراث.

وبيَّن ذلك رسولُ الله ﷺ أتـمَّ البيانِ في خطبتهِ في حَجَّةِ الوَداع فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٧) «مشكاة المصابيح» (٣٠٧٣).

**ثانياً: أن الوصية يجبُ أن لا تزيدَ عن الثلث:**

لحديث سعدِ بنِ أبي وقاص ﷺ قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، فمرضتُ مَرَضاً أشْفَيْتُ[1] منه علَى المَوْتِ، فعادني رسولُ اللهِ ﷺ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! إن لي مالاً كثيراً، ولَيس يَرِثُنِي إلَّا ابْنَةٌ لي، أفأوصي بثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لَا**». قلت: بشَطْرِ مالي؟ قال: «**لا**». قلت: بثلُثِ مالي؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ، إنَّكَ يا سعدُ! أنْ تَدَعَ وَرَثتك أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ لك مِن أنْ تدعهم عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، إنك يا سعدُ لن تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللهِ، إلَّا أُجِرْتَ عليها، حتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا في فِيِّ امْرَأَتِكَ**»[2].

**ثالثاً: أن الإضرارَ في الوصيةِ حرامٌ:**

كأن يوصيَ بحرمانِ بعضِ الورثةِ من حقّهم من الإرث أو يُفَضِّلَ بعضَهم على بعضٍ فيه.

ولقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء:١٢].

ولقوله ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ**»[3].

---

(١) أشفيت: أي: قاربت.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٧٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه الدارقطني (٣٠٧٩)، والحاكم (٢٣٤٥) [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠)].

**رابعاً: أن الوصيةَ الجائرة باطلةٌ مردودةٌ:**

لقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[1].

هذه وصيةُ النبيِّ ﷺ للمريضَ عافاني الله وإياكم من كل مرض.

فما هي وصيته ﷺ لمن ماتَ ولدُه؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)



# وصيتُهُ ﷺ لمن ماتَ ولدُه بالصبر

عبادَ اللهِ! يقولُ الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

في هذه الآيات يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَهُ محمداً ﷺ أن يُبَشرَ المؤمنين بالأجرِ العظيم عندَه يوم القيامة ويُبشّرَ الصابرين على المصائبِ خاصةً بسعادة الدنيا والآخرة ولذلك:

فموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع: **الوصية الثالثة: وصيتُه ﷺ لمن مات ولدُه بالصبر.**

إنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا يُبتلى في نفسه ومالِه وولدِه كما قال ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبزّار (٧٩٩٨)، والحاكم (١٢٨١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)]

ومن عظيم الابتلاء في هذه الدنيا أن يُبتلى الإنسانُ بموتِ وَلدِهِ؛ فإنَّ الولدَ ثمرةُ فؤادِ والدَيه، وموتُ الولدِ يؤلمْ الوالدَين ويحزِنُهما حزناً عظيماً.

يقولُ أبو سِنانٍ: دفنتُ ابني سِناناً، وأبو طلحة الخَوْلانيُّ جالسٌ على شفير القبر، فلما أرَدْتُ الخروجَ، أخذ بيدي فقال: ألا أُبشرُك يا أبا سنان؟ قلتُ: بلى!

قال: حَدَّثني الضحَّاكُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عَرْزَبَ عن أبي موسى الأشعريِّ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ! فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ! فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**»(١).

ومرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عندَ قبرٍ -وفي رواية: تبكي على صبيٍّ لها-.

فقال ﷺ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**».

قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبتي، وَلَمْ تعْرفْهُ.

فَقيلَ لَها: إِنَّه النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِي ﷺ، فلَمْ تَجِد عِنْدَهُ بَوَّابينَ، فَقالتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فقالَ: «**إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأولَى**»(٢).

ففي هذه الوصايا النبوية يأمرُ رسولُ الله ﷺ من ماتَ ولَدَهُ بالصبرِ والحمدِ والاسترجاعِ والرضا بالقَضاءِ والقدرِ، فمن فعلَ ذلك فإنَّ له عندَ اللهِ يومَ القيامة أجراً عظيماً.

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٠٢١)، وابن حبان (٢٩٤٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٠١٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

قـــال تعـــالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ وَأَبَوَيْهِمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، قَالَ: وَيَكُونُونَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا. فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ**»(١).

ويقول ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنْ النَّارِ**» قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ ﷺ: «**وَاثْنَانِ**»(٢).

ويقول ﷺ: «**مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ**»(٣).

وعلى من مات ولدُهُ أن يَتقّيَ اللهَ ويصبرَ ويستعينَ على ذلك بالتأسّي بالصابرين على موتِ أولادِهم وفي مقدمتهم رسولُ اللهِ ﷺ إمامُ الصابرين.

يقولُ انسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَخَلْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ علَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ -أي: الحداد-، وكانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -أي: زوج مرضعةِ إبراهيمَ ابنِ النبيِّ ﷺ-، فأخَذَ رَسولُ

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٥١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٩١)، [«أحكام الجنائز» (ص٣٤)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣)

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٦٤٢٤).

اللهِ ﷺ إبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ، وشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عليه بَعْدَ ذلكَ، وإبْرَاهِيمُ يَجُودُ بنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقالَ له عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وأَنْتَ يا رَسولَ اللهِ؟ فَقالَ: «**يا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بأُخْرَى، فَقالَ ﷺ: «**إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإنَّا بفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(1).

وهذه أُمِّ سُلَيمٍ رضي الله عنها ضَرَبَتْ للأمةِ أروعَ الأمثلةِ في الصبر على موتِ الولد.

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: قال مَالِكٌ -أَبُو أَنَسٍ- لِامْرَأَتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ -وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ-: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ -يَعْنِى- النَّبِيَّ ﷺ يُحَرِّمُ الْخَمْرَ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الشَّامَ فَهَلَكَ هُنَاكَ، فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ فَخَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَكَلَّمَهَا فِى ذَلِكَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا مِثْلُكَ يُرَدُّ وَلَكِنَّكَ امْرُؤٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مَسْلَمَةٌ لاَ يَصْلُحُ لي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ!

فقَالَ: وَمَا ذَاكِ دَهْرُكِ! قَالَتْ: وَمَا دَهْرِي؟ -أي: مهري- قَالَ: الصَّفْرَاءُ والْبِيضَاءُ.

قَالَتْ: فَإِنِّى لاَ أُرِيدُ صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ أُرِيدُ مِنْكَ الإِسْلاَمَ، فإنْ تُسلمْ فذاكَ مهري، ولا أسألُك غيرَهُ].

قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ قَالَتْ: لَكَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِى أَصْحَابِهِ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «**جَاءَكُمْ أَبُو طَلْحَةَ غُرَّةُ الإِسْلاَمِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فَتَزَوَّجَهَا عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ ثَابِتٌ -وهو البُنَاني أحدُ رواةِ القصةِ عن أنس-: فَمَا بَلَغَنَا أَنَّ مَهْرًا كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ أَنَّهَا رَضِيَتْ بِالإِسْلاَمِ مَهْرًا فَتَزَوَّجَهَا.

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلِيحَةَ الْعَيْنَيْنِ، فِيهَا صِغَرٌ، فَكَانَتْ مَعَهُ حَتَّى وُلِدَ مِنْهُ بُنَيٌّ، وَكَانَ يُحِبُّهُ أَبُو طَلْحَةَ حُبًّا شَدِيدًا ومَرِضَ الصَّبِيُّ مرضاً شديداً، وَتَوَاضَعَ أَبُو طَلْحَةَ لِمَرَضِهِ أَوْ تَضَعْضَعَ لَهُ، فكان أبو طلحةَ يقومُ صلاةَ الغداةِ يتوضأ، ويأتي النبيَّ ﷺ فيصلّي معه، ويكونُ معه إلى قريبٍ من نصفِ النهار ويجيء يُقيلُ ويأكلُ فإذا صلى الظهر تهيأ وذهبَ، فلم يَجيءْ إلى صلاة العتمة فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَاتَ الصَّبِيُّ.

فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لاَ يَنْعِيَنَّ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ أَحَدٌ ابْنَهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَنْعَاهُ لَهُ، فَهَيَّأَتِ الصَّبِيَّ فسجَّت عليه -أي غطته- وَوَضَعَتْهُ في جانب البيت، وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ومعه ناسٌ من أهلِ المسجدِ من أصحابهِ.

فَقَالَ: كَيْفَ ابْنِي؟

فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا كَانَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ السَّاعَةَ. وأرجو أن يكونَ قد استراح! فَأَتَتْهُ بِعَشَائِهِ فقرَّبته إليهم فتعشَّوا، وخرجَ القومُ، قال: فقام إلى فراشه فوضعَ رأسَه، ثُمَّ قَامَتْ فَتَطَيَّبَتْ وتَصَنّعت له أحسنِ ما كانت تصنعُ قبل ذلك، ثم جاءت حتى دخَلَتْ معه الفراشَ فما هو إلا أن وجَدَ ريحَ الطيب حتى كان منه ما يكونُ من الرجل إلى أهله، فلما كان آخرَ الليل.

قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا قَوْمًا عَارِيَةً لَهُمْ فَسَأَلُوهُمْ إِيَّاهَا أَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟

فَقَالَ: لاَ؛ قَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ ﷻ كَانَ أَعَارَكَ ابْنَكَ عَارِيَةً، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ وَاصْبِرْ. فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِينِى حَتَّى إِذَا وَقَعْتُ بِمَا وَقَعْتُ بِهِ نَعَيْتِ إِلَيَّ ابْنِي، فاسترجَع، وحَمِدَ الله، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فصلى معه فَأَخْبَرَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِى غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا**».

فَثَقُلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ وَكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها تُسَافِرُ مَعَ النبيِّ ﷺ تَخْرُجُ مَعَهُ إِذَا خَرَجَ، وَتَدْخُلُ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا وَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأْتُونِى بِالصَّبِيِّ**».

قال: فكان رسولُ الله ﷺ في سعيٍ وهي معه، وكان رسولُ الله ﷺ إذا أتى المدينةَ من سفر لا يطرقها طُروقـًا -أي: لا يدخُلُها ليلاً- فدنوا من المدينة فضربَها المخاضُ، واحتبسَ عليها أبو طلحةَ، وانطلقَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال أبو طلحة: يا ربِّ إنك لتَعلمُ أنه يُعجبُني أن أخرج مع رسولك إذا خرجَ وأدخلُ معه إذا دخل، وقد احتبستُ بما ترى.

قال: تقولُ أم سُليم: يا أبا طلحة ما أجدُ الذي كنتُ اجدُ فانطلقا، قال: وضربها المخاضُ حينَ قدموا، فوَلدَتْ غُلامـًا، وقَالَتْ لِابْنِهَا أَنَسٍ: يا أنسُ! لا يَطْعمُ -أي: الرضيعُ- شيئـًا حتى تغدو به إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وبعثتْ معه بتمراتٍ.

قال: فبات يبكي، وبتُّ مُجنحـًا عليه -أي: مائلاً- أكالئُه حتى أصبحتُ فغدوتُ إلى رسول الله ﷺ وعليه بردةٌ، وَهُوَ يَسِمُ إِبِلاً أو غَنَمًا قدمت عليه فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لأَنَسٍ: «**أَوَلَدَتِ بنتُ مِلْحَانَ**». قَالَ: نَعَمْ، فقال: رويدكَ أفرغُ لك.

قال: فَأَلْقَى مَا فِى يَدِهِ فتَنَاوَلَ الصَّبِيَّ وقَالَ أمعهُ شيءٌ؟ قال: نعم تمراتٌ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بعضَ التَّمْرِ فمضغهنَّ ثم جمع بُزاقه، ثم فغَر فاهُ، وأوجَرَهُ إياه فَجَعَلَ يُحَنِّكُ الصَّبِيَّ وَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ، فكان أولَ من فتح أمعاءَ ذلك الصبيِّ ريقُ رسولِ الله ﷺ.

فَقَالَ: «**انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ**».

قال: قلت: يا رَسُولَ اللهِ سَمِّه، قال: فمسحَ وجهَه وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.

فما كان في الأنصار شابٌ أفضل منه، قال: فخرجَ منه رَجلٌ كثيرٌ، واستشهد عبد الله بفارس[1].

فتعلموا يا أمّةَ الإسلام الصبرَ على المصيبةِ عامةً، وعلى مصيبةِ موت الولدِ خاصةً منْ أمِّ سُليم رضي الله عنها التي ضرَبَت أروع الأمثلةِ في الصبرِ على موتِ الولد وذلك لأنها أخذت بوصية النبيِّ ﷺ للمرأة التي ماتَ ولدَها عندما قال لها: «**اتقي الله واصبري**»، وأخذت أيضاً بوصية النبيِّ ﷺ لابنتِهِ التي مات وَلدُها فأرسلَ إليها يقولَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»[2].

واحذروا يا أمّة الإسلام أن تقعوا عند المصيبة في المخالفات الشرعية، كضرب الخدود، وشقِّ الجيوب، والدعوى بدعوى الجاهلية فهذا كلُّهُ حرام في ديننا.

يقول ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[3].

واحذروا من النياحة: وهي أمرٌ زائدٌ على البكاء، وهي محرمة شرعاً:

قال ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»[4].

**وقال ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ،**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٤٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧).

**وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»**، قال ﷺ: **«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»**[1].

فهذه وصيتُهُ ﷺ لمن مات ولدُهُ فخذوا بها يا أمة الإسلام وعضوا عليها بالنواجذ تسعدوا في الدنيا والآخرة.فما هي وصيتهُ ﷺ لمن ماتَ زوجُها؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).



## وصيتُهُ ﷺ لمن مات عنها زوجها بالصبر

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١].

فرسولُنا محمدٌ ﷺ أرسلَهُ اللهُ رحمةً للعالمين عامةً ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ومن رحمتهِ ﷺ بالمؤمنينَ أن وَصَّاهم بوصايا لو أَخَذوا بها لسَعِدوا في الدنيا والآخرة.

وموعدُنا في هذا اليوم إن شاء اللهُ تعالى مع: **الوصية الرابعة: وصيتُهُ ﷺ لمن مات عنها زوجُها بالصبر**.

**أولاً: وصاها ﷺ بتقوى الله والصبر:**

فقال لها: «**اتَّقِي اللهَ، وَاصْبِرِي**»(١).

وقال لها أيضـاً: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٢).

**ثانياً: وصّاها ﷺ بالرضا بقضاءِ الله وقدره ففيهِ الخيرُ كُلُّهُ:**

قال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٥٤)، ومسلم (٩٢٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)

**أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١).

**ثالثاً: وَصَّاها بالحمدِ والاسترجاع ففيه سعادةُ الدنيا والآخرة:**

قــال تعــالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

**رابعاً: وصّاها ﷺ أن تذكُرَ مصيبةَ موتِ النبيِّ ﷺ فهي من أعظم المصائب:**

قال ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»(٢).

**خامساً: وَصَّاها ﷺ بدعاءٍ فيه خيرٌ كثير:**

عن أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما مِن مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيقولُ ما أَمَرَهُ اللهُ:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]، **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها، إلَّا أخْلَفَ اللهُ له خَيْرًا مِنْها**».

قالَتْ: فَلَمَّا ماتَ أبو سَلَمَةَ، قُلتُ: أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِن أبِي سَلَمَةَ؟ أوَّلُ بَيْتٍ هاجَرَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إنِّي قُلتُها، فأخْلَفَ اللهُ لي رَسولَ اللهِ ﷺ(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم(٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٦٧١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٧٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٠٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٨).

**سادساً: وصَّاها ﷺ أن تَحِدَّ على زوجِها أربعةَ اشهرٍ:**

عن أُمِّ عطيةَ قالت: كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا نَكْتَحِلُ، وَلَا نَتَطَيَّبُ، وَلَا نَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، وَقَدْ رُخِّصَ لِلْمَرْأَةِ فِي طُهْرِهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا مِن مَحِيضِهَا، فِي نُبْذَةٍ مِن قُسْطٍ وَأَظْفَارٍ(١).

وهذا يدلُّ على عِظَمِ حَقِّ الزوجِ على زوجتِه في حياتِهِ وبعد مماتِهِ، وقد جاءتِ الأدلةُ عن رسولِ الله ﷺ تبينُ ذلك.

يقول ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»(٢).

ويقول ﷺ: «**حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كانت بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحِسَتْها مَا أَدَّتْ حَقَّهُ**»(٣).

ويقول ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّه،حتى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ(٤) لَمْ تَمْنَعْهُ**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٣)، ومسلم (٩٣٨)

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٣)، وأحمد (٤/ ٣٨١)[«صحيح الترغيب» (١٩٣٨)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٥٣٦٥)، وابن حبان (٤١٦٤)، والحاكم (٢٧٦٧)، [«صحيح الترغيب» (٣١٤٨)].

(٤) قتب: مكان تجلس عليه المرأة للولادة.

(٥) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان (٤١٧١)، والبيهقي في «السنن» (١٤٧١١)، [«صحيح الترغيب » (١٩٣٨)].

ويقول ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالصِّدِّيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي جَانِبِ الْمِصْرِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظَلَمَتْ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ**»(٢).

ويقولُ ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**»(٣).

ويقول ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلاتُهُمْ آذَانَهُمْ: العَبْدُ الآبِقُ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ**»(٤).

ويقول ﷺ: «**إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعنتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٥).

ويقول ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطلاقَ من غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّة**»(٦).

---

(١) **حسن**: رواه النسائي في الكبرى (٩٠٩٤)، والطبراني (١٩/ ١٤٠/ رقم ٣٠٧)، [«الصحيحة» (٢٨٧)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩٠٨٦)، والبزار (٢٣٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٣٦٨/ ١٤١٨٤)، والحاكم (٢٧٧١)، [«صحيح الترغيب» (١٩٤٤)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٩٨)، وابن حبان (٤١٦٣)، [«صحيح الترغيب» (١٩٣١)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٨٠٩٠)، [«صحيح الترغيب» (٤٨٧)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

(٦) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٠١٨)].

أدلةٌ كثيرةٌ جداً تُظهرُ وتبينُ عِظَمَ حقِّ الزوجِ على زوجتهِ، والمرأةُ المسلمةُ التي أدى زوجها حقّها تعرفُ حقَّ زوجها وتؤدي له حقَه، وتعرفُ له قَدْرَهُ، فتُحِبُّه وتقومُ على خدمتِه طاعةً لله، فإذا مات هذا الزوجُ فلابدّ أن تتألَمَ الزوجةُ المسلمةُ لموته، وتحزنَ لفراقه، فما عليها إلا أن تستعينَ بالله وتصبرَ لله، وعليها أن تحتسبَ اجرَها عندَ الله، وأن ترضى بقضاءِ الله وقَدَرِه ولا تنسى أن تقولَ -كما أمرَها الله- ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة]، اللهم أجُرني في مصيبتي وأَخْلِفْ لي خيراً منها.

ومِنَ النساءِ المؤمناتِ اللاتي صَبَرْت على موتِ الأزواج واحتسبْنَ: أمُّ سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فتعالوا بنا نستمعُ ونتذكرُ خبرَ أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند وفاةِ زوجها، فلقد ضَربَتْ للنِّساءِ مثلاً أعلى في الصبر على موتِ الأزواج.

وكانت أمُّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحبُّ زوجها حُبّاً عظيماً وتعرفُ حقَّه وقدْرَه، يظهرُ ذلك من قولِها بعد موته: **«أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟»**[1].

وفي هذا استعظامٌ منها لشأنِ زوجها، وتعجُّبٌ واستبعادٌ منها أن يكونَ لها خَلَفٌ خيرٌ منه!

تقول أمُّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ -أي: أنه من أهل مكةَ وماتَ بالمدينة- لَأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ)[2].

وتَقولُ عنه: (لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٢٢).

قَدْ مَاتَ، قَالَ: «**قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَة**»[1]. فقالَتْ كما أمرَها ﷺ.

وتقولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ -أي: شَخَصَ، والإنسانُ إذا ماتَ شَخَصَ بصرُهُ، ولذلك من السنةِ إغماضُ العينين- فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**» -أي: إذا خرجَ الروحُ منَ الجسدِ يتبعه البَصر أين يذهبُ- فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**». ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»[2].

وماتَ أبو سلمةَ وحَزِنَتْ أمُّ سَلَمَةَ لفراقهِ حُزناً شديداً، لكنها صَبَرَتْ واحتَسبَتْ واستَرْجَعَتْ ورَضِيتْ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، فجنتْ ثمارَ صبرِها في الدُّنيا قَبلَ الآخر،

ها هي أمُّ سلمةَ تُخبرُنا بما حدثَ معها، وتُذْكُرُ لنا بعضاً من نتائجِ الصبرِ في الدنيا قبلَ الآخرة.

تقولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ**: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة]، **اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ

(١) **صحيح**: رواه مسلم(٩١٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٩٢٠).

الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ تقولُ رضي الله عنها: ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ. إنّه الإيمان الذي يظهرُ في هذه المواقفِ، الإيمان الذي كان دافعًا لها أن تصبرَ وتسترجعَ وتدعو، فأخلفَ اللهُ عليها خيراً من أبي سلمةَ؛ نعم! لقد أخلفها رسولَ الله ﷺ. وتقولُ رضي الله عنها: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ. فقال ﷺ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**»[1].

فأغنى اللهُ ابنتها عنها، وأذهَبَ اللهُ غَيْرَتَها، وتزوجت من رسولِ الله ﷺ وأصبحت من أمّهاتِ المؤمنين زوجةً لرسولنا ﷺ في الدنيا وفي جنات النعيم.

ومن الفوائد التي تُؤخذ من صبرِ أمِّ سلمةَ رضي الله عنها على موتِ زوجها:

**أولاً: أن مَنْ أخذَ بوصية رسول الله ﷺ وعَمِلَ بمقتضاها سَعِدَ في الدنيا والآخرة:**

فرسولُ الله ﷺ قال لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها لما ماتَ زوجها قولي: «**إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجُرني في مصيبتي، واخلُف لي خيراً منها**» فلما أَخَذَتْ بوصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ وعملت بها أبْدَلَها اللهُ زوجًا خيراً من زوجِها، بل أبدلها بخير البشر رسول الله ﷺ، وهي زوجتهُ في الجنة وتأخذُ أجْرَها يوم القيامة بغير حساب كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزُّمَر] وهذا من أكبر الأدِلَّة على أنَّ الأمةَ الإسلاميةَ إذا أخذت وصايا النبيِّ ﷺ وتمسَّكَتْ بها وعملت بمقتضاها سَعِدَتْ في الدنيا والآخرة ... فهل من مدكر ... فهل من متعظ!

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٨).

**ثانياً: الحذرُ من المخالفاتِ الشرعية التي تقعُ من بعضِ النساءِ عند الموت:**

على المرأةِ المسلمةِ إذا مات عنها زوجُها أن تبتعدَ عن المخالفات الشرعية من نياحةٍ ولطمٍ للخدود، وشقٍّ للجيوب أو ان تدعوَ بدعوى الجاهلية، فإن ذلك حرام.

**ثالثاً: أن لا تَحِدَّ المرأةُ على أحدٍ أربعةُ أشهرٍ وعشراً إلا على زوجها:**

عن زينبَ بنت أبي سلمةَ قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يحِلُّ لامْرأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**» ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ، ثُمَّ قَالَتْ: مَالي بِالطِّيبِ مِنْ حاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ... فذكرت الحديث[1].

**رابعاً: للمرأة التي مات زوجُها وانتهت عدّتها أن تتزوج:**

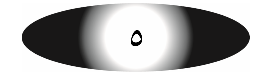
فهذه امُّ سلَمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تزوجتْ من رسول الله ﷺ بعد أن مات زوجُها الذي كانت تحبُّ، وذلك لأن المرأةَ لا تسكنُ ولا تَسْعدُ إلا في ظلِّ زوجها والرجلُ كذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاءا لله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).



٥

# وصيتُهُ ﷺ لمن ابتُلِيَ بألسنة المنافقين ومرضى القلوب بالصبرِ والاستعانة بالله وحدَه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

أرسلَ اللهُ تعالى رسولَهُ محمداً ﷺ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ومن رحمتِهِ ﷺ بالمؤمنين أنهُ وصاهم بوصايا لو أخذوا بها وعملوا بمقتضاها لسَعدوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

**الوصيةِ الخامسةِ: وصيتُه ﷺ لمن ابْتُلِيَ بألسنةِ المنافقين ومرضى القلوبِ بالصبر والاستعانة بالله.**

الإنسانُ خُلِقَ في هذه الدنيا للابتلاءِ، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان].

وقال ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ**

**وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].

ومن الابتلاءِ ان يُبتلى الرجلُ أو المرأةُ بألسنة المنافقين ومرضى القلوبِ، فيشيعونَ عنه في كلِّ مكانٍ ما هو منه بريءٌ فيُؤذونَهُ بألسنتِهم، وأَذِيَّةُ اللسانِ أشدُّ من أذيَّةِ السِّنان.

قال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾**﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ**﴾ -أي: المنافقون- ﴿**ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾**﴾ [التوبة].

وأمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ أن يصبرَ على أذيةِ هؤلاء فقال تعالى: ﴿**وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾**﴾ [المزَّمل].

والتي ضَرَبَتْ للأمة أروعَ الأمثلةِ في الصبرِ على ألسنةِ الناسِ أمُّ المؤمنينَ الصديقةُ بنتُ الصِّديق رضي الله عنها عائشة رضي الله عنها، زوجةُ خيرِ البشر وحبيبتُهُ.

سُئِلَ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: «**عَائِشَةُ**» قالوا: **وَمِنَ الرِّجَالِ؟** قال: «**أَبُوهَا**»[2].

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وابن حبان (٢٩٢٤)، والحاكم (٧٨٧٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤١٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).

وقال ﷺ: «**عَائِشَةُ زَوْجِي فِي الْجَنَّةِ**»[1].

تقول رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ أن يخرجَ سَفَراً، أقرعَ بين نسائِه، فَأَيَّتُهُنَّ خرجَ سهمُها، خرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ معهُ.

قالت عائشةُ: فأقرعَ بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ وذلك بعدما نَزَلَ الحجابُ.

فأنا أُحْمَلُ في هودجي، وأُنْزَلُ فيه مسيرَنا. -أي: تدخلُ في هذا الهودجِ وهو كالغرفةِ الصغيرةِ، فَيُحْمَلُ هذا الهودجُ على الجملِ، ويُنَزَّلُ وهي بداخله- حتى إذا فرغَ رسولُ ﷺ من غزوةٍ وقَفَلَ -أي: رجع- ودنونا من المدينةِ، آذنَ[2] ليلةً بالرحيلِ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيشَ، فلما قضيتُ من شأني أقبلْتُ إلى الرَّحْلِ، فلمسْتُ صدري فإذا عِقدي من جَزَعِ ظَفَار[3] قد انقطَع، فرجعْتُ فالتمسْتُ عِقدي فحبسَني ابتغاؤُه -أي: طلبُه والبحثُ عنه- وأقبلَ الرهطُ الذين كانوا يَرحَلُون لي فحملوا هودجي، فَرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ أركَبُ، وهم يحسَبون أني فيه.

قالت: وكانتِ النساءُ إذ ذاكَ خِفافا لم يُهَبَّلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحمُ، إنما يأكلْنَ العُلَقَةَ منَ الطعامِ، فلم يستنكرِ القومُ ثِقَلَ الهودجِ حينَ رَحَلوه ورفعوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ وساروا، ووجدتُ عِقدي بعدما استمَرَّ الجيشُ، فجئتُ منازِلَهم

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة (٣٢٢٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٤٢)].

(٢) **آذن ليلةً بالرحيل**: أي: أعلم.

(٣) **الجزع**: خرز يماني.

ولـيسَ بهـا داعٍ ولا مجيـبٌ، فتيمَّمـتُ منزلـي الـذي كنـتُ فيـه، وظننـتُ أنَّ القـومَ سـيفقدونني فيرجعـونَ إلـيَّ، فبينـا أنـا جالـسةٌ في منزلـي غلبتنـي عينـي فنمْـتُ، وكـان صفوانُ بنُ المعَطِّلِ السُّلميُّ، ثمّ الـذِّكوانيُّ قـد عَـرَّسَ مـنْ وراءِ الجيشِ، فـادَّلَجَ -وهـو السيرُ آخرَ الليل- فأصبَح عند منزلي.

فرأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتـاني فعرفنـي حين رآني، وقـد كـانَ يـراني قبـل أن يُضرَبَ الحجابُ عليَّ. فاستيقظْتُ باسترجاعه -أي: وهـو يقـولُ: إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون- حين عرفَني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، وواللهِ! ما يُكلِّمُني كلمةً ولا سمعْتُ منه كلمـةً غيرَ استرجاعِه.

حتى أَنَاخَ راحلَتَه، فَوَطِئَ على يدِها فركبتُها، فانطلقَ يقـودُ بيَ الراحلـةَ، حتـى أتينـا الجيشَ، بعدما نزلوا مُوغرين في نحرِ الظهيرة، فهلَكَ مَـنْ هلَـكَ في شـأني، وكـانَ الـذي تولَّى كبرَهُ عبدُ الله بنُ أُبي ابن سلول.

فقدمنا المدينةَ، فاشتكيْتُ، حين قَدِمْنا المدينـةَ، شـهراً، والنـاسُ يُفيـضون في قـولِ أهلِ الإفكِ، ولا أشعرُ بشيءٍ منْ ذلك، وهو يُريبُني في وجَعي أني لا أعرفُ مِـنْ رسـولِ اللهِ ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنّما يدخلُ رسولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثـم يقـولُ: «**كيـفَ تِـيكُمْ؟**» فـذاك يَريبني ولا أشـعرُ بالـشرِّ، حتـى خرجْـتُ بعـد مـا نَقَهْـتُ وخَرَجَتْ معي أمُّ مسطَحٍ قِبَلَ المناصِع، وهـو مُتَبَرَّزُنـا، ولا نخـرجُ إلا لـيلاً إلـى ليـل. وذلك قبلَ أن نتخذَ الكُنُفَ قريبـاً من بيوتِنا، وأمرُنـا أمـرُ العـربِ الأُولِ في التّنـزه، وكنّـا نتأذى بالكُنَفِ أن نَتَّخِذَهَا عندَ بيوتنا، فانطلَقْتُ أنا وأمُّ مِسطحٍ وهي بنتُ أبـي رُهـمِ بـنِ المطلبِ بنِ عبدِ منـافٍ، وأمُّهـا بنـتُ صـخرِ بـنِ عـامرٍ خالـةُ أبـي بكـرٍ الـصديقِ، وابنُهـا

مِسطَحُ ابنُ أُثاثَةَ بنِ عبّادِ بنِ المطلبِ فَأَقْبَلْتُ أنا وبنتُ أبي رُهم قِبَل بيتي، حين فَرَغْنا من شأنِنا.

فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسطحٍ في مِرطِها فقالت: تَعِسَ مسطحٌ. فقلتُ لها: بئسَ ما قلتِ، أتسبينَ رجلاً قد شَهِدَ بدراً.

قالت: أيْ هَنْتَاه! أَوَ لم تسمعي ما قالَ؟

قلتُ: وماذا قال؟

قالت: فأخبَرتني بقولِ أهلِ الإفكِ، فازددْتُ مرضاً إلى مرضي، فلما رجَعْتُ إلى بيتي، فدخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثم قال: «**كيفَ تيكم؟**» قلت: أتأذَنُ لي أن آتي أَبَوَيَّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريدُ أنْ أتيقَنَ الخبرَ من قِبَلِهِمَا.

فأذنَ لي رسولُ اللهِ ﷺ، فجئتُ أبويَّ فقلتُ لأمي: يا أُمَّتاه! ما يتحدثُ الناسُ؟ فقالت: يا بُنَيَّةُ! هَوِّني عليكِ، فوالله لقلّما كانت امرأةٌ قَطُّ وَضيئةٌ عندَ رجلٍ يحبُّها ولها ضرائرُ، إلا كَثَّرْنَ عليها.

قالت: قلتُ: سبحانَ اللهِ! وقد تحدّثَ الناسُ بهذا؟

قالت: فبكيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحْتُ لا يرقأُ لي دمعٌ، ولا أكتحِلُ بنومٍ، ثم أصبحتُ أبكي.

ودعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب، وأسامةَ بنَ زيدٍ رضي الله عنهما حين استَلْبَثَ الوحيُ، يستشيرُهما في فراقِ أهلِه.

قالت: فأما أسامةُ بنَ زيدٍ فأشارَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالذي يعلمُ منْ براءةِ أهلهِ، وبالذي يعلمُ في نفسِه لهم مِنَ الودِّ.

فقال: يا رسولَ الله! همْ أهلُك ولا نعلُم إلا خيراً.

وأما عليٌّ بنُ أبي طالبٍ فقال: لم يُضيِّقِ اللهُ عليكَ، والنساءُ سِواها كثيٌر، وإنْ تسألِ الجاريةَ تصدُقْكَ، قالت فدعا رسولُ الله ﷺ بَريرةَ فقال: «**أَيْ بَرِيرَة! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكَ مِنْ عَائِشَة؟**» قالت له بريرة: والذي بعثكَ بالحقِّ! إنْ رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصُهُ عليها، أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السِّن، تنامُ عن عجينِ أهلِها فتأتي الداجنُ فتأكلُهُ.

قالت: فقامَ رسولُ الله ﷺ على المنبرِ، فاستعذَرَ منْ عبدِ الله بنِ أُبي ابنِ سلول.

قالت: فقالَ رسولُ الله ﷺ وهو على المنبر: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ! مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**».

فقام سعدُ بنُ معاذٍ الأنصاريُّ فقال: أنا أعذِرُكَ منه يا رسولَ الله! إنْ كانَ منَ الأوسِ ضربنا عنقَه، وإن كانَ من إخوانِنا الخزرجِ أَمرْتَنا ففعلنا أمرَك.

قالت: فقامَ سعدُ بنُ عبادَة، وهو سيدُ الخزرجِ وكانَ رجلاً صالحاً ولكنِ اجْتَهَلَتْهُ الحَمِيَّةُ[1] فقال لسعدِ بنِ معاذٍ: كذبتَ، لعمرُ الله! لا تقتلُه ولا تقدِرُ على قتلِه.

فقام أُسيدُ بنُ حُضيرٍ، وهو ابنُ عَمِّ سعدِ بنِ معاذٍ فقال لسعدِ بنِ عبادَةَ: كذبتَ، لعمرُ الله! لنقتلنَّه، فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقينَ، فثار الحيَّان الأوسُ والخزرجُ حتى همّوا أن يقتتلوا، ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ على المنبر. فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

---

(١) اجتهلته الحمية: أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل.

قالت: وبكيتُ يومي ذلك، لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنومٍ، ثم بكيتُ ليلتي المقبلةَ. لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنومٍ، وأبواي يظنّان أنَّ البكاءَ فالقٌ كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصارِ فأذنْتُ لها، فجلسَتْ تبكي.

قالت: فبينما نحنُ على ذلك دخلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فسلَّم ثم جلسَ.

قالت: ولم يجلسْ عندي منذ قيلَ ما قيل، وقد لبثَ شهراً لا يُوحَى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهدَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ جلَس ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيهِ**».

قالَتْ: فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالَته، قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، -وهذه حالةٌ شبيهةٌ بالحالةِ التي يمرُّ فيها الإنسانُ قَبْلَ الموتِ: الدمُ يتوقفُ، والدموعُ تنقطِعُ؛ إنها لحظةٌ أليمةٌ-.

فقلت لأبي: أجبْ عنّي رسولَ اللهِ ﷺ فيما قال.

فقال: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقلت لأمي: أجيبي عني رسولَ الله ﷺ.

فقالت: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقلت، وأنا جاريةٌ حديثةُ السنِّ لا أقرأ كثيراً منَ القرآن: إني، والله! لقد عرفْتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرَّ في أنفسِكم وصَدَّقتم به، فإن قلتُ لكم: إني بريئةٌ، واللهُ

يعلـمُ أني بريئـةٌ لا تُـصدِّقوني بـذلكَ، ولـئن اعترفْـتُ لكـم بـأمرٍ، واللهُ يعلـمُ أني بريئـة، لتصدقونِّي، وإني، والله! ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا كما قالَ أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

قالت: ثـم تحولْـتُ واضـطجعتُ على فراشي، قالـت: وأنـا واللهِ! حينئـذ أعلـمُ أني بريئةٌ، وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي، ولكنْ، واللهِ! ما كنتُ أظنُّ أن يُنزَلَ في شـأني وحيٌ يُتلى، ولَشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلمَ اللهُ ﷻ فيَّ بـأمر يُتلى، ولكنـي كنـتُ أرجـو أن يرى رسولُ اللهِ ﷺ في النومِ رؤيا يُبرِّئني الله بها.

قالت: فوالله! ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ مجلسَهُ، ولا خرجَ مـن أهـلِ البيـتِ أحـدٌ، حتى أنزلَ اللهُ ﷻ على نبيه ﷺ، فأخـذه مـا كـانَ يأخـذهُ مـن البُرحَـاء عنـد الـوحي، حتى إنّـه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجَمان من العرقِ، في اليومِ الشاتي، من ثِقلِ القولِ الذي أُنزِلَ عليه.

قالت: فلمَّا سُرِّي عنْ رسولِ الله ﷺ، وهو يضحَكُ، فكـان أولَ كلمـةٍ تكلَّـم بهـا أنْ قالَ: «**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ! أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» فقالت لي أمي: قُومي إليه.

فقلتُ: والله لا أَقومُ إليه، ولا أحمدُ إلا اللهَ، هو الذي أنزلَ براءتي.

قالت: فأنزلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١٠]، فأنزلَ اللهُ ﷻ هذهِ الآياتِ ببراءتي [(١)]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) واللفظ لمسلم.

تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

و بعض هذه العصبةُ كانوا مجموعةً كان لهم هدفٌ، وغايةٌ؛ كانوا يريدون أن تشيعَ الفاحشةُ في المجتمعِ المسلمِ.

والذي تولى كبرَه منهم أي: نشرَ هذا الإفكَ والبهتانَ وهو زعيمُ المنافقين.

وفي هذه الآياتِ رَبَّى ربُّنا جلَّ وعلا المسلمينَ وعلَّمهم كيفَ يواجهونَ الأخبارَ والشائعاتِ الكاذبةَ، كما بيَّن رَبُّنا جلَّ وعلا تحذيرَه وتهديدَه لكلِّ من تُسَوِّلُ له نفسُه بإشاعةِ أخبارِ الفاحشةِ في المؤمنين.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[النور].

ثم ختم الله ﷻ الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

هكذا عاشَ الرسولُ ﷺ وآلُ بيته، وأبو بكرٍ وآلُ بيته، والمجتمعُ المسلمُ كُلُّه شهراً كاملاً في غَمٍّ وحزنٍ ونكدٍ وَهَمٍّ بسببِ كلمةٍ واحدةٍ اختلَقها وألّفها وكذَبَ بها منافقٌ حاقدٌ ثم أشاعَها في كلِّ مكانٍ وتبعه من المؤمنين الصادقين مَنْ تبعه.

ومن الدروسِ والعظات والعبرِ التي تؤخذُ من صبرِ عائشة رضي الله عنها، ومنَ الآياتِ التي نزلت في براءتها:

**أولاً: أنَّ كُلَّ ما يصيبُ المسلمَ في هذه الدنيا فهو خيرٌ له في الدنيا والآخرة.**

فإن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

والرسولُ ﷺ يقول: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»(١).

وكم يظنُّ الإنسانُ بأمرٍ شراً فيأتيه الخيرُ بسببه، وكم يحسبُ الإنسانُ الخيرَ بأمرٍ فيأتيه الشرُّ بسببه، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

**ثانياً: أنه يجبُ على المسلمِ إذا سمعَ شيئاً عن أخيهِ المسلمِ أن يحسنَ الظنَّ به.**

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور].

**ثالثاً: أنهُ من استعانَ بالله أعانه:**

فهذه عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عندما ابتُليَتْ بألسنة المنافقين، ومرضى القلوب، وقالوا فيها ما قالوا، قالت: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

فصَبرَتْ على ما قالوا، واستعانَتْ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ وحدهُ فجعلَ اللهُ لها مخْرَجاً، وانزل براءتها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

وهذا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قالَ له أبناؤُهُ: إنَّ الذئبَ قد أكل يوسف ما كان منه إلا أن قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف]، فصبر على فقد يوسفَ، واستعانَ بالله فجعلَ اللهُ له مخرجاً وجمع بينَه وبين يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قالوا له: إن فرعون يريدُ قتلَك أنتَ ومَنْ آمنَ معك قال: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]، فجعلَ اللهُ له مخرجاً فنجاهُ اللهُ ومنْ معهُ وأغرَقَ فرعون ومن معه.

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء].

وهكذا فإن كلَّ من استعانَ بالله أعانَه، ولذلكَ أمرنا الله تعالى أن نستعينَ به في كلِّ

ركعةٍ من صلاتنا فنقولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

وما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.



# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحبوهُ أكثر من كلِّ شيءٍ ويصبروا على ذلك

عبادَ اللهِ! يقولُ الله ﷻ لرسولِهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

أرسلَ الله ﷻ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً، وأمرهُ أن يُبلغَ ما أُنزل إليه من رَبِّه فَبَلَّغ ﷺ الرسالةِ، وأدى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وكشفَ الغمَّةَ، وجاهدَ في سبيل دينه حتى أتاهُ اليقين، وتركَ أمتَهُ على البيضاءِ لَيلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلَا هالكٌ أو ضال، ووصّاهم بوصايا عظيمة إذا تمسكوا بها، وعملوا بمقتضاها سَعِدُوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع:

**الوصيةِ السادسةِ لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتهُ ﷺ للمسلمين أن يحبوهُ أكثر من كلِّ شيءٍ ويصبروا على ذلك.**

يقولُ ﷺ لكلِّ مسلمٍ رضي بالله رَبّـاً وبالإسلام دينـاً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والناسِ أَجْمَعِينَ**»[1]. ولما قالَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لرسولِ اللهِ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إِلَّا مِن نَفْسِي.

فَقالَ النبيُّ ﷺ: «**لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِن نَفْسِكَ**» .

فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن نَفْسِي.

فَقالَ النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عُمَرُ**»[2]. -أي: الآن كَمُلَ إيمانك يا عمر-.

كيف لا؟ والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

أي: النبيُّ أولى بالمحبّةِ من نفسِكَ التي بينَ جنبيك؛ فالنبيُّ يدعوكَ إلى جنةٍ عرضُها السموات والأرضُ، ونفسُكَ التي بين جنبيكَ تدعوكَ إلى النار.

يقول ﷺ: « **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي**»[3].

فالواجبُ على المسلم أن يحبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من كلِّ شيءٍ حتى من نفسِه التي بين جنبيه.

معشرَ المسلمين! كيف تكونُ محبتُنا شرعيَّةً لرسول الله ﷺ؟

هل تكونُ بأكل الحلوى يومَ مولده، أو تكونُ بالاحتفالِ بمولدهِ في يوم واحدٍ في

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٥).

السنة، أو تكونُ بالتغني بالأناشيد والمبالغةُ في مدحهِ ﷺ مع مخالفةِ سنتهِ وهديهِ، كما يفعل الكثير من المسلمين في هذه الأيام؟

المحبةُ الشرعيةُ لرسولِ الله ﷺ تتمثلُ في:

**أولاً: أن نحبَّه بقلوبنا أكثر من كلِّ شيءٍ لأنَّهُ ﷺ رسولُ اللهِ، أرسلَهُ ربُّهُ رحمةً للعالمين، وأخرجَنا اللهُ بهِ من الظلماتِ إلى النور.**

وهذه المحبةُ لرسولِ اللهِ ﷺ لها في القلبِ حلاوة يشعرُ بها المؤمن.

يقول ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**». فذكر منها: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»[1].

وهذه المحبّةُ في القلبِ تدفعُ صاحبَها إلى الدفاعِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وفدائهِ بالآباءِ والأمهات، وقد ضربَ الصحابةُ رضي الله عنهم أروعَ الأمثلةِ في ذلك فمنهم:

١- أبو بكر الصديقُ رضي الله عنه عندما سمعَ النبيَّ ﷺ يودِّع أمتَه على المِنبرِ ويقولُ لهم: «**إنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيَا وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ما عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا[2].

٢- خُبيب بنُ عَدِيٍّ رضي الله عنه: أخذَه كفارُ مكة، وعذَّبوه وقالوا له: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ الْعَظِيمِ مَا أُحِبُّ أَنْ يُفَدِّيَنِي بِشَوْكَةٍ يُشَاكُهَا فِي قَدَمِهِ، فَضَحِكُوا مِنْه[3].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٣) رواه الطبراني (٥٢٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٤٦).

ولذلك قال فيه القائلُ:

أسَرَتْ قُرَيشٌ مُسلماً ... فمضى بلا وَجَلٍ إلى السَّياف

سألوه: هل يُرضيكَ أنك سالمٌ ... ولَكَ النبيُّ فِدىً من الإتلاف؟

فأجابَ: كلا، لا سَلِمتُ من الردى ... وَيُصابُ أنفُ محمدٍ برُعافِ

وقال أبو سفيانَ قبل أن يُسلمَ: واللهِ ما رأيتُ أحَداً من الناسِ يحبُّ أحداً كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً[1].

٣- وهذانِ غلامان صغيران في السن يُحبّان النبيَّ ﷺ حبّاً شديداً، فلما سمعا أن أبا جهلٍ يَسُبُّ النبيَّ ﷺ عزما على قتله.

يقول عبد الرحمن بنُ عوفٍ رضي الله عنه: (بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ[2] مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ[3] حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ[4] فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أضلع: أقوى.

(٣) سوادي سواده: أي شخصي شخصه.

(٤) يزول: يتحرك بقلق.

تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُه، فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ**»[1].

## ثانياً: محبّته ﷺ تتمثلُ في الاتباع وعدم الابتداع.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران:٣١].

فالمحبةُ هي الاتباع؛ ولذلك قالَ تعالى في إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ** ﴾ [آل عمران:٦٨].

فأولى الناسِ بمحمدٍ ﷺ لهمُ الذين اتبعوه، وتمسكوا بسنتهِ، واهتَدَوا بهديهِ، ولقد ضربَ الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أروعَ الأمثلةِ في الاتباعِ وعدمِ الابتداع ومن هؤلاء:

١- أبو بكرٍ الصديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ[2].

الله أكبر! صدِّيقُ هذه الأمة يخشى على نفسه الزَّيْغَ إنْ تركَ شيئًا من السنة.

٢- الفاروقُ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَبِّلُ الحجرَ الأسودَ ويقول: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

٣- وابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما أفتى بجوازِ التمتعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ قالوا: لكنَّ أبا بكرٍ وعمرَ يقولان خلافَ قَولِك؟ فغضبَ ابنُ عباسٍ وقال: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ! أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقُولُ: قَالَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟[١].

فالصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ضربوا للأمّةِ أروعَ الأمثلةِ في المحبةِ الشرعيةِ لرسولِ الله ﷺ والتي تتمثلُ في اتباعِهِ، والتمسكِ بهديِه، والسير على طريقته، ولم يكتفوا بذلك بل أَنكروا على كلِّ مَنْ خالَفَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ أو ابتدع في دينِ اللهِ.

ومنَ الأمثلة على ذلك:

١- عبدُ اللهِ بنُ مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ[٢] فَقَالَ لَهُ: لاَ تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الخَذْفَ وقالَ: «**إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ**». ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الخَذْفِ أَوْ كَرِهَ الخَذْفَ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ؛ لاَ أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا[٣].

٢- عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ)[٤].

يضربُ لنا أروع الأمثلةِ في الإنكارِ على أهلِ البدعِ، في يومٍ من الأيامِ جاءَ أبو موسى الأشعريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عبد اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ!

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٣٧).

(٢) الخذف: هو وضعُ الحصاة بين إصبعين وضربها على أحدٍ.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري(٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).

(٤) رواه الدارمي (٢١١).

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: مَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصا فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، وِانْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يُضَيَّعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟!

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرحْمَنِ حَصاً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلَالَةٍ!

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»[1] وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: (رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ)[2].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤).

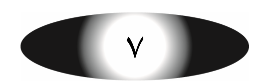
(٢) رواه الدارمي (٢٢٢، ٢٢٣)

نعم والله! ما ابتدعَ رجلٌ بدعةً إلا استحَلَّ السيفَ.

وها هم أهلُ السنةِ اليومَ يُقتَّلونَ بغير سببٍ بأيدي أهل البدعِ من الشيعةِ والخوارجِ ونحن نأكلُ الحلوى نحتفلُ بمولدهِ ﷺ ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

ما هي وصية النبي ﷺ لأمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.



## وصيتهُ ﷺ للمسلمين بالمحافظةِ على نعمةِ الأمنِ، والصبرِ على ذلك مهما كانت الفتنُ[1]

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ [الأنعام].

في هذهِ الآيات يَمْتَنُّ اللهُ على عبادِهِ المؤمنينَ بنعمةِ الأمنِ.

وأرسلَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ ليعيشَ المؤمنونَ في أمنٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)﴾ [الدخان].

وَوَصَّى رسولُ الله ﷺ أمتَهُ حكاماً ومحكومين بالمحافظةِ على نعمةِ الأمنِ.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

**الوصيةِ السابعةِ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين بالمُحافظةِ على نعمةِ الأمنِ، والصبرِ على ذلك مهما كانت الفتن.**

قالَ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»[2].

---

(١) هذه الخطبة أُلقيت بعد الأحداث المؤسفة بمدينة الكرك جنوب الأردن سنة ٢٠١٦م.

(٢) حسن لغيره: رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، [«صحيح الترغيب» (٨٣٣)].

فتأمَّلْ يا عبدَ اللهِ! هذا الحديثَ فإنه يدلُّ على أنَّ مَنْ حازَ على ثلاثةِ أشياءَ فكأنه ملكَ الدنيا بأسرِها:

**أولاً:** الأمنُ في النَّفسِ وَالمالِ والأهلِ والعيال.

**ثانياً:** الصحةُ والعافيةُ في الجسدِ.

**ثالثاً:** توفُّرُ قوتِ اليوم.

فأولاً بدأ النبيُّ ﷺ بنعمةِ الأمنِ؛ لأنه لا لَذةَ ولا تمتُّعَ بنعمةِ العافيةِ والطعامِ إلا بوجودِ نعمةِ الأمنِ والأمانِ.

وقال ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[١].

معناه: من لم يُؤذ مسلماً بقولٍ ولا فعلٍ، وخَصَّ اليدَ بالذِكر؛ لأن معظمَ الأفعالِ بها.

إذاً المسلمُ الكاملُ الإسلامِ مَنْ سَلِمَ الناسُ من أذاه؛ بيده أو بقولِه، ولا شكَّ أن أَذِيَّةَ النّاسِ بالقتلِ، والتفجيرِ، واحتجازِهم كرهائِنَ، وقتل اطفالِهم، وإتلافِ أموالِهم، كلُّ ذلكَ داخلٌ تحت هذا الحديث.

فتأمل أيها المسلمَ!!

وقال ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٢].

وفي لفظ: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٣].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (٩٨).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٩٩).

فعلى من سوَّلَتْ له نفسُه أو حرَّضَه غيرُه على قتل المسلمينَ في عُقْرِ دارِهم أن يتمعَّنَ في هذا الحديثِ مليًّا؛ لأَنَّ معناه عميقٌ جداً وخطير؛ فهو يُشكِّلُ تهديداً لكلِّ من سوَّلت له نفسُه بقتل المسلمين سواءٌ بالسيفِ أو التفجير أو الاغتيال.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىَ قال: حَدَّثنا أصحابُ محمدٍ ﷺ، أنهم كانوا يسيرون مع النبيِّ ﷺ فنامَ رجلٌ منهم، فانطلقَ بعضُهم إلى حَبْلٍ مَعهُ فأخذَهُ، فَفَزِعَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»(١).

قلت: نفيُ الحِلِّ هنا غايةٌ في الزَّجرِ عن التَّرويع والفَزعِ، ودعوةٌ لرَفعِ الرَّوْعِ والخَوفِ عن الناس، فلا ينبغي للمسلمِ أن يُفْزِعَ أو يروِّعَ مسلماً، ولو بأخذِ أبسطِ الأشياءِ منه كالحَبلِ مثلاً، فكيفَ بالتّفجير، والإرهابِ، وسَلْبِ حياتِه منه، أو أطرافِه أو مالِه أو بيتِه أو عيالِه؟!

وفي هذه الأحاديث يُذَكِّرُ رسولُنا ﷺ أمتَهُ بنعمة الأمنِ، ويوصيهم بالمحافظةِ عليها، ويحذِّرُهم من الاعتداءِ عليها.

والذي دفعني للحديث عن هذه الوصيةِ في هذا اليومِ بالذاتِ ما حدثَ في مدينةِ الكرك في هذا الأسبوع من الاعتداءِ على أمنِ البلادِ ورِجالِ الأمن، وترويع الآمنين مِنْ قِبَلِ مَنْ يدَّعون الإسلامَ والإسلامُ من أعمالهم وفكرهم بريءٌ.

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَة**»(٢):

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٠٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

فهذه رسالةٌ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ أُوَجِّهُها للذين يحملونَ فكرَ التّكفيرِ ويعتدونَ على أمنِ بلادِ المسلمين، وعلى أرواحِ عباد اللهِ الآمنين.

**أولاً:** اعلموا يا من تحملونَ فكرَ الخوارجِ أنَّ الأمنَ ضدُّ الخوفِ، فإذا ذهبَ الأمنُ من بلدٍ حَلَّ مكانهُ الخوفُ والحزنُ والرُعبُ والفوضى والنهبُ والسَّلبُ وتركُ العبادةِ، وانتهاكُ الأعراض وغيرُ ذلك من البلايا، وما يحدثُ في بعضِ بلادِ المسلمينَ اليومَ أكبرُ شاهدٍ على ذلك.

فماذا تريدون يا معشرَ التكفيريين باعتدائكم على أمنِ بلادِكم، وقتلِ رجالِ الأمنِ؟!

هل تريدون بلداً بلا أمنٍ ولا رجالِ أمنٍ ولا وَليٍّ أمر؟ إنّها الغابةُ التي تَطبَّقُ فيها شريعةٌ يقتلُ القويُّ فيها الضعيف، وفي ظلِّ الأمنِ يأمنُ الناسُ على أنفسِهم وأموالهم وأعراضِهم، ويتمكنون من عبادةِ ربِّهم.

ففي ظلِّ الأمنِ الناسُ ينحتون من الجبالِ بيوتاً، قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحِجر].

وفي ظلِّ الأمن نتمكنُ من اداءِ مناسكِ الحجِّ والعمرةِ، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ﴾ [البقرة:١٩٦].

وفي ظلِّ الأمن نحافظُ على الصلاةِ في وقتها، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة].

ولذلكَ سألَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ نعمةَ الأمنِ لذريّته قبلَ ان يَسألَه الرزقَ لهم،

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

واستجابَ اللهُ ﷻ دعوةَ إبراهيمَ عليه السلام وجعَلَ مكةَ حَرَمًا آمنًا، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)﴾ [العنكبوت].

وامتنَّ اللهُ على قريشٍ بنعمةِ الأمنِ، وأَمَرَهم أن يشكروه عليها فقال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾ [سورة قريش].

فلم يشكروهُ على هذه النعمة العظيمة، وكفروا بالله، ولم يستجيبوا لرسوله ﷺ فحرمهم نعمةَ الأمنِ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾ [النحل].

أَمَا آن الآوانُ يا معشرَ التكفيريين أن تفهموا قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

وأعظمُ نعمةٍ بعدَ الإيمانِ هي نعمةُ الأمنِ والأمانِ.

أما آنَ الأوانُ يا معشرَ التكفيريين أن تفهموا قولَهُ ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (٩٨).

وقولهُ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»(١).

أم أنكم تقرؤون ما أُنزلَ على رسولِ الله ﷺ ولا يجاوزُ حناجرَكم كما أخبرَ النبيُّ ﷺ عنكم أم أنكم كما قالَ الله ﷻ: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾**﴾ [الأعراف].

أم أنتم كما يقولُ ربُّ العزة: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾**﴾ [الحج].

نسألُ اللهَ العظيم أن يحفظَ البلادَ والعبادَ من شرِّكم وفكرِكم فأنتم كما قال ﷺ: «**شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»(٢).

**ثانيـًا:** يا معشر التكفيريين! يا مَنْ تَحملونَ فكرَ الخوارج! أذكّرُكمُ أن الاعتداءَ على الأنفسِ البريئةِ عامّةً وعلى رجالِ الأمنِ خاصةً بالقتلِ حرامٌ:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال تعالى: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:٣٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾**﴾ [النساء].

(١) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، [«صحيح الترغيب» (٨٣٣)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٦٧).

وقال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(١).

وقد أكّدَ ﷺ في خُطبتِه في حَجةِ الوَداعِ حُرمةَ دماءِ المسلمين وأموالِهم وأَعراضِهم بتشبيهها بحرمةِ الزمانِ والمكانِ فقال ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٢).

وقال ﷺ: «**وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»(٣).

يا معشرَ التكفيريين أُذَكِّركم:

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٤).

ويقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: سمعتُ نبيَّكُم ﷺ يقولُ: «**يَجِيءُ** -أي: المقتولُ يومَ القيامةَ- **مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟**»(٥).

فالقاتلُ إذا لم يتبْ كانَ منَ الخاسرين والنادمين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٧٤١).

(٣) **صحيح**: مسلم (١٨٤٨).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٣٩٩٩)، وأحمد (١/ ٣٦٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٧٤)].

وقال تعالى في حقِّ القاتل: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة].

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقول: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»[1].

وأنتم يا معشرَ التكفيريين يا مَن سَنَنْتُم قتلَ الأبرياءِ عامةً ورجالِ الأمنِ خاصةً في هذا الزمان، فهل من توبةٍ قبلَ الموتِ وقبلَ أن تندموا في وقت لا ينفعكم فيه الندمُ فإني واللهِ لكم لناصحٌ أمين.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كانَ في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).



## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يعتصموا بمنهجِ الحقِّ، وأن يصبروا على ذلك لأنّهُ هو منهجُ الطائفةِ المنصورةِ[1]

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ لرسولِه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ومن رحمتِهِ ﷺ بالمؤمنينَ أنْ وصّاهُمْ بوصايا عظيمة، إذا تمسكوا بها وعملوا بمقتضاها سَعِدوا في الدُّنيا والآخرة.

ولذلكَ فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

**الوصية الثامنة لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي:**

**وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ أن يعتصموا بمنهج الحقِّ، وأن يصبروا على ذلك لأنهُ هو منهجُ الطائفةِ المنصورةِ.**

(١) وهذه الخطبة أيضاً أُلقيت بعد أحداث الكرك (سنة ٢٠١٦م) عندما ادّعى التكفيريون الذين قتلوا رجالَ الأمن أنهم على المنهج الحقّ وأنهم من السلفيين.

يقولُ ﷺ: «**لا تزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢).

ويقولُ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٣).

وعن العِرباضِ بنِ سارية رضي الله عنه قال: (وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٤). وفي هذه الوصايا يُوصِي النبيُّ ﷺ المسلمين أن يعتصموا بمنهج الحقِّ، فالحقُّ أحَقُّ أن يُتَّبَعَ، وليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضلال.

ومنهجُ الحقِّ هو منهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وهم أهلُ السنةِ والجماعةِ، وهم السلفُ الصالحُ، وهمُ الطائفةُ الظاهرةُ المنصورةُ التي لا يضُرُّها مَنْ خالفها ولا مَنْ خذَلها، ولا مَن ادَّعى الانتسابَ إليها وهو ليس منها.

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٣٧).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٢٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥٣٣).

(٤) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦)، والحاكم (٣٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

ومنهجُهم الذي هو منهجُ الحقِّ هو: الكتابُ والسنة بفهمِ سَلَفِ الأمةِ.

وقد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ وأقوالِ السلفِ الصالح تأمرُ بالتمسكِ والاعتصامِ بمنهجِ هذهِ الطائفةِ المنصورة:

**أولاً: من كتابِ اللهِ ﷻ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

**ثانياً: من سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ:**

قالَ ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(١).

فجعلَ النبيُّ ﷺ بقاءَ الصحابةَ بينَ الأمةِ أَمَنَةً لهم وحرزاً من الشرِّ وأسبابِهِ(٢).

وجعلَ النبيُّ ﷺ التمسكَ بمنهجِهم رضي الله عنهم سبباً لإقامةِ الخلافةِ، فقالَ ﷺ في حديثه

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٤/ ١٣٧).

الذي بَشَّرَ فيه الأمة: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ**»[1].

فالخلافةُ التي على منهجِ النبوةِ هي التي جاءَت بعدَ النبوةِ؛ والذينَ أقاموها همُ الصحابةُ ﭬ، والخلافةُ القادمةُ التي بشَّر بها النبيُّ ﷺ ستكونُ على منهاج النبوةِ، فهل الصحابةُ ﭬ سيقومون من قبورِهم لإقامةِ هذه الخلافةَ، أمْ أنَّ الأمةَ لا بُدَّ أن ترجعَ إلى منهجِ الصحابةِ الذي هو منهجُ الحقِّ لتقومَ لهم الخلافة على منهاج النبوة؟!

أظُنُّ ان الجوابَ الذي لا يختلفُ فيه اثنانِ هو أنَّ الأمةَ لا بُدَّ أن ترجعَ وأن تعتصمَ بمنهج الصحابة الذي هو منهجُ الحقِّ لتقومَ لهم هذه الخلافة. فليستِ الخلافةُ أبداً على منهاج التكفيريينَ والحزبيين والخوارج.

وقال ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**». إلى أن قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والبزار (٢٧٩٦)، [«الصحيحة» (٥)].

(٢) **جيد**: رواه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠/ ١٢٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٩٢)]

وفسَّرَ النبيُّ ﷺ الجماعةَ في روايةٍ فقالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

**ثالثاً: الأدلةُ من أقوالِ السلف:**

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ، كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)(٢).

وقال أيضـًا: (مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ)(٣).

وقال الإمامُ الأوزاعيُّ رحمه الله: (اصْبِرْ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ)(٤).

فمنهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم ومَنْ تبعهم بإحسانٍ هو نفسُهُ منهجُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، هو نفسُهُ منهجُ السلفِ الصالح، وهذا المنهجُ منهجٌ ربانيٌّ معصومٌ قائمٌ على الدليلِ من الكتابِ والسنةِ، وأقوالِ سلفِ الأمة.

وهذا المنهجُ فضَّاحٌ، فمن ادّعاهُ وليس منهُ فضحَهُ وكَشَفَهُ وأخزاهُ.

ومن الأمثلة على ذلك:

(١) **حسن:** رواه الترمذي (٢٦٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٦٤٦)، [«الصحيحة» (٢٠٤)].

(٢) ذكره البغوي في «شرح السُّنة» (١/ ٢١٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥).

(٤) اللالكائي في «أصول السنة» (٣١٥).

**المثالُ الأولُ:** الخوارجُ الذين خرجوا على عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه كانوا أحْفَظَ الناسِ للقرآن، وكانوا مِنْ أشدِّ الناسِ عِبادةً، ورفعوا رايةَ التغيير والإصلاح.

فقالوا: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ولكنهم ضلوا الطريقَ ولم يفهموا الدينَ فهماً صحيحاً، فذهبَ إليهم ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، وردَّ على شُبُهاتِهم، وبيَّن لهم أنهم ليسوا على منهجِ الصحابةِ الذي هو منهجُ الحقِّ، واستدلَّ على ذلك بقولِهِ لهم: (وليسَ فيكم أحدٌ منهم)، فرجَعَ منهم ألفان، وخرَج سائرهم -أي: على عليٍّ رضي الله عنه- فقُتِلوا على ضلالتِهم؛ قَتَلَهُم المهاجرون والأنصار.

وكذلك يفضحُ منهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم كُلَّ مَنِ ادَّعى الانتساب إليه.

**المثال الثاني:** حزبُ الله الشيعي؛ كذبَ على الناسِ، وافْتَتَنَ به مَنْ لا علمَ له في يومٍ من الأيامِ، وها هو اليوم قد انفضحَ أمرُهُ وتبينَ للجميع أنهُ مِنْ أشدِّ الناسِ عداوةً لأهلِ السنةِ والجماعة.

**المثالُ الثالث:** التكفيريون الذين يحملونَ فِكرَ الخوارج ويَدَّعونَ أنهم من أهلِ السنة والجماعةِ، بل منهم من يتجرأُ وينسبُ نفسَهُ إلى السَّلفيين والسلفيون منهم بَراءٌ؛ فالسلفية منهجٌ وسبيلٌ وطريقٌ يُوصلُ إلى رضى الله والجنّة، وليست حِزباً، ولا تنظيماً، ولا تكتُّلاً، ولا جماعةً بدْعيةً لها أميرٌ بِدعيٌّ، يُبايَعُ بَيْعَةً بِدْعيةً، إنّما أميرُهم وقائدُهم الذي ينطلقونَ مِنْ أمرهِ ونهيِهِ: هو رسولُ اللهِ ﷺ.

فكلُّ مؤمنٍ يعبدُ اللهَ وحْدَهُ ولا يُشركُ به شيئاً، ويتأسّى برسولِ الله ﷺ وحدَهُ ولا يبتدعُ في دين الله، ويسلُكُ سبيلَ الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان ولا يسلُكُ سبيلَ الشيطانِ؛ فهو سلفيٌّ، حاكماً كان أو محكوماً، ذَكراً كانَ أو أنثى، غنياً كانَ أو فقيراً،

عربيـًا كانَ أو أعجميـًا.

فكلُّ مَنْ تأسَّى بسلفِهِ الصالح مِنَ الصحابة ومَنْ بعدهم، وسلكَ منهجهم فهو سَلفيٌّ.

وكلُّ مَنْ تأسّى بالخوارج والتكفيريين والحزبيينَ وسلكَ منهجَهم فهو خارجيٌّ أو تكفيريٌّ أو حزبيٌّ.

فَمِنْ هؤلاءِ المبتدِعةِ مَنْ خرَجَ على وليّ أمرهِ بالمظاهرات وغيرِها، ومنهم من كَفَّرَ المسلمينَ واستحلَّ دماءَهم، ومنه مَنْ تحزَّبَ وفرَقَ الأمةَ فِرَقـًا وأحزابـًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

ومنهجُ الحقِّ، منهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم ومَنْ تبعهم بإحسانٍ، منهجُ السَّلَفِ الصالحِ فَضَحَهم، وبَيَّن أنَّ مِنْ منهج السلفِ الصالح أنهم لا يخرُجونَ على ولاة أمرِهم، ولا يُكَفِّرونَ أحداً مِنَ المسلمين بذنبٍ ما لم يَسْتَحِلَّهُ، ولا يتحزبونَ لأنَّ التحزبَ سببٌ لتفريق الأمة وضعفِها، فاعْتَصِموا عبادَ اللهِ بمنهجِ الحقِّ وعَضُّوا عليه بالنواجذ.

**عبادَ الله!** وانطلاقـًا من قولِه تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨].

ومن قوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧٠-٧١].

ومن قوله تعالى على لسان هودٍ عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [الأعراف].

ومن قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَة**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

هذه أسئلةٌ أُوَجِّهُها إلى التكفيريين الذين يحملونَ فكرَ الخوارجِ المشؤوم وإلى الحزبيين ليهلِكَ مَنْ هلكَ عن بينةٍ ويحيى مَنْ حي عن بينةٍ.

**السؤال الأول:** هلِ الخروجُ على ولاةِ الأمرِ بالمظاهراتِ من منهجِ الصحابة ﭫ الذي هو منهجُ السلفِ الصالحِ؟!

الذي يُجيبُ على هذا السؤالِ هو رسول اللهِ ﷺ ليفضحَ أمرَكم أيها الخوارج.

يقول ﷺ: «**إِنَّهَا ستكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» -والأثرةُ استئثار الحكام بالدنيا-. قَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ! كَيفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذلكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وتَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ**»(١).

فالنبيُّ ﷺ لم يأمرِ المسلمينَ أن يخرجوا إلى الشوارعِ في مظاهراتٍ يطلبونَ حقَّهم.

وسأَلَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقالَ: **يَا نَبِيَّ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟** فقال ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»(٢).

فالنبيُّ ﷺ أمرَ المسلمين بالسمعِ والطاعةِ لولاةِ الأمر الذين يطلبونَ حَقَّهم من الرعيةَ ويمنعونهم حقهم، ولم يأمرِ النبيُّ ﷺ المسلمين أن يخرجوا في مظاهراتٍ إلى الشوارعِ يطلبونَ إسقاطَ النظامِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣)

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٦).

وهاهم سلفُنا الصالحُ يمنعونَ الناسَ من الخروجِ على ولاةِ الأمرِ ولو ظَلَموا.

فهذا أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما شكا له الناسُ ظلمَ الحجاج قالَ: لهم: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا والَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ[1].

فلم يأمرْ انسُ بنُ مالكٍ الناسَ بالخروج في الشوارعِ في مظاهراتٍ يُطالبونَ بسقوطِ نظامِ الحجاج.

وهذا عمرُ الفاروقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يأمرُ رجلاً بالسمعِ والطاعةِ لوليِّ الأمرِ وإنْ ضربَهُ وحَرَمَهُ؛ عن سويدِ بنِ غَفْلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ لِي عُمَرُ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يُنْقِصُ دِينَكَ، فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي، وَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ[2].

وها هي عقيدةُ السلفِ الصالحِ: (ولا نرى الخروجَ على أئمتِنا، وولاةِ أمورِنا؛ وإنْ جاروا، ولا نَدْعو عليهم، ولا ننزعُ يداً من طاعتِهم، ونرى طاعتَهم من طاعةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فريضةً ما لم يأمُروا بمعصيةٍ، وندعو لهمْ بالصلاحِ والمعافاة)[3].

فهذه عقيدةُ ومنهجُ السلفِ الصالحِ، فهل هذه عقيدتُكم ومنهجُكم يا معشرَ التكفيريينَ والحزبيين؟!

**السؤالُ الثاني:** هل تكفيرُ المسلمينَ والاعتداءُ على الأنفسِ البريئةِ عامةً، وعلى رجالِ الأمنِ خاصةً، من منهجِ السلفِ الصالحِ؟!

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٧٠٦٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٠٠)، والخلال في «السنة» (١/ ١١١).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٧٩).

الأدلةُ من الكتابِ والسنةَ تُجيبُ على هذا السؤال، قال ﷺ: **«أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»**[1].

وعقيدةُ السلفِ الصالحِ: (ولا نُكفِّرُ أحداً من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، ولا نقولُ: لا يضرُّ معَ الإيمانِ ذنبٌ لمن عَمِلَه)[2].

ويقولُ الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنعام:١٥١].

ويقولُ ﷺ: « **لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[3].

بل نهى النبيُّ ﷺ صراحةً عن قتلِ مَنْ أسلم، وقالَ: «لا إله إلا اللهُ» أثناءَ المعركةِ، ولو قَطَعَ يدَ المسلمِ المُقاتِل.

عن المِقدادِ بنِ الأسودِ رضي الله عنه قال: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقْتُلْهُ**». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقْتُلْهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**»[4].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣١٦).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥).

فهذه عقيدةُ ومنهجُ السلفِ الصالح، فهل هذه عقيدتكم ومنهجُكم يا معشرَ التكفيريين والحزبيين، أَمْ أنَّ كلَّ ما يحدثُ في بعض بلاد المسلمين اليومَ منَ القتل والتدمير والاعتداءِ على رجالِ الأمنِ إنما هو بسبب عقيدتكم ومنهجكمُ الفاسد؟!

فتوبوا أيها التكفيريون والحزبيون إلى ربكم قبل فوات الأوان، وكونوا أيها المسلمون من فكرِ التكفير والحزبيةِ البغضية على حذر.

اللهمّ قد بلغت اللهم فاشهد.

ما هي وصيتُه ﷺ لأمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

٩

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن لا يتسرَّعوا في التكفير، لأنَّ ذلك يؤدي إلى الإرهابِ والقتل والتدمير

**عبادَ اللهِ!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

أرسلَ اللهُ ﷻ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً، وأَمَرَهُ أن يُبَلِّغَ دينَ اللهِ إلى الناسِ، فقالَ تعالى لرسولِ ﷺ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].

فَبَلَّغَ ﷺ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصح الأمة، وكشفَ الغُمّةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينهِ حتى أتاهُ اليقين، وتركَ امتهُ على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضال، وَوَصَّاهُم بوصايَا عظيمةٍ إذا تمسكوا بها، وعملوا بمقتضاها سَعِدُوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعِدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى **مع الوصيةِ التاسعةِ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ أن لا يتسَرَّعوا في التكفيرِ، لأنَّ ذلكَ يؤدي إلى الإرهابِ والقتلِ والتدمير.**

قال ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[1].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

وقال ﷺ: «**مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»[1]، أي: رجَعَ عليهِ هذا القولُ.

وقال ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»[2].

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[3].

**عبادَ الله!** إنَّ التسرُّعَ في تكفيرِ المسلمينَ أمرٌ عظيمٌ وخطرٌ على الأمةِ كبير.

- قال الإمامُ الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (اعلَمْ أَنَّ الحُكْمَ على الرجلِ المسلمِ بخروجِهِ مِنْ دينِ الإسلامِ، ودخولِهِ في الكفرِ، لا ينبغي لمسلمٍ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يُقْدِمَ عليه إلا ببرهانٍ أوضحَ مِنْ شَمْسِ النهارِ)[4].
- وقال الإمامُ القرطبيُّ: (بابُ الكفرِ بابٌ خطيرٌ؛ أَقْدَمَ عليه كثيرٌ منَ الناسِ: فسقطوا، وتوقَّفَ فيه الفحولُ -أي: من أهلِ العلمِ-: فَسَلِموا... ولا نعدِلُ بالسلامةِ شيئًا)[5].
- وقال بعضُ العلماءِ: (إذا وجدتُمُ الرجلَ يُطْلِقُ لسانَهُ في تكفيرِ المسلمينَ، فاكتبوا على ظَهْرِهِ: لا يُفْلِحُ أبداً).

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٦١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١٣) واللفظ له.

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٣/ ٤٦٣)، [«صحيح الجامع» (٧١٠)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ لمسلم.

(٤) «نواقض الإيمان القولية والعملية» (ص٨).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (٣/ ١١١).

ففي هذه الأحاديثِ السابقةِ، وفي أقوالِ العلماءِ أعظمُ زاجرٍ، وأكبرُ واعظٍ عَنِ التَّسَرُّعِ في التكفيرِ؛ لأنَّ مَنْ كَفَّرَ أخاه المسلمَ فقد وقَعَ في مصيبتين:

**المصيبةُ الأولى:** أنه بذلك يكونُ قد استَحَلَّ دَمَهُ ومالَهُ وعِرْضَهُ فالتكفيرُ سلاحُ للقتلِ والاغتيالِ في أيدي التكفيريين، والرسولُ ﷺ يقول: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(1).

**المصيبةُ الثانية:** أنَّ مَنْ كَفَّرَ أخاهُ المسلمَ يكونُ قَدْ حَكَم على أخيهِ بأنه لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهُ أبداً، ولا يَرْحمهُ، ويُخَلِّدهُ في النارِ، وهذا من أعظمِ البَغْيِ.

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ** -أي: المذنبُ-: **خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ** -أي: المجتهدُ- **وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ(2).

كلمةٌ واحدةٌ أَوْبَقَتْ آخرتَه ودنياه، وذلكَ عندَما قالَ له: واللهِ لا يغفرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ.

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(2) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٣٦٣)، والبزار (٩٤١٨)، وابن حبان (٥٧١٢)، [«التعليقات الحسان» (٥٦٨٢)].

• فيا أيُّها المتَسَرِّعُ في تكفيرِ مَنْ حوْلَكَ! كيفَ تحكُمُ على إنسانٍ بأنه لن يغفرَ اللهُ له، وأنه لَنْ يَرْحَمَهُ؟! كيف تَحْكُمُ على مسلمٍ أنه يُخَلَّدُ في النارِ؟!

• أيها المُتسَرِّعُ في التكفيرِ! احذَرْ مِنْ تكفيرِ المسلمينَ لمجرَّدِ أنهم يفعلونَ الحرامَ، واعلَمْ أنَّ مَنْ فَعَلَ الحرامَ وهو يعتقِدُ في قلبِهِ حُرْمَتَهُ فهوَ عاصٍ للهِ ولرسولِهِ، وهو مُسْتَحِقٌّ للعذابِ والوعيدِ، ولكنه لا يكونُ كافراً بذلكَ، ولا نُخْرِجُهُ منَ المِلَّةِ بسببِ ارتكابِهِ للمعصيةِ، **والدليلُ على ذلكَ:**

• ما رواهُ البخاريُّ في «صحيحه» **بابُ ما يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شاربِ الخمرِ، وأنه ليسَ بخارجٍ منَ الملةِ:**

عَنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَجُلاً على عهدِ النبيِّ ﷺ كان اسْمُهُ عبدَ اللهِ، وكانَ يُلَقَّبُ حِماراً، وكان يُضْحِكُ رسولَ اللهِ ﷺ، وكانَ النبيُّ قد جَلَدَهُ في الشَّرابِ -أيْ: في شُرْبِ الخمرِ- فأُتِيَ به يوماً، فأمرَ به فَجُلِدَ، فقال رجلٌ مِنَ القومِ: اللهمَّ الْعَنْهُ، ما أكثرَ ما يُؤْتَى بهِ!

فقالَ النبيُّ ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[1]. -أي: إلا أنّه يحبُّ اللهَ ورسولَه-.

فهذا رجلٌ منَ الصحابةِ يَشْهَدُ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بأنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ مَعَ كَثْرَةِ شُرْبِهِ للخَمْرِ، ولما لَعَنَهُ أَحَدُ الصحابةِ نهى النبيُّ ﷺ عَنْ لَعْنِه؛ لأنه لم يَكُنْ يُرِدْ بذلك -أيْ بِشُرْبِهِ للخمْرِ- مخالَفَةَ اللهِ ورسولِهِ، ولكن غلبته نفسُه وَلَمْ يَكُنْ قَدِ استَحَلَّ شُرْبَها بقلبِهِ، وإنْ كانَ قَدِ استَحَلَّها بِفِعْلِهِ فلم يُخْرِجْهُ الرسولُ من الملةِ ولم يُكَفِّرْهُ.

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٧٨٠).

ومَعَ ذلكَ نقولُ لشاربِ الخَمْرِ اليومَ لا تفرَح بهذا الدليل وتُظنَّ أنه في صالحك! فهذا رجلٌ شَهِدَ له النبيُّ ﷺ أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ فَمَنْ يَشْهَدُ لكَ اليومَ، يا شاربَ الخمرِ المجاهرِ بهِ فاتقِ اللهَ وَتُبْ مِنَ المعصيةِ، فإنَّ المعاصيَ بريدُ الكُفْرِ كما أنّ النظرةَ بريدُ الزنى.

أما مَنِ استحَلَّ الحرامَ المعلومَ حُرْمَتُهُ منَ الدينِ بالضرورةِ، وأَنْكَرَ حُرْمَتَهُ فهوَ كافرٌ خارجٌ عنِ الإسلامِ.

واحْذَرْ أيُّها المُتَسَرِّعُ في تكفيرِ المسلمينَ أَنْ تُكَفِّرَ بعضَهُمْ لأنهم تركوا شيئًا مِنَ الواجباتِ. واعلَمْ: أنَّ مَنْ تَرَكَ الواجبَ وهو يعتقِدُ وجوبَهُ فهو عاصٍ مستحقٌّ للوعيدِ وليسَ بكافرٍ.

**والدليلُ على ذلكَ:**

يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا؛ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: فإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٠)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٩)، [«صحيح الترغيب» (١٥٣٣)].

فهذا رَجُلٌ لم يَعْمَلْ خيراً قَطُّ، ولم تَكُنْ له حسنةٌ سوى حسنةِ التوحيدِ -والتوحيدُ عملُ القلبِ واللسانِ- فغفرَ اللهُ له، وهذا يَدُلُّ على أنَّ تركَ فعلِ بعضِ الأعمالِ الواجبَةِ مع الاعتقادِ بوجوبها يجعلُ صاحِبَها واقعًا تحتَ مشيئةِ اللهِ: إن شاءَ عاقَبَهُ، وإنْ شاءَ غَفَر له ولكنه لا يَكْفُرُ.

ولكنْ إذا استَحَلَّ الحرامَ بِقَلْبِهِ، فهو كافرٌ خارجٌ عن ملّةِ الإسلامِ، أما إنْ تَرَكَهُ وهو يُقِرُّ بوجوبِهِ فهو عاصٍ لله، ومستحِقٌّ للوعيدِ والعذابِ، وهذا يُنْقِصُ إيمانَهُ، ولكنْ يجبُ ألا يَدْفَعَنا ذلكَ إلى أن نُخرِجَهُ من الملةِ، أو أن نَحْكُمَ عليه بأنَّ اللهَ لن يغفرَ لَهُ، ولن يَرْحَمَهُ، وسَيُخَلِّدُهُ في النارِ؛ فإنَّ ذلك جريمةٌ.

• أيها المتسرِّعُ في التكفيرِ! نُذَكِّرُكَ أنه ليسَ كُلُّ مَنْ نَطَقَ بالكفرِ كافراً، وليس كلُّ مَنْ فعلَ الكفرَ كافراً، فالواجبُ علينا يا شبابَ الإسلامِ إذا رأيْنا رجلاً فعلَ الكفرَ أو قالَ الكفرَ أن نقولَ: هذا قالَ كلمةَ الكفرِ، أو هذا فَعَلَ فعلَ الكُفْرِ، أما الشخصُ المُعَيَّنُ فَهَلْ كَفَرَ وخَرَجَ عن ملةِ الإسلامِ بقوله وفعلِهِ أمْ لا؟ هنا يجبُ علينا أن نتوقفَ حتى تقامَ عليه الحجةُ، وتتوافرَ الشروطُ وتنتفيَ عنه الموانِعُ، ولكن مِنْ مَن؟ منْ أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ، منَ العلماءِ الكبارِ، فإنْ رَجَعَ عن قولِهِ بعدَما أقامُوا عليهِ الحجةَ، وتابَ وأنابَ إلى اللهِ، وإلا حَكَمُوا بِرِدَّتِهِ وقُتِلَ استجابةً لقولِه ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1].

فهذه مسألةٌ كبيرةٌ وخطيرةٌ، تُتْرَكُ للعلماءِ الكبارِ يقيمونَ الحجةَ على من قالَ الكفرَ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٢٢).

أو فَعَلَهُ، أما نَحْنُ فما بُعِثْنا قضاةً على الناسِ، نُكَفِّرُ هذا ونخرجُهُ من الملةِ، ونُكَفِّرُ ذاكَ، فربما كانَ الذي قالَ الكفرَ، أو فعلَ الكفرَ مجتهداً مغفوراً له، فإنه إذا اجتهدَ في المسألةِ فأخطأَ فهو مأجورٌ، وربما كان جاهلاً لم تَبْلُغْهُ النصوصُ والأدلَّةُ، وربما كانَ لهُ من الإيمانِ والحسناتِ عندَ الله ما يوجبُ له رحمةَ اللهِ.

**ومن الأدِلَّةِ على ذلكَ:**

**الدليلُ الأولُ:** عن أبي واقدٍ الليثيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَـمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا -أي: حديثوا العهد في الإسلام-: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ!! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف:١٣٨]**، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١).

فَيَتَضِّحُ مِنْ هذهِ الحادثةِ أنَّ الذي طَلَبَهُ هؤلاءِ شركٌ، ولذلكَ شَبَّهَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بِطَلَبِ بني إسرائيلَ مِنْ موسى حينَ طلبوا منه أنْ يجعَلَ لهم إلهـًا، بل وأقسَمَ على ذلك، ومعَ ذلكَ لم يَحْكُمْ عليهمْ بالكُفرِ؛ لأنّهم لم يكونوا يريدونَ بذلك الخروجَ من الإسلامِ ولا مخالَفَةَ النبيِّ ﷺ.

**الدليلُ الثاني:** عن عبدِ اللهِ بنِ أبي أَوْفى قال: لَـمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟**» قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وأبو يعلى (١٤٤١)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩١)، وابن حبان (٦٧٠٢)، [«المشكاة» (٥٤٠٨)].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا..»**(١).

فها هو معاذٌ رضي الله عنه يسجُدُ للنبيّ ﷺ ، والسجودُ لغيرِ اللهِ كُفْرٌ، ومعَ ذلكَ عَذَرَهُ ﷺ ولم يَحْكُمْ عليهِ بالكفرِ، لأنه -أي معاذٌ- لم يكن يعلمُ هذا الحكمَ وَلم يُرِدْ بذلكَ الخروجَ عن ملّةِ الإسلامِ.

**الدليلُ الثالثُ:** عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»**(٢).

وزادَ أحمد: «.. **لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ**»(٣) -وهذا يَدُلُّ على أنَّ التوحيدَ عَمَلٌ- فهذا رجلٌ مؤمنٌ باللهِ، خائفٌ من عذابِهِ، يَظُنُّ أنه إذا ذُرِّيَ في الريحِ فلن يَجْمَعَهُ اللهُ وهذا شكٌّ منه في قدرةِ اللهِ -على قولِ بعضِ العلماءِ- ومعَ ذلكَ غَفَرَ اللهُ له، لأنه لم يَقُلْ ذلكَ كفراً باللهِ.

وقال بعضُ العلماءِ: (إنَّ الرَّجُلَ قالَ ذلكَ لِفَرْطِ خوفِهِ من عذابِ رَبِّه، فغطَّى

---

(١) **حسن صحيح:** رواه ابن ماجه (١٨٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٥١١٦)، وابن حبان (٤١٧١)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٢٩٢)، [«صحيح الترغيب» (١٩٣٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٣٠٤)، [«الصحيحة» (٣٠٤٨)].

الخوفُ على فَهْمِهِ) ولذلكَ لَمْ يَكْفُرِ الرجلُ بهذا القولِ، واللهُ تعالى أعلمُ.

• قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: (... فَلَمَّا كان مؤمناً باللهِ في الجملةِ، ومؤمناً باليومِ الآخرِ في الجُمْلةِ، وهُوَ أنَّ اللهَ يثيبُ ويعاقِبُ بعدَ الموتِ، وقد عَمِلَ صالحاً -وهُوَ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ أنْ يعاقِبَهُ على ذنوبِهِ- غفرَ اللهُ له بما كانَ فيهِ منَ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ والعملِ الصالحِ)(١).

• وقال ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: (.. وقَدْ غَفَرَ لَهُ لإقرارِهِ وخَوْفِهِ وجَهْلِهِ)(٢) وهذا يَدُلُّ على أنَّ الرجُلَ كانَ مؤمناً مُوَحِّداً وقعَ منه بعضُ الذنوبِ بجهلِهِ، فعَذَرَهُ اللهُ بهذا الجَهْلِ، وفي هذا رَدٌّ على فئتينِ من الشبابِ المغرورينَ بما عندَهُمْ من علمٍ قليلٍ:

**الفئةُ الأولى:** الذين يُطْلِقونَ القولَ بأنَّ الجهلَ ليسَ بعذرٍ مُطْلَقاً، وهذا مخالِفٌ للكتابِ والسُّنةِ وإجماعِ الأمةِ.

**الفئةُ الثانيةُ:** هُمُ الذين يُبَدِّعونَ كبارَ العلماءِ والفقهاءِ، وربما كفَّروهم؛ لسوءِ فَهْمٍ أو زلةٍ وَقَعَتْ منهم، لا يَرْقُبونَ فيهم ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨]، وما ذلك إلا لجهلِهِمْ بحقيقةِ الكفرِ الذي يَخْرُجُ به صاحِبُهُ من الإيمانِ؛ ألا وهو الجَحْدُ والإنكارُ لِما بَلَغَهُ من الحُجَّةِ والعلمِ .. ولذلكَ قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: (فَلَيْسَ كُلُّ مُخْطِئٍ كَافِرًا لَا سِيَّمَا فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي كَثُرَ فِيهَا نِزَاعُ الْأُمَةِ)(٣).

(١) ذكره ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/ ١٤٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٩١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٣٤).

التَّسَرُّعُ في تكفيرِ المسلمينَ جريمةٌ نكراءُ، والذي يُكَفِّرُ المسلمينَ مجرمٌ في حَقِّ نَفْسِهِ وفي حَقِّ أخيهِ المسلمِ.

والناسُ مع التكفيرِ طَرَفان وَوَسَطٌ: طَرَفٌ يُكَفِّرُ بِكُلِّ ذَنْبٍ وهمُ الخوارِجُ، وطَرَفٌ لا يُكَفِّرُ بأيِّ ذَنْبٍ وَهُمُ الـمُرْجِئَةُ، والفريقانِ على ضلالٍ، والوسَطُ هُمْ أهلُ السنةِ والجماعةِ، ونسألُ اللهَ أن يَجْعَلَنا وإياكُمْ منهم، وهؤلاءِ لا يُكَفِّرونَ بِكُلِّ ذنبٍ، ولكنْ يُكَفِّرُونَ مَنْ وَقَعَ فيهِ إذا اسْتَحلَّهُ، ولذلكَ قالَ الإمامُ الطحاويُّ في عقيدَتِهِ: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)[1].

وفي هذا رَدٌّ على الخوارجِ الذين يُكَفِّرونَ بِكُلِّ ذنبٍ، ثُمَّ قالَ: (وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لمن عمله)[2]، وهذا رَدٌّ على الـمُرْجِئَةِ.

ومن العلماءِ مَنْ قالَ: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِكل ذَنْبٍ)[3]، ولكنْ إذا استَحَلَّ بقلبِهِ أو أنكَرَ ما هو معلومٌ من الدين بالضرورَةِ يَكْفُرُ، ولا نقول: لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذَنبٌ كما قالتِ الـمُرْجِئَةُ، ولكن نقولُ الذنبُ يَضُرُّ الإيمانَ ويُنْقِصُهُ، فالإيمانُ في عقيدتِنا هو: (القولُ باللسانِ، والاعتقادُ في القلبِ، والعملُ بالجوارِحِ، يزيدُ بالطاعةِ ويَنْقُصُ بالمعصيةِ)، فالعمَلُ بأنواعِهِ كافّةً: عَمَلُ القلبِ، وعملُ الجوارِحِ، وعملُ اللسانِ هي من حقيقةِ الإيمانِ. ولا نُخْرِجُ أدنى عَمَلٍ منه -فضلاً عَنْ أكبرِهِ وأعْظَمِهِ- عن مُسَمَّى الإيمانِ.

فالواجبُ يا شبابَ الإسلامِ، إذا قرأَ أحدُكُمْ آيةً أو حديثاً فوجَدَ فيها إطلاقَ الكفرِ أو

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٠٥).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/ ٤٣٢).

(٣) «إتحاف السائل» صالح آل الشيخ (٢٦/ ١٣).

الظلمِ أو النفاقِ أو الفُسْقِ، فالواجبُ علينا أن نَجْمَعَ النصوصَ التي جاءَتْ في المسألةِ، ونَضُمَّ بعضَها إلى بعضٍ ونفهَمَها بفهمِ سلفِ الأمةِ ثم بعدَ ذلك نطلقُ الحُكْمَ.

**مثال:** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

ويقول ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[(١)].

فباللهِ عليكُمْ! هل هذا النفاقُ الذي ذُكِرَ في الحديثِ هو النفاقُ الذي ذُكِرَ في الآيةِ؟ الجوابُ: لا.

النفاقُ الذي ذُكِرَ في الآيةِ هو النفاقُ القلبيُّ كنفاقِ ابنِ سلولٍ الذي اعتقَدَ الكفرَ وأظهرَ الإسلامَ، فهذا وأمثالُهُ في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ، أما من اقترفَ شيئًا مِنْ شُعَبِ النفاقِ التي ذُكِرَتْ في الحديثِ فإنه يكونُ قد ارتكبَ كبيرةً وهو عاصٍ لله ومستحقٌّ للعذابِ، ولكن لا يكونُ في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ.

ولذلكَ نقول: نفاقٌ دونَ نفاقٍ، أي: هناكَ نفاقٌ يُخْرِجُ منَ الملّة، وهناكَ نفاقٌ لا يُخْرِجُ من الملةِ، وعلى ذلك فَقِسْ يا عبدَ الله! وتَعَلَّمْ وَتَفَقَهْ في دينِ اللهِ، يقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

ما هي وصيتُه ﷺ لأمته بعدّ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).



## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يَحذروا الخوارجَ لأنها فرقةٌ ضالَّةٌ وهي سببٌ لكلِّ شرّ

**عبادَ اللهِ!** يقولُ الله ﷻ لرسولِهِ ﷺ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر].

ويقولُ له أيضاً: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف].

وفي هاتينِ الآيتينِ يُخبِرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أنَّ أخسرَ الناسِ هُمُ الذين سلكوا طريقَ الضلالةِ، ويَحْسبونَ أنهم على هداية، وسلكوا سبيلَ المجرمين ويظنون أنهم على سبيلِ المؤمنين.

ولذلك أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ ليبينَ للناسِ طريقَ الضلالةِ الذي يوصلُ إلى غضبِ اللهِ والنار، ليهلِكَ مَن هلك عن بينةٍ، ويحيى من حَيَّ عن بينة.

ووَصَّى ﷺ أُمتَهُ بوصايا عظيمة؛ تبينُ لهم سبيلَ المؤمنين ليسلكوه، وسبيلَ المجرمينَ ليحذروه.

لذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ العاشرة لرسول اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يَحذروا الخوارجَ لأنها فرقةٌ ضالَّةٌ وهي سببٌ لكلِّ شرٍّ.**

الخوارجُ همُ الذين خرجوا من ضِئْضِئِ -أي: نسلِ- ذي الخويصرةِ الذي خرجَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالكلمةِ فقالَ: يا محمدُ إعْدِلْ. قال ﷺ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»[1].

وفي لفظٍ قال لرسول الله ﷺ: إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُرِيدَ بها وجهُ الله... فتغيرَ وجهُهُ ﷺ حتى كان كالصِّرف، ثم قال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[2].

وفي لفظٍ قال: اتق الله يا محمد!

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟**»[3].

من نَسلِ هذا الرجلِ خرَجتِ الخوارجُ الذين خرجوا على عثمانَ رضي الله عنه بالسيفِ فقتلوه، وهم الذين خرجوا على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بالكلمةَ وبالسيفِ وقتلوه، وهم الذين يخرجون على ولاةِ أمرِ المسلمين في كلِّ زمانٍ ومكان إلى يومِنا هذا.

ومنذ عهدِ الخلافة وحتى أيامِنا هذه لم يُبْتَلَ أهلُ الإسلامِ بفرقةٍ أشدَّ وأخطرَ وأخبثَ من هؤلاءِ الخوارجِ، الذين أَضَرّوا بالإسلامِ وأهلِهِ، وأفسدوا عليهم دينَهم ودنياهم، فلم يسلمْ من شَرِّهم أحدٌ منذُ عهد النبيِّ ﷺ إلى يومِنا هذا، ولذلك وصفَهُمُ النبي ﷺ وصفًا دقيقًا لأمتهِ ليكونوا منهم على حذرٍ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

**الصفةُ الأولى: الخوارجُ فرقةٌ مارقةٌ:**

يقول يُسَيْرُ بنُ عمروٍ لسهلِ بنِ حُنيف: هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقولُ في الخوارج شيئًا؟

قال: سمعتُه يقول: -وأهوى بيدِه قِبَلَ العراق-: «**يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

**الصفةُ الثانية: الخوارجُ شَرُّ الخلق والخليقة:**

قال ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي -أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي- قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»(٢) أي: أنَّ الخوارجَ عندَ اللهِ همْ شرُّ الخلائِق.

وذكروا الخوارجَ عند أبي هريرةَ رضي الله عنه فقال: أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ(٣).

كَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَقَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٤).

**الصفةُ الثالثة: الخوارجُ أبغضُ الخلقِ إلى اللهِ تعالى:**

لما خرجتِ الخوارجُ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قالوا: لا حكمَ إلا لله، قال

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٧)

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري معلقًا: بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ (٩/ ١٦)، ووصله ابن أبي شيبة (٣٩٠٤٠).

عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كَلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ)، إنَّ رسولَ الله ﷺ وصفَ ناسًا إني لأعرفُ صفتَهمُ في هؤلاءِ: «**يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا، مِنْهُمْ، -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ**»[1].

**الصفةُ الرابعةُ: الخوارجُ يَتَدَينون بقتلِ أهلِ الإسلام، وتركِ عَبَدَةِ الأصنامِ والصُلبان.**

قال ﷺ في وصفِ الخوارج: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[2].

**الصفةُ الخامسةُ: الخوارجُ قامَ أصلُهم على الجهلِ والشبهاتِ والأهواءِ، يحسَبون أن الحَقَّ والأدلةَ معهم وهي عليهم، لأنهم صِغارُ السِّنِّ، ضِعافُ العقول:**

قال ﷺ: في وصفِ الخوارجِ: « **يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ** »[3].

وقال ﷺ في وصفهم أيضًا: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ** -أي: آخر زمانِ النبوةِ- **أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ** -أي: صغارُ الأسنانِ- **سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ** -أي: ضعفاءُ العقولِ- **يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ** -أي: من القرآن-»[4] وقال ﷺ في وصفهم أيضًا: «**يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»[5].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٦٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٦٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)

(٥) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٧٦٥)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والبزّار (٧٢٢٥)، والحاكم (٢٦٤٩)، [«صحيح الجامع» (٣٦٦٨)].

**الصفةُ السادسةُ: الخوارجُ فتنةٌ للأمةِ يُعْجِبونَ الناسَ -أي: بعبادتِهم وأقوالِهم وأشكالِهم- ويُعْجَبُون بأنفسِهم.**

قال ﷺ: «**إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَتَعَبَّدُونَ حَتَّى يُعْجِبُوا النَّاسَ، وَتُعْجِبَهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[١].

**وللخوارج سماتٌ يُعرفون بها:**

**السمةُ الأولى: الغُلُّو في الدين:**

مما لا شكَّ فيه أنّ الخوارجَ أهلُ طاعةٍ وعبادةٍ، فقد كانوا حريصين كلَّ الحرصِ على التمسّكِ بالدينِ وتطبيقِ أحكامِهِ، والابتعادِ عن جميعِ ما نهى عنه الإسلامُ، وكذلك التحرُّزُ التامُّ عن الوقوعِ في أي معصيةٍ أو خطيئةٍ تخالفُ الإسلامَ، حتى أصبحَ ذلكَ سِمَةً بارزةً في هذه الطائفة، لا يدانيهمْ في ذلك أحدٌ، ولا أدلَّ على ذلكَ من قولِ رسولِ الله ﷺ: «**يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَيس قَرَاءَتُكُمْ إلى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيءٍ، ولَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيامِهِم بِشيءٍ**»[٢].

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصفهم حينما دخلَ عليهم لمناظرتهم: دخلتُ على قومٍ لم أرَ قطُّ أشَدَّ منهم اجتهادًا، جباهُهُم قَرِحَةٌ مِنَ السجودِ، وأيَاديهم كأنها ثَفِنُ[٣] الإبلِ، وعليهم قُمُصٌ مُرْحَضَة[٤] مشمِّرين، مُسْهَمَةٌ[٥] وجوهُهم من السهرِ[٦].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٤٠٦٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٩٥)]

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٦).

(٣) الثَفِنَ: ركبة البعير

(٤) (مُرحضة) مغسولة.

(٥) (مُسْهَمَة) أي: ذاهبة شاحبة مرهقة.

(٦) رواه البيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٦٢).

وعن جندُبِ الأزديِّ قال: لما عَدَلْنا إلى الخوارجِ ونحنُ مع عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ﵁، فانتهينا إلى معسكرِهم، فإذا لهم دويٌّ كدويِّ النحلِ من قراءةِ القرآن(١).

فقد كانوا أهلَ صيامٍ وصلاةٍ وتلاوةٍ للقرآنِ، لكنهم تجاوزوا حدَّ الاعتدالِ إلى درجةِ الغُلُوِّ والتشددِ، حيث قادهم هذا التشدُّدُ إلى مخالفةِ قواعدِ الإسلامِ بما تُمليه عليهم عقولُهم، كالقولِ بتكفيرِ صاحبِ الكبيرةِ والحكمِ عليه بالخلودِ في النارِ.

ومنهم من بالغَ في الغُلُوِّ حتى قال: كلُّ مَنِ ارتكبَ ذنباً من الذنوبِ ولو كان صغيراً؛ فإنهُ كافرٌ مشركٌ مخلَّدٌ في النارِ(٢).

ومنهم من كَفَّرَ كُلَّ مَنْ لم يرَ رأيهم مِنَ المسلمينَ حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم(٣).

ولذلكَ حَذَّرَ النبيُّ ﷺ مِنَ الغُلُوِّ والتنطُّعِ والتشدُّدِ في الدين.

- فقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ في الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بالغُلُوِّ في الدِّين**»(٤).

- وقال ﷺ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» قالها ثلاثاً(٥).

- وقال ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ هذَا الدينَ أَحَدٌ إلاَّ غَلَبَهَ، فسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا**»(٦).

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٥١).

(٢) «الفصل» لابن حزم (٤/ ١٩١).

(٣) «تلبيس إبليس» (ص٩٥).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٠٢٨)، والنسائي (٣٠٥٧)، وأحمد (١/ ٢١٥)، [«الصحيحة» (١٢٨٣)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩).

**السمةُ الثانية: الجهلُ بالدين:**

إن من كبرى آفاتِ الخوارجِ صفةَ الجهلِ بالكتابِ والسنةِ، وسوءَ فَهْمِهم، وقلةَ تَدُبُّرِهم وتعقُّلِهم، وعدَم إنزالِ النصوصِ منازلَها الصحيحةَ، وكان ابنُ عمرَ يراهم شِرارَ خلقِ اللهِ، وقال: إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين[1].

وكان ابنُ عمرَ إذا سُئِلَ عن الحرورية قال: (يُكفِّرونَ المسلمين، ويستحلونَ دماءَهم وأموالَهم)[2].

ومن جهلِ الخوارجِ بشرعِ اللهِ أنهم رَأَوا أن التحكيمَ معصيةٌ تستوجبُ الكفرَ، فيلزمُ مَنْ وقعَ فيه أن يعترفَ على نفسهِ بالكفرِ، ثم يستقبلَ التوبةَ، وهذا ما طالبوا به علياً رضي الله عنه؛ إذ طلبوا منه أن يُقِرَّ على نفسهِ بالكفرِ ثم يستقبلَ التوبة[3].

فَتَخْطِئَةُ الخوارجِ لعليٍّ رضي الله عنه ولمن معه مِنَ المهاجرينَ والأنصار، واعتقادُهم أنهم أعلمُ منهم وأولى منهم بالرأي، هو والله عينُ الجهلِ والضلال.

ومن جهلهم الشنيعِ: أنهم يقتلونَ أهلَ الإسلامِ ويَدَعُونَ أهلَ الأوثانِ والصُّلبانِ، والدليلُ على ذلك: أنهم وجدوا عبدَ الله بنَ خَبابٍ رضي الله عنه ومعه أمّ ولدِه حُبلى، فناقشوهُ في أمورٍ، ثم سألوهُ رأيَه في عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه، وتوعَّدوهُ بأن يقتلوه شَرَّ قِتلةٍ، فقتلوه وبقروا بطنَ المرأةِ[4].

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» (ص١١٤).

(٢) «الاعتصام» (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

(٣) «الإرواء» (٨/ ١١٨-١١٩).

(٤) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص٩٣).

ومَرَّ بهم خنزيرٌ لأهلِ الذمةِ فقتلَه أحدُهم، فتحَرَّجوا من ذلكَ، وبحثوا عن صاحبِ الخنزيرِ وَأَرْضَوْه في خنزيره! فيا لَلَعجَبِ! أتكونُ الخنازيرُ أشدَّ حرمةً مِنَ المسلمينَ عند أحدٍ يدّعي الإسلام؟![1]

لكنها عبادةُ الجُهّالِ، التي أملاها عليهمُ الهوى والشيطانُ.

قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ الخوارجَ لـمّا حكموا بكفرِ مَنْ خالَفَهم؛ استباحوا دماءَهم، وتركوا أهلَ الذمةِ فقالوا: نفي لهم بعهدِهم، وتركوا قتالَ المشركين، واشتغلوا بقتالِ المسلمينَ، وهذا كُلُّهُ من آثارِ عبادةِ الجُهّالِ؛ الذين لم تنشرحْ صدورُهم بنورِ العلمِ، ولم يتمسكوا بحبلٍ وثيقٍ منه، وكفى أنَّ رأسَهم ردَّ على رسولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ، ونسبَه إلى الجَورِ، نسأَلُ اللهَ السلامةَ)[2].

وقال عنهم ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهم جهالٌ، فارقوا السنةَ والجماعةَ عن جهلٍ)[3].

وبهذا يتبينُ أنَّ الجهلَ كانَ من الصفاتِ البارزةِ لِتلكَ الطائفةِ؛ التي هي إحدى الطوائفِ المنتسبةِ إلى الإسلام، فالجهلُ مرضٌ عُضالٌ، يُهلِكُ صاحبَه من حيثُ لا يشعرُ، بل قد يريدُ الخيرَ فيقعُ في ضِدِّه[4].

**السمةُ الثالثة: شَقُّ عصا الطاعةِ -أي يَخرجونَ على ولاةِ الأمرِ المسلمين-:**

فقد خرجَ كبيرُهم ذو الخويصرةِ على رسولِ اللهِ ﷺ بالكلمةِ فقال: يا محمدُ! اعدِلْ.

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٥).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١).

(٣) «منهاج السنة» لابن تيمية (٣/ ٤٦٤).

(٤) «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (ص٥٤).

وخرجوا على عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوه، وخرجوا على أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوه.

وظلت تلكَ الصفةُ من صفاتِهم على مدارِ التاريخِ؛ أنَّ كلَّ من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه، حتى إنهم تفرقوا هم أنفسُهم إلى عدةِ فرقٍ، يكفِّرُ بعضُها بعضاً، ولذلك كَثُرَ فيهم العداواتُ والشقاقُ والثورات.

**السمةُ الرابعة: التكفيرُ بالذنوبِ واستحلالُ دماءِ المسلمينَ وأموالِهم:**

قال ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفِ الخوارج وأهلِ البدع: (أنهم يُكَفرون بالذنوبِ والسيئاتِ، ويترتبُ على تكفيرِهم بالذنوبِ استحلالُ دماءِ المسلمينَ وأموالهم، وأنَّ دارَ الإسلامِ دارُ حربٍ، ودارَهم هي دارُ الإيمان، وكذلك يقول جمهورُ الرافضةِ)[1].

(وقد تميزَ الخوارجُ بآراءَ خاصةٍ فارقوا بها جماعةَ المسلمين، ورَأَوْها مِنَ الدين الذي لا يَقبلُ اللهُ غيرَه، ومَنْ خالفهم فيها فقد خَرَجَ مِنَ الدين في زعمهم، فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم مَنْ غلا في ذلك، فأوجبوا قِتالَ مَنْ خالفهم واستحلوا دماءَهم)[2].

فمِنْ ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سببٍ إلا أنه لم يوافقْهم على رأيهِم[3].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (فجعلوا يقتلونَ النساءَ والوِلدان، ويَبْقُرونَ بطونَ الحبَالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلْها غيرُهم)[4].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٧٣).

(٢) «منهاج السنة» (٣/ ٦٢).

(٣) «الفرق بين الفِرق» للبغدادي (ص٥٧).

(٤) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٤).

كلُّ ذلكَ يقعُ في الأمةِ بسببِ الجهلِ والتسرع في التكفيرِ، ولذلك جاءَ الإسلامُ يحذرُ مِنَ التسرعِ في التكفير كما ذكرنا في الخطبة الماضية.

**السمةُ الخامسةُ للخوارجِ: الطعنُ في ولاةِ الأمرِ والعلماءِ، وسوءُ الظنِّ بهم:**

وهذه من أبرزِ صفاتِ الخوارجِ الذين خرجوا على عثمانَ ﵁ وعلى عليٍّ ﵁، وقد تَجَلَّتْ هذه الصفةُ في موقفِ كبيرِهم ذي الخويصرة مع رسولِ الهدى ﷺ حيثُ قال له: يَا مُحَمَّدُ! اعْدِلْ[1]، وقال له: واللهِ! إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ[2].

فذو الخويصرةِ عَدَّ نفسَهُ أورعَ من رسولِ اللهِ ﷺ، وحَكَمَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالجَوْرِ والخروجِ عن العدلِ في القسمة! وإنَّ هذه الصفةَ قد لازمتِ الخوارجَ عَبْرَ التاريخ، وقد كان لها أسوأُ الأثرِ لما ترتبَ عليها من أحكامٍ وأعمالٍ، وذو الخويصرةِ أساءَ الظنَّ في رسولِ اللهِ ﷺ لمرضه النفسيِّ، وحاولَ أن يسترَ هذه العِلةَ بستارِ العدلِ، وبذلكَ ضحك منه إبليس، واحتالَ عليه، فأوقعه في مصايده.

**السمةُ السادسةُ للخوارجِ: الشدَّةُ والغلظةُ والقسوةُ على المسلمين:**

عُرِفَ الخوارجُ بالغلظةِ والجفوةِ، وقد كانوا شديدي القسوةِ والعنفِ على المسلمينَ، وقد بلغَتْ شدتُهم حَدّاً فظيعاً، فاستَحلّوا دماءَ المسلمينَ وأموالهم وأعراضَهم؛ فروَّعوهم وقتلوهم، أما أعداءُ الإسلامِ من أهلِ الأوثانِ وغيرهم فقد تركوهم، ووادَعوهم فلم يُؤْذوهُم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٢).

ولقد سجّل التاريخُ صحائفَ سوداءَ للخوارجِ في هذا السبيل، وما قصةُ عبدِ الله بن خَبابٍ ومقتلِهِ عنّا ببعيد، فمعاملةُ الخوارجِ للمسلمينَ مصحوبةٌ بالقسوةِ والشدةِ والعنفِ، وأما للكافرين؛ فلينٌ وموادعةٌ ولطفٌ، فقد وصفَ الشارعُ الشريعةَ بأنها سهلةٌ سمحةٌ، وإنّما ندب إلى الشدّةِ على الكفارِ، وإلى الرأفةِ بالمؤمنينَ، فعكسَ ذلك الخوارجُ[1].

- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروَّعوهم[2].

**عبادَ الله!** هؤلاء هم الخوارجُ، وها هي صفاتهم الذميمةُ التي وصفهم بها رسولُ الله ﷺ، وها هي سماتهُم التي يُعْرَفون بها، فكونوا منهم على حذرٍ.

وها هُم يعودونَ في هذا الزمانِ بغيرِ أسمائِهم، ثابتين على مناهجِهم في تكفيرِ المسلمينَ بالذنوبِ والكبائرِ، والخروجِ على ولاةِ أمورِ المسلمين، ويسفكونَ الدمَ الحرامَ، وينتهكون الأعراضَ، ويُفسدون العبادَ والبلادَ، ساعين لإقامة دولتِهمُ المزعومةِ، التي لم تَقُمْ ولن تقومَ أبداً -بإذنْ اللهِ تعالى- مصداقًا لقولِ النبيِّ ﷺ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**» قالها ﷺ أكثرَ من عشرين مرة[3].

(١) «فتح الباري» (١٢/ ١٣٠١).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» (ص١١١).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٧٤)، وأحمد (٢/ ٨٤)[«صحيح الجامع» (٨١٧١)]

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفُه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.



## وصيتُهُ ﷺ لأمتهِ بالاعتصام بحبلِ اللهِ جميعاً، وعدمِ التفرقِ والصبرِ على ذلك

**عباد الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

الإسلامُ دينٌ عظيم جاءَ يأمرُ بالجماعةِ ويُحذِّرُ منَ الفُرقةِ والاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ)[1].

وامتنَّ اللهُ تعالى على رسولهِ ﷺ بنعمةِ التأليفِ بين قلوبِ المسلمينَ، وجَعْلِهم جماعةً واحدةً.

قال اللهُ لرسولهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٥٠).

أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

وامتَنَّ اللهُ على الصحابةِ عامةً، وعلى الأنصارِ خاصةً بهذه النعمة.

فقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وكان رسولُ الله ﷺ يُذَكِّرُ الأنصارَ بهذه النعمة: فعن عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ لما فتح حُنيناً قَسَمَ الغنَائِمَ، فأعطى المؤَلَّفَةَ قلوبُهم، فَبَلَغهُ أنَّ الأنصارَ يُحبّونَ أن يُصيبُوا ما أصابَ الناسُ -أي: من الغنائم- فقامَ رسولُ الله ﷺ فخَطبَهُم فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟**»(١).

ووصى النبيُّ ﷺ أمتَهُ بالاعتصامِ وعدمِ التفرق ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع **الوصية الحادية عشرة لرسولِ الله ﷺ، ألا وهي:**

**وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بالاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التفرق والصبر على ذلك.**

قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ**»(٢).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٧١٥).

وقال ﷺ: «**إِنهُ سَتكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»(٢).

وقال ﷺ: «**الجماعةُ رحمةٌ والفُرْقةُ عذابٌ**»(٣).

وقال ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ**»(٤).

ولما قال حذيفةُ رضي الله عنه لرسولِ اللهِ ﷺ: وهل بعدَ ذلك الخيرِ من شر؟ قال: «**نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جهنم، من أجابَهُم إليها قذفوهُ فيها**» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! صفهُم لنا. قال: «**نعم، قومٌ من جِلدَتنا، ويتكلمونَ بألسنتنا**» قلتُ: يا رسولَ الله! فما ترى إن أدْرَكني ذلك؟ قال: «**تلزَمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُم**» فقلتُ: فإن لم تكُنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فاعتزلْ تلكَ الفِرقَ كُلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شجرةٍ، حتى**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٢)، وأبو داود (٤٧٦٢) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٩٧٦)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٥)، وأحمد (١/ ٢٦)،[«الصحيحة» (٤٣٠)].

**يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك»**[1].

وظلَّ النبيُّ ﷺ طِوالَ حياتِه الشريفةِ يأمرُ بالجماعةِ، ويُحَذِّرُ من الفُرقةِ والاختلافِ، وظلَّ ﷺ يحرُسُ جماعةَ المسلمينَ ووَحدتهم مِن التفكُكِ والانهيارِ، كما ظلَّ ﷺ يحاربُ التفرق ولو كان في أدنى صُورِه، في حَضرِه وسفرِه، في ليلهِ ونهارِهِ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- يدخلُ ﷺ المسجدَ يومـًا فيرى الناسَ حِلَقًا كثيرةً، كُلُّ حَلْقَةٍ في ناحيةٍ، فينهاهُم عنْ ذلكَ قائلاً: «**مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ**»[2] -أي: مالي أراكم متفرقين فِرَقـًا-. يقول الراوي: كَأَنَّهُ ﷺ يُحِبُّ الْجَمَاعَةَ[3].

٢- وينصرفُ ﷺ ذاتَ يومٍ منَ الصلاةِ فيرى رجلاً يصلي منفرداً خلفَ الصفِّ، فانتظرَهُ حتى انصرفَ من صلاتِهِ ثم قالَ ﷺ: «**اسْتَقْبِلْ صَلاَتَكَ**» -أي: أعِدْها- «**لا صَلاَةَ لِلَّذِي خَلْفَ الصَّفِّ**»[4]. أي: لا صلاةَ لمن صلى منفرداً خلفَ الصفِّ لأنه خالفَ الجماعةَ وشذَّ عنها.

٣- وحرصـًا منه ﷺ على الجماعةِ فقد كان ينهى أن يُسافرَ الرجلُ وحدَهُ، فيقولُ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ؛ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»[5].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤٣٠).

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٨٢٤)، [«الثمر المستطاب» (٧٩٢)].

(٤) **صحيح:** رواه ابن ماجه (١٠٠٣)، وأحمد (٤/ ٢٣)، وابن خزيمة (١٥٦٩)، وابن حبان (٢٢٠٢)، [«صحيح الجامع» (٩٤٩)].

(٥) **صحيح:** رواه البخاري (٢٩٩٨)، وعند أحمد (٢/ ٦٠) بزيادة «**أبداً**».

وقال ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلاَثَةُ رَكْبٌ**»[1].

٤- وحرصـًا منه ﷺ على الجماعةِ فقد همَّ أنْ يُحَرِّقَ على المتخلفين عن صلاةِ الجماعةِ بيوتَهم بالنارِ، قال ﷺ: «**وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[2].

وقال ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ**»[3].

وقال ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ثُمَّ لَمْ يَأْتِهِ، فَلا صَلاةَ لَهُ إِلا مِنْ عُذْرٍ**»[4].

• ولم يكتفِ ﷺ بل أخذَ يبينُ لأصحابِهِ وأمتهِ أنَّ التفرقَ والاختلافَ من فعلِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ.

• عن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**». فَلَمْ يَنْزِلوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ،

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٩٨)، وأحمد (٢/ ١٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٣١٠٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٢).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٦٥)، وابن حبان (٢٠٦٤)، والحاكم (٨٩٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٦)].

حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ[١].

• وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْـمَاءِ، ثُـمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُـمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»[٢]. -أي: نعم ما صنعتَ منَ التفريقِ بينَ الرجل وبينَ امرأتِهِ.

• ولقد سلَكَ هذا الدربَ، وسارَ على هذا النهجِ شياطينُ الإنسِ اليهودُ كما سماهُمُ اللهُ تعالى، حيث قالَ في حَقِّ المنافقينَ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة].

فاليهودُ -لعنهم اللهُ- شياطينُ الإنسِ، يعملونَ عملَ شياطينِ الجنِّ، من التفريقِ بين الأحبةِ، وتمزيق شمل الأمة.

حكى محمدُ بنُ إسحاقَ: أنَّ رجلاً منَ اليهودِ مرَّ بملأٍ مِنَ الأوسِ والخزرجِ فساءَه ما همْ عليه منَ الاتفاقِ والألفةِ، فبعثَ رجلاً معه، وأمره أن يجلسَ بينهم وَيْذْكُرَ لهم ما كانَ مِنْ حربِهم يومَ بُعاث، وتلكَ الحروبَ التي كانت بينهم في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ، ففعلَ، فلم يزل ذلكَ دأبَه حتى حَمِيَتْ نفوسُ القومِ، وغضبَ بعضُهم على بعضٍ، وتثاوَرُوا، ونادَوا بِشُعَّارِهم، وطلبوا أسلحَتَهم وتواعدوا إلى الحَرَّةِ أي للقتالِ. فبلغَ

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٥)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٢٦٩٠)، والحاكم (٢٥٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

ذلكَ النبيَّ ﷺ فأتاهم فجعلَ يُسَكِّنُهم ويقولُ: «**أبِدَعْوَى الجاهليةِ وأنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ**»، وتلا عليهم قولَ الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣] فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقَوُا السلاحَ[١].

ومنذُ ذلكَ التاريخِ واليهودُ كالشياطينِ يعملون جادِّين لتمزيقِ شملِ الأمةِ، وتفتيتِ وَحْدَتِها، ولم يَيْأَسُوا معَ قِلَّتِهم وتفرقِّهم في البلادِ من نيلِ ما أرادوا منَ المسلمين، حتى حققوا فعلاً ما كانوا يَحْلُمونَ به من تمزيقِ شملِ المسلمينَ، وتفريقِ جمعِهم، وتقسيمِ دولتهم إلى دُوَيْلاتٍ مُتناحرةٍ متباغضةٍ، فقامت على إِثْرِ هذا الاختلافِ والتمزّقِ دولةُ يهود، وتَجَمّعوا بعدَما كانوا متفرقين[٢].

ولم يكتفِ بذلكَ إخوةُ القردةِ والخنازيرِ، بل فرّقوا بينَ الشَّعْبِ الواحدِ وجعلوهُ يقتلُ بعضُهم بعضًا، وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

فشياطينُ الإنسِ والجنِّ همُ السبَبُ في كلِّ شرٍّ يحدُثُ في بلادِ المسلمين اليوم.

ولم يكتفوا بذلك بل فَرّقوا الأمةَ الإسلامية بالعصبية الحِزبيةِ البغيضةِ فِرَقًا وأحزابًا، يلعنُ بعضُهم بعضًا، ويُكَفِّرُ بعضُهم بعضًا، ويقتُلُ بعضُهم بعضًا.

فالتحزّبُ الذي نراهُ في الأُمَّةِ اليومَ خِنجرٌ مسمومٌ صُنِعَ في بلادِ الغربِ تحت إِشرافِ اليهود، وَطُعِنَتْ بهِ أمّةُ الإسلام ففرَّقَها فِرَقًا واحزابًا: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «الوصايا المنبرية»: لشيخنا عبدالعظيم بن بدوي حفظه الله.

ألـم يـأْنِ للحـزبيينَ أن يتركـوا هـذا التحزّبَ البغـيضَ فيعتـصموا بحبـلِ اللهِ جميعـًا فَيُوَحِّدوا كلمتَهم، ويجمعوا صَفَّهم، ويكونوا جميعـًا يداً على من عاداهم؟

استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

واستجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

فالاتحادُ والاعتصامُ قوةٌ، والتفرّقُ والاختلافُ ضعفٌ قال ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُهُ بعضـًا، وشَبَّكَ بين أصابِعِه**»[1].

وأُذَكِّرُ الحزبيينَ ودعاةَ الفرقةِ والاختلافِ بيومِ أُحدِ، ففي غزوةِ أُحدٍ يظهرُ لنا فضلُ الاعتصامِ بحبلِ اللهِ والاجتماع عليه، وضررِ النزاعِ والخلافِ والفرقةِ، إذْ بَدَأْتِ المعركة فهبتْ رياحُ المسلمينَ، ونزلَ النصرُ فولى الذين كفروا الأدبارَ وتبعهمُ المسلمونَ ﴿فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦﴾ [الأحزاب] بفضل السمعِ والطاعةِ ولزومِ الجماعةِ، فلمَّا اختلفَ الرماةُ وانقسموا على أنفسِهم، وعَصَوْا أمرَ رسولِهم وأمرَ أميرِهم، دارت الدائرةُ عليهم، وكانت الهزيمةُ وأصابَ المسلمين الذُّعرُ والرعبُ، وفي ذلك يقولُ ربُّنا سبحانه مخاطِبًا جماعةَ المسلمين: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٦).

مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران].

فاقرؤوا القرآنَ يا أمةَ القرآن! واقرأوا التاريخَ يا أولي الألباب! واستفيدوا من تجارب الأوَّلين، فالتاريخُ دائمًا يُعيدُ نفسَه بينَ الحين والحين!! فالنصرُ دائمًا مع الاتحادِ والاعتصامِ، والهزيمةُ دائمًا مع التفرقِ والاختلاف.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

١٢

# وصيتهُ ﷺ للمسلمينَ أن يُحِبَّ بعضُهم بعضاً في اللهِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح:٢٩].

في هذهِ الآيةِ يُبيِّنُ لنا ربُّنا جلَّ وعلا عَلاقَةَ المؤمنينَ بعضِهم ببعضٍ؛ فيقولُ سبحانه: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.

ووصفَ اللهُ عبادَهُ المؤمنينَ أنهم يتواصَوْنَ بالمرحمة فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ [البلد].

وربَّى رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ على الرحمة فقال ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ**»[١].

وقال ﷺ: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمْهُ اللهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**لا تُنْزَعُ الرَّحمَةُ إلا من شَقِيٍّ**»[٣].

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٦)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٣) **حسن:** رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٠١، ٤٦١)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٦١)].

وهذه الرحمةُ التي أَوْدَعَها اللهُ تعالى في قلوبِ المؤمنينَ تجعلُ المؤمنَ يخافُ على أخيه المؤمن من أن يُشاك بشوكة.

قال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»(1).

وفي روايةٍ: قال ﷺ: «**مَرَّ رَجُل بِشَوكٍ فِي الطَّرِيق فقالَ لأميطَنَّ هَذا الشَّوكَ لا يَضُرُّ رَجُلا مُسْلِمَاً فَغَفَرَ لَه**»(2).

وهذه الرحمةُ تكونُ بينَ المسلمينَ إذا أَحبَّ بعضُهم بعضاً في الله.

ولذلك فموعدنا في هذا اليوم إن شاء اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الثانيةَ عشرةَ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ ان يُحِبَّ بعضهم بعضاً في الله.**

أمّةَ الإسلام! لماذا وَصَّى النبيُّ ﷺ المسلمينَ ان يُحِبَّ بعضُهم بعضاً في اللهِ؟

## أولاً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ أوثق عُرى الإيمان:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟**»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «**حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟**» قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «**حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟**» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟**» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟**» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟**» قَالَ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**»(3).

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(2) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٤١)، [«صحيح الأدب»].

(3) **حسن لغيره**: رواه أحمد(٤/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الآداب» (١٧٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٣٠)].

**ثانياً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ دليلٌ على كمالِ الإيمان:**

قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(١).

**ثالثاً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ يجعلُ المسلمَ يجدُ حلاوةَ الإيمانِ في قلبه:**

قال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»(٢).

**رابعاً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ يُوجبُ محبةَ اللهِ للمتاحبِّين فيه:**

قال ﷺ: «**قال الله تبارَك وتَعالى: وجَبَتْ محَبَّتي لِلْمُتحابِّينَ فِيَّ، وللمُتَجالِسينَ فِيَّ، ولِلْمُتَزاوِرِينَ فِيَّ**»(٣).

وقال ﷺ: «**أنَّ رَجُلًا زارَ أخـًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللهُ له، علَى مَدْرَجَتِهِ** -أي: على طريقِهِ-، **مَلَكـًا فَلَمَّا أتَى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ تعالى، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، بأنَّ اللهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ**»(٤).

فَأَبْشِروا أيها المتحابُّون في اللهِ، بأنّ اللهَ يُحِبُّكُم، واللهُ ﷻ إذا أحبَّ عبداً لا يُعَذِّبُه في النار أبداً، وإذا أحبَّ عبداً، إذا دعاهُ استجابَ له، وإذا استَغْفَرَهُ غفرَ له، وإذا سأله أعطاهُ سُؤْلَهُ، وإذا أحبَّه ألقى محبَّتَه في الأرضِ وفي السماءِ.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٢٩)].

(٢) **حسن**: رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٦٧)، والحاكم(٣)،[«صحيح الترغيب» (٣٠١٢)].

(٣) **صحيح**: رواه مالك (١٧١١)، وأحمد (٥/ ٢٢٩، ٢٣٣)، وابن حبان (٥٧٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٨١)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٧).

قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ فقال: إني أُحِبُّ فلانـاً فَأَحِبَّهُ، قال: فيحبُّهُ جبريلُ، ثم يُنادِي في السماءِ فيقولُ: إنَّ اللهَ يُحبُّ فلانـاً فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهلُ السماءِ، قال: ثم يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرضِ**»[1].

وقال ﷺ: «**واللهِ لا يُلقي اللهُ حبيبَهُ في النارِ**»[2].

**خامساً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ طريقٌ إلى الجنةِ.**

قال ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[3].

وقال ﷺ: «**ألا أُخبركم برجالِكم في الجّنةِ؟**» قلنا: بلى يا رسولَ الله! قال: «**النبيُّ في الجنةِ، والصِّدِّيقُ في الجنة، والرجلُ يزورُ أخاهُ في ناحيةِ المِصرِ لا يَزُورُهُ إلا للهِ في الجنة**»[4].

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! كيفَ تقولُ في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يَلْحَقْ بهم؟ فقال ﷺ: «**المَرءُ معَ مَنْ أحبَّ**»[5] -أي: في الجنة-.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ١٠٤، ٢٣٥)، والحاكم (١٩٤، ٧٣٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٠٧)]

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٥٤).

(٤) **حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٤٦٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٨٠)].

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

**سادساً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ يجعلُ المتاحبِّينَ يومَ القيامةِ في ظلِّ عرشِ الرحمنِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**

قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ ﷻ يقولُ يومَ القيامة: أين المتحابُّونَ بجلالي؟! اليومَ أُظِلُّهم في ظلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظلّي**»[1].

وقال ﷺ: «**سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه**»، وذكرَ منهم: «**ورجلان تحابَّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه**»[2].

**سابعاً: لأنَّ الحبَّ في اللهِ يمنعُ صاحبَهُ منَ الحسدِ والظلمِ والقتل:**

قال ﷺ: «**لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابرُوا، وَلا يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ الله إِخْوانًا، المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم: لا يَظلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا** -ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ- **بِحسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ**»[3].

**ما هي لوازمُ الحبِّ في اللهِ؟**

**أولاً: أن يُحِبَّ العبدُ لأخيه ما يحبُّ لنفسه:**

قال ﷺ: «**لا يؤمنُ أَحَدُكُم حتى يُحِبَّ لأَخيه ما يُحبُّ لنفسِهِ**»[4].

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

وها هُم الأنصارُ ﷺ يضربون أروعَ الأمثلةِ في الحبِّ في اللهِ معَ إخوانِهم المهاجرين.

قال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

ومن الأمثلةِ على ذلك:

عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ عن أبيه، عن جَدِّهِ، قال: لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسولُ اللهِ ﷺ بيْنَ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وسَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، قالَ -سعدُ- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إنِّي أكْثَرُ الأنْصَارِ مَالًا، فأقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، ولِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أعْجَبَهُما إلَيْكَ فَسَمِّهَا لي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا.

قالَ -عبد الرحمن-: بَارَكَ اللهُ لكَ في أهْلِكَ ومَالِكَ، أيْنَ سُوقُكُمْ؟

فَدَلُّوهُ علَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَما انْقَلَبَ إلَّا ومعهُ فَضْلٌ مِن أقِطٍ وسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وبِهِ أثَرُ صُفْرَةٍ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ**» -أي: ما شأنك-، قالَ: تَزَوَّجْتُ، قالَ: «**كَمْ سُقْتَ إلَيْهَا؟**». قالَ: نَوَاةً مِن ذَهَبٍ -أوْ وزْنَ نَوَاةٍ مِن ذَهَبٍ، شَكَّ إبْرَاهِيمُ-(١).

**ثانياً: أن ينصرهُ ظالماً كانَ أو مظلوماً:**

قال رسول الله ﷺ: «**انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مَظْلُوماً**» فقال رجلٌ: يا رسولَ الله!

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٨٠).

أَنصُرُهُ إذا كان مظلومـًا، أفرأيتَ إذا كان ظالمـًا كيف أنصرُهُ؟ قال: «**تَحجِزُهُ -أو تَمنعُهُ- من الظلمِ فإنَّ ذلك نصرُهُ**»[1].

**ثالثاً: أن ينصحَ المسلمُ أخاهُ المسلم:**

قال ﷺ: «**الدينُ النصيحةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ ولِكتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأئمةِ المُسلمينَ وعامَّتِهم**»[2].

ومن الأمثلةِ على ذلك: نصيحةُ سلمانَ رضي الله عنه لأخيه أبي الدرداء رضي الله عنه:

عن أبي جُحَيْفَةَ وهبِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه: آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلْمانَ وأبي الدَّرْداءِ، فزارَ سَلْمانُ أبا الدَّرْداءِ، فرأَى أمَّ الدَّرْداءِ متبذِّلةً، فقال: ما شأنُكِ؟!

قالتْ: إنَّ أخاكَ أبا الدَّرْداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنْيا.

فجاء أبو الدَّرْداءِ، فصنعَ له طعامًا، فقال له: كُلْ، فإنِّي صائمٌ.

قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكُلَ، فلمَّا كان الليلُ، ذهَبَ أبو الدَّرْداءِ يقومَ، فقالَ له: نَمْ، فنام، ثمَّ ذهَبَ يقومُ، فقال له: نَمْ، فلمَّا كان آخر الليلِ، قال سَلْمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيَا جميعـًا.

فقال لهُ سلمان: إنَّ لربِّكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا، ولأهلِكَ عليكَ حقًّا، فأَعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأَتَى النبيَّ ﷺ.

فذَكَرا ذلكَ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمانُ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥)

(٣) **صحيح**: البخاري (١٩٦٨).

**رابعاً: أن يدعوَ المسلمُ لأخيه بظهرِ الغيب:**

قال ﷺ: «**مَن دعا لأخيهِ بظهرِ الغيبِ، قال المَلَكُ الموكَّلُ به: آمين، ولكَ بمثلٍ**»[1].

والمسلمُ يدعو لأخيه بظهر الغيبِ حَيًّا وميتاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

الحبُّ في اللهِ خُلُقٌ عظيمٌ، ورابطٌ من أقوى الروابطِ بينَ المسلمين فبالحبِّ في اللهِ نصبحُ كالبناءِ الواحدِ في قوتِهِ، وكالجسدِ الواحدِ في حساسيتهِ قال ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً**» وشبَّكَ بين أصابعه[2].

وقال ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمّى**»[3].

ومن الأمور التي تساعدُ على الحبِّ في اللهِ وتُكَثِّرُ هذا الخُلُقَ العظيمَ في الأمة.

**أولاً: إفشاءُ السلام:**

قال ﷺ: «**لا تدخلون الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدُلُّكم على شيءٍ إذا فعلتُموه تحابَبْتُم؟ أفشوا السلام بينكم**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٤٨١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤).

وقال البراءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بسبعٍ، وذكرَ منها: «**إفشاءُ السلام**»[1].

فإفشاءُ السلامِ يُصفِّي القلوبَ ويُطهِّرُها من الضغائِنِ، ويزرعُ فيها المحبَّةَ والمودَّةَ، والقلبُ إذا صَلَحَ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَ فسدَ الجسدُ كلُّه.

**ثانياً: الابتعادُ عن كلِّ المعاصي والذنوب، والاجتهادُ في الأعمالِ الصالحة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم] -أي محبة في قلوب العباد-.

وقال ﷺ: «**ما تَوادَّ اثنان في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أو في الإسلامِ فَيُفَرَّق بينهما، إلا ذنبٌ يُحْدِثُهُ أَحدُهما**»[2].

**ثالثاً: الهدية:**

الهديةُ التي يُقَدِّمُها المسلمُ لأخيهِ في اللهِ يبتغي بها وجهَ الله تؤلفُ القلوبَ وتُورِثُ المحبة.

قال ﷺ: «**تهادُوا تحابُّوا**»[3].

ولما تركَ الناسُ الهديةَ في اللهِ حلَّتْ مكانَها الرِّشوةُ الحرامُ.

**رابعاً: أن يخبرَ المسلمُ أخاهُ الذي يحبُّه في الله أنه يحبه:**

قال ﷺ: «**إذا أحبَّ أحدُكُم أخاهُ فليُعْلِمْهُ أنهُ يُحبُّهُ**»[4].

---

(١) **متفق عليه:** رواه لبخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٦٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠١)، [«صحيح الأدب المفرد»].

(٣) **حسن:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٦٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، [«الصحيحة» (٤١٧)].

وقال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان رجلٌ عندَ النبيِّ ﷺ، فمرَّ رجلٌ به، فقال: «يا رسولَ اللهِ! إني لأُحبُّ هذا، فقال لهُ النبيُّ ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ**» قال: لا. قال ﷺ: «**أَعلِمْهُ**» فلحقَهُ، فقَالَ: إني أُحِبُّكَ في الله، فقال: أحبَّكَ الذي أحبَبْتَني لهُ)[1].

واستجابةً لأمرِ رسولِ الله ﷺ فأنا أُعلِمُكم أنّي أحبُّكم في الله، سائلاً المولى في عُلاه أن يجمعَ بيننا في الدنيا على محبتِه، وفي الآخرة في جنتِه.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمتهِ بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٥١٢٥)، وأحمد (٣/ ١٤٠، ١٥٠)، [«الصحيحة» (٣٢٥٣)].

١٣

# وصيتُه ﷺ للمسلمين أن يَحْذَروا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطن

**عبادَ اللهِ!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال].

في هاتين الآيتين يأمرُ ربُّنا جَلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يستجيبوا للهِ وللرسولِ، وَيُحَذِّرُهم من الفتن؛ ورسولُ اللهِ ﷺ في وصاياهُ العظيمةِ يُحذِّرُ أمتَهُ من الفتنِ ما ظهر منها وما بطن.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الثالثةَ عَشرةَ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطن.**

الإنسانُ في هذه الدنيا في دارِ الامتحان والابتلاء، يُبتلى بالخيرِ والشرِّ فتنةً، ويُبتَلى بالسَّرَّاءِ والضراءِ فتنةً.

كما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةًۖ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف:١٦٨].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ

فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت].

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أُمتَهُ عن فتنٍ في أخرِ الزمانِ مُظلمةٍ، تموجُ بالناسِ موجَ البحر، ومن هذه الفتنِ التي أخبَر بها النبيُّ ﷺ -وهي تظهرُ في الأمةِ في كلِّ يوم-:

فتنٌ تجعلُ الإنسانَ يخرجُ من دينه، يقولُ ﷺ: «**تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

فتنٌ تجعلُ الإنسانَ يتمنى الموت، يقولُ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**(٢)»(٣).

فتنٌ يكثرُ فيها القتلُ، وليسَ قتلُ المسلمين للمشركين ولكنه القتلُ بينَ المسلمينَ، يقتلُ بعضُهم بعضاً.

يقول ﷺ: «**إنَّ بينَ يدَي الساعةِ الهرجَ**»، قيل: وما الهرجُ؟ قال: «**الكذبُ والقتل**» قالوا: أكثرُ مما نَقتُلَ الآن؟ قال: «**إنه ليس بقتلكمُ الكفارَ، ولكنه قتلُ بعضِكُم بعضاً، حتى يقتُلَ الرجلُ جارَه، ويقتلَ أخَاهُ، ويقتُلَ عمَّهُ، ويقتُلَ ابنَ عَمِّه**»(٤).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢١٩٧)، والحاكم(٨٣٥٥)، [«الصحيحة» (٨١٠)]

(٢) وليس به الدِّينُ إلا البلاء: أي إن الحامل له على التمني ليس الدِّينَ بل البلاء وكرهُ الفتن.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٧).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٥٩)، وأحمد (٤/ ٤٠٦)، [«الصحيحة» (ص١٦٨٢)].

ويقولُ ﷺ: «**والذي نفسي بيدهِ! ليأتيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يَدري القاتلُ في أيِّ شيءٍ قَتَلَ، ولا يَدري المقتولُ على أيِّ شيءٍ قُتِلَ؟!**»[1].

وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ أمتَهُ من الفتن، فقال ﷺ: «**إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقّاً عليه أن يَدُلَّ أمتَه على خيرِ ما يَعلمُهُ لهم، ويُنذِرَهم شَرَّ ما يعلَمُه لهم، وإنَّ أمَّتكم هذه جُعِلَ عافيتُها في أولِها، وسيصيبُ آخِرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضُها بعضاً**» -أي: يصيرُ بعضُها رقيقاً خفيفاً لِعِظَمِ ما بعدَه- «**وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذه مُهلكتي، ثم تنكشفُ، وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذه! هذه! فَمَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدخَلَ الجنةَ، فَلْتأتِه منيتُهُ وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ**»[2].

وقال ﷺ: «**ستكونُ فتنٌ: القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، مَنْ تشرَّفَ لها تستشرفهُ، فمن وجدَ فيها ملجأً أو مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ**»[3].

ويقولُ أبو زيدٍ عمروُ بنُ أخطبَ: صلى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ، وصَعِدَ المنبرَ فخطَبَنا حتى حضرَتِ الظهرُ، فنزلَ فصلى، ثم صَعِدَ المنبرَ، فخطبَنا حتى غربَتِ الشمسُ، فأخبرَنا بما كانَ وبما هو كائنٌ فأعْلَمُنا أَحْفَظُنا[4].

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ لأمتِه طُرقَ النجاةِ من الفتن منها:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩٢).

**أولاً: أن يلزمَ المسلمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُم:**

قال ﷺ لحذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُمْ**» قال حذيفةُ: فإنْ لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال ﷺ: «**فاعْتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أنْ تعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك**»(١).

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**يُوشِكُ أن يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ، يفرُّ بدينِهِ من الفتنِ**»(٢).

**ثانياً: أن يجتهدَ المسلمُ في عبادةِ اللهِ عامةً، وقيامِ الليلِ خاصةً:**

قال ﷺ: «**العبادةُ في الهرجِ، أو الفتنةِ كهجرةٍ إليَّ**»(٣).

وتقولُ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها زوجُ النبيِّ ﷺ: استيقظَ رسولُ الله ﷺ ليلةً فزعاً؛ يقولُ: «**سبحانَ الله! ماذا أنزلَ اللهُ من الخزائنِ، وماذا أنزلَ من الفتنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ** -يُريدُ أزواجَهُ- **لكي يُصَلِّينَ**» -أي: قيامَ الليل- «**رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرةِ**»(٤).

**ثالثاً: أن يلزمَ المسلمُ بيتَهُ، ويُمسكَ لسانهُ:**

قال ﷺ: «**إنَّ بينَ أيديكم فتناً كقطعِ الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (١٩).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٨٤٩٢).

(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٧٠٦٩).

**ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبحُ كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي»** قالوا: فما تأمُرُنا؟ قال: «**كونوا أحلاسَ بيوتِكُم**»[1].

إذا نزلتِ الفتنةُ؛ فلا تكنْ رأساً فيها، ولا تَسْعَ إليها، ولا تمش فيها، بل كُنْ حِلْسَ بيتك، وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟

قَالَ ﷺ: «**امِلكْ عَلَيكَ لِسَانَكَ، وَليَسَعكَ بَيْتُكَ، وَابكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[2].

وقال ﷺ: «**سَلَامَةُ الرَّجُلِ فِي الفِتْنَةِ، أَنْ يَلزَمَ بَيْتَهُ**»[3].

**رابعاً: أن يَلْتَجِئَ المسلمُ إلى اللهِ بالدعاءِ، وأن يتستعيذَ بالله من شرِّ الفتن.**

فالنبيُّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»[4].

وقال ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»[5].

وكان ﷺ يَستعيذُ من الفتن فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[6].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٦٢)، وأحمد (٤/ ٤٠٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٢)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤١)].

(٣) **حسن** : رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٥٠٧)، [«صحيح الجامع» (٣٦٤٩)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري(١٣٧٧).

وعلَّمَ النبيُّ ﷺ المسلمينَ ان يستعيذوا بالله من الفتنِ في كلِّ صلاة، فقالَ ﷺ: « **إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[1].

وقد أَمَرَنا اللهُ بالدُّعاءِ فقال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾، ووعدَنا بالاستجابة فقالَ: ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠]. فمن دعا اللهَ ﷻ أنْ يُنَجِّيَهُ من الفتنِ استجابَ اللهُ لهُ ونجاهُ من الفتن.

ومن الأمثلةِ على ذلك:

**المثالُ الأول:** موسى عليه السلام والذين آمنوا معه عندما افْتُتِنوا بفرعونَ -عليه لعنةُ الله-.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس].

فاستجابَ اللهُ لهم ونجاهم من فرعونَ وقومِه.

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

**المثالُ الثاني:** إبراهيمُ عليه السلام والذين آمنوا معه عندما افْتُتِنوا بالكفّارِ.

قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٥٨٨).

فاستجابُ اللهُ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونجاهُ من فتنةِ الكفارِ.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

ونحنُ اليومَ نعيشُ في زمنِ الفتنِ فنسألُ اللهَ أن يحفظَنا وإياكم وجميعَ المسلمين من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطن.

**خامساً: أن يَزِنَ المسلمُ الأمورَ عامةً وفي زمن الفتنِ خاصةً بميزان الشرعِ لا بميزان الهوى:**

فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

ويقول سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فالمسلمُ في الفتنةِ وفي غيرِها يزنُ الناسَ بميزانِ التقوى، فالتقيُّ هو اكرمُ الناسِ عندَ الله.

والمسلمُ في الفتنةِ وفي غيرِها عليه أنْ يسألَ العلماءَ فقط فهم ورثةُ الأنبياءِ.

والمسلمُ في الفتنةِ وفي غيرِها يسلكُ سبيلَ الصحابةِ فقط ولا يَتَّبِعُ سُبَلَ الشيطان.

وذلك لأن النبيَّ ﷺ أَخْبَرَنا عنِ السنواتِ الخَدَّاعاتِ التي تختلُّ فيها الموازينُ.

فقَالَ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» قِيلَ: وَمَا

الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[1].

ومن الأمثلةِ في كتابِ اللهِ على اختلالِ الموازينِ عندَ البشرِ.

**المثالُ الأول: فرعونُ معَ موسى عليه السلام**

فرعونُ من المفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

ففرعونُ وقومُهُ من المفسدين في الأرض، ومع ذلك يُحَذِّرونَ الناسَ من موسى عليه السلام، ويقولون لهم أنه يفسدُ في الأرض، بل خافَ فرعونُ على دينِ قومِهِ من موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

بل قال فرعون لقومِهِ: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٨٤٣٩) عن أبي هريرة، ورواه أحمد (٣/ ٢٢٠) عن أنس [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

انظرْ إلى اختلالِ الموازينِ عندَ البشرِ، فرعونُ كَذَّابٌ أَشِرٌ وَيَدَّعي أنه من المصلحين، وهذا من أعظم الظلم ولذلك كانت نهايتُه الغَرَقَ له ولجنوده.

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

**المثال الثاني: المنافقون:**

المنافقونَ من أفسدِ الناسِ في الأرض، ومعَ ذلكَ يَدَّعونَ الإصلاحَ قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

فيا أيها المسلم! احذَرِ اختلالَ الموازينَ في هذا الزمان -ونحن في زمنِ الفتن- زِن الأمورَ بميزانِ الشرعِ لتنجوَ من الفتن، نسألُ اللهَ ان يحفظَ الأمةَ من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطن.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

١٤

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمِين أن يَرْجعوا إلى دينِهمْ إذا ذُلُّوا وانتشرت فيهُمُ الفتن

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

في هاتين الآيتين يخبرُنا ربُّنا جلَّ وعلا أنه أرسلَ رسولَهُ محمداً ﷺ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنينَ خاصة.

ومن رحمتِهِ ﷺ بالمؤمنين أنهُ وصاهم بوصايا عظيمةٍ إذا تَمسكوا بها، وعملوا بمقتضاها، سَعِدوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الرابعةَ عشرةَ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ أن يرجعوا إلى دينهم إذا ذُلُّوا وانتشرَتْ فيهم الفتن.**

والذلُّ ينزلُ بالمسلمين، وتنتشرُ فيهم الفتنُ بسبب المعاصي والذنوب، والمعاصي تنتشرُ في الأمةِ بسبب قلةِ الدينِ عند كثيرٍ من الناس، ولذلك وصى النبيُّ ﷺ أمتهُ ان يرجعوا إلى دينهم:

عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ** -وهي نوعٌ من أنواع الربا- **وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ**

**ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[1].

فالمخرَجُ للمسلمينَ إذا ذُلُّوا بسببِ المعاصي هو الرجوعُ إلى الدينِ كما جاء في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ رضي الله عنه قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَنَحْنُ جُلُوسٌ عَلَى بِسَاطٍ: «**إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ**» . قَالُوا: وَكَيْفَ نَفعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى الْبِسَاطِ فَأَمْسَكَ بِهِ فَقَالَ: «**تَفْعَلُونَ هَكَذَا**» وَذَكَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا «**أَنَّهَا ستَكُونُ فِتْنَةٌ**» فَلَمْ يَسْمَعْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: مَا قَالَ؟ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ**». فَقَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «**تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الْأَوَّلِ**»[2].

وهذا الحديثُ يُرْشِدُنا فيه النبيُّ ﷺ إلى المخرَجِ من الفتنِ، والمشاكِلِ، والقلاقِلِ، والمضائِقِ، والانحرافاتِ والتفرُّقِ، والبدَعِ، والذُّلِّ الذي يُصيبُ الأمةَ وهو أن يرجعَ آخرُ الأمةِ إلى ما كانَ عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه في أصولِ الدين وفروعِه، فهم أهلُ الأمرِ الأوَّلِ وأصحابهُ في هذه الأمة، وهم أهلُ القرنِ الأوَّلِ، وهم خيرُ هذهِ الأمة.

قال أبو العاليةِ رحمه الله: (عليكم بالأمرِ الأولِ الذي كانوا عليه قبلَ أن يتفرَّقوا)[3].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، [«الصحيحة» (١١)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٨٤)، [«الصحيحة» (٣١٦٥)].

(٣) «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس» (ص٣٢).

وهذا يُوَضِّحُهُ النبيُّ ﷺ في وصاياهُ التالية:

عن العرباضِ بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»)[1].

وعن عوفِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: (قالَ رسول الله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»)[2].

وفي رواية: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[3].

فبالجمعِ بينَ هذه الأحاديثِ يتبينُ لنا أنَّ البدعَ والتفرّقَ والاختلافَ والمعاصيَ أسبابٌ للفتنِ، والأمةُ اليومَ تكتوي بنارِ المُبتدعةِ منَ الشيعةِ والخوارجِ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥)، والحاكم (٣٣٢)، [«الصحيحة» (٢٧٣٥)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠، ١٢٩)، [ الصحيحة (١٤٩٢)]

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٦٤٦)، [«الصحيحة» (٢٠٤)].

والخروجُ من الفتنةِ يكونُ بالرجوعِ إلى الدينِ الذي نزَلَ به أمينُ السماءِ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على أمينِ الأرضِ محمدٍ ﷺ.

عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ،فسأل رسولَ الله ﷺ عن الْإِسْلَامِ والْإِيمَانِ، والإحسَانِ، وسأله عَنِ السَّاعَةِ وعن أَمَارَاتِهَا، والنبيُّ يجيبُ، وهو يقول: صدقتَ، ثُمَّ انْطَلَقَ فقال لي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»)[1].

هذا هوَ الدينُ الذي يَجبُ على الأمةِ اليومَ ان تَرجعَ إليه للخروجِ من الفتنة، وليس هُوَ الدينُ على مفهوم الشيعة والخوارجِ والتكفيريينَ وأهلِ البدعِ جميعـًا لأنهم سببٌ في الفتنة.

لماذا وَصَّى النبيُّ ﷺ أمَّتَه بالرجوعِ إلى الدين؟

**أولاً: لأنَّ الإسلامَ هو الدينُ الحقُّ الذي ارتضاهُ اللهُ للبشريةِ ديناً إلى يومِ القيامةِ.**

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٨).

وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

فالإسلامُ هو الدينُ الحقُّ، وليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ والخسرانُ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

**ثانياً: لأنَّ الإسلامَ وحدَهُ هو الذي يحفظُ البشريةَ أفراداً وجماعاتٍ وأُمماً:**

ولذلك كان ﷺ يقول في دعائِه: «**اللَّهُمَّ احفظني بالإسلامِ قائماً، واحفظني بالإسلامِ قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشْمِتْ بِي عدوّاً ولا حاسداً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خزائنه بيدك**»(١).

فالإسلامُ جاءَ لحفظِ الدينِ والنفسِ والعِرضِ والمالِ والعقلِ:

فحِفاظاً على الدين شرَعَ اللهُ حَدَّ الرِّدَّة، قال ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٢).

وحِفاظاً على النفس؛ شرعَ اللهُ القِصاص؛ قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة].

وحفاظاً على العِرض، شرعَ اللهُ حدَّ القَذْفِ وحدَّ الزنا؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور].

(١) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧٧)، والحاكم (١٩٢٤)، [«الصحيحة» (١٥٤٠)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور].

هذا حدُّ غيرِ المُحْصَنِ، أمّا المحصَنُ فحَدُّهُ الرَّجْمُ حتى الموتِ؛ قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ**» فذكر منها: «**وَالثَّيِّبُ الزَّانِي**»(1). -أي: المتزوج-.

وحِفاظًا على المالِ؛ شرعَ اللهُ حدَّ السرقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

وحِفاظًا على العقلِ؛ حرَّمَ اللهُ الخمرَ، وشرَعَ حدَّ الخمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِنْ شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ**»(2).

**ثالثاً: لأنَّ الإسلامَ دينُ الأمنِ والأمانِ والعزِّ والنصرِ والتمكين.**

قال تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٨٥)، والنسائي (٥٦٦١)، وابن ماجة (٢٥٧٢)، وأحمد (٤/ ٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٨١)].

إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**»[1].

**رابعاً: لأنَّ المستقبلَ للإسلام:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ [غافر].

ورسولُنا الكريمُ ﷺ بَشَّرَنا في سنتِه أن المستقبلَ للإسلامِ يقول خَبابُ بن الأرَتِّ رضي الله عنه: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،**

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٧٨٦٢)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[2].

وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»[3].

ما الذي يمنعُ الناسَ أن يرجعوا إلى دينهم؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٨٣٢٦)، [«الصحيحة» (٣)].

١٥

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يَحْذروا فتنةَ الدنيا

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة].

في هذه الآية يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَهُ محمداً ﷺ أن يُبَلِّغَ دينَ اللهِ، فاستجابَ ﷺ لأمر رَبِّه، فبلَّغَ ﷺ الرسالةَ، وأدّى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وكشفَ الغمَّةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينِه حتى أتاهُ اليقين، وتركَ أمتَهُ على البيضاء، ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضالٌّ، وَوَصَّاهُمْ بوصايا عظيمة إذا تمسَّكوا بها، وعملوا بمقتضاها سَعِدُوا في الدنيا والآخرة.

ولذلكَ فموعِدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الخامسةَ عَشْرَةَ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ ان يحذروا فتنةِ الدنيا.**

عبادَ الله! قلنا في الجمعةِ الماضية: إنَّ المخرجَ الوحيدَ للأمةِ الإسلامية مما هي فيه من الذلِّ والفتن هو الرجوعُ إلى الدين، ومع ذلك فما زالَ كثيرٌ من الناسِ معرضين عن ذلك، فلم يرجعوا إلى دينهم بَعْدُ، ولم يستجيبوا لرسولِهم ﷺ، والذي يمنعُهم من الاستجابة هو اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص].

والهوى ناتجٌ عن حبِّ الدنيا والافتتانِ بها، ولذلك فقد وَصَّى النبيُّ ﷺ أمتَهُ أن يحذروا فتنةَ الدنيا.

قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٤).

ولقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ أمتَهُ من فتنةِ الدنيا؛ لأنَّ الشيطانَ يَدْخُلُ على الإنسانِ من بابِ حبِّ الدنيا ليفتِنَهُ ويُهلِكَهُ، ويَجْعَلَهُ مِن حزبِهِ، فهناك علاقةٌ بينَ فتنةِ الدنيا وفتنةِ الشيطان فالدنيا غَرَّارَةٌ، والشيطانُ غَرورٌ، وقد جمَعَ اللهُ بينَ غَرورِ الدنيا وغرورِ الشيطان في كتابه؛ فقال تعالى مُحَذِّراً عبادَهُ من غَرورِ الدنيا وغَرورِ الشيطان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٤) **صحيح لغيره:** رواه الترمذي (٢٤٦٥)، [«صحيح الجامع» (٦٥١٠)].

ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

وقد أقسمَ إبليسُ باللهِ أن يُزَيِّنَ الدنيا لبني آدمَ ليهلِكَهم فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ [الحِجر].

فإذا أردتَ يا ابنَ آدمَ أن تنجوَ من فتنة الدنيا، وتُغلِقَ أمامَ الشيطان هذا المدخلَ (وهو حبُّ الدنيا) فعليكَ بما يلي:

**أولاً: أن تَعلمَ أنَّ الدنيا زائلة، لا تدومُ لأحدٍ، ولا يدومُ لها احدٌ حتى الأنبياءُ**

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر].

وقال جبريلُ لرسولِنا ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»[1].

ابنَ آدم!

لاَ شَـيءَ مِمَّـا تَـرَى تَبْقَـى بَـشَاشَتُهُ ... يَبْقَـى الإِلَـهُ وَيَفْنَـى المَـالُ والوَلَـدُ

لَـم تُغْـنِ عَـنْ هرْمُـزٍ يومًـا خَزَائِنُـهُ ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَلاَ سُـلَيْمَانَ إِذْ تَجْـرِي الرِّيَـاحُ لَـهُ ... والإِنْـسُ وَالجِـنُّ فِيمَـا بَيْنَهـا تَـرِدُ

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٥٨)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٧، ٨٢٤)].

أَيْـنَ المُلُـوكُ الّتِـي كَانَـتْ لِعِزَّتِهَـا ... مِـنْ كُـلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَـا وَافِـدٌ يَفِـدُ
حـوضٌ هُنَالِـكَ مَـوْرُودٌ بِـلاَ كَـذِبٍ ... لاَ بُـدَّ مِـنْ وِرْدِهِ يَوْمًـا كَمَـا وَرَدُوا[1]

ابنَ آدم!

تَــزَوَّدْ مِــنْ مَعَاشِــكَ للمِعَــادِ ... وقُــمْ للهِ وَاجْمَــعْ خَيــرَ زَادِ
وَلاَ تجْمَــعْ مِــنَ الــدُّنْيا كَثيــراً ... فَــإِنَّ المــالَ يُجْمَــعُ للنفَــادِ
أَتَرْضَــى أَنْ تَكُــونَ رَفِيــقَ قَــوْمٍ ... لَهُــمْ زَادٌ وَأَنْــتَ بغيــرِ زادِ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ)[2].

وقيل لعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! صِفْ لَنَا الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ[3]، وَمَنْ سَقَمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ؟!)[4].

هذه هي الدنيا يا عبادَ اللهِ التي زيَّنَها الشيطانُ لكثيرٍ من بني آدمَ فانخدَعوا بها؛ فمنْ أجلِها يتباغضونَ ويتحاسدونَ ويقتلُ بعضُهم بعضاً، وما يحدثُ في العالمِ اليومَ من قتلٍ؛ كُلُّهُ منْ أجلِ هذه الدنيا الفانية، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

(١) ذكره عن عمر بن الخطاب ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١٥٧)، وابن عساكر (٤٤/ ٣١٤-٣١٥).

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٨٧٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٣).

(٣) أَمِنَ: أي أمن مكر الله.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٨).

## ثانياً: أن تعرفَ حقيقةَ الدنيا

فاللهُ الذي خلقَها يصفُها لعبادِه حتى لا يغتروا بها، فيقول سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا**»(١).

وقال ﷺ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ**(٢) **فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**»(٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٥٨٤٠)، والحاكم (٧٨٤٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٤٠)].

(٢) اليم: البحر.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٧٤)].

وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ(1) فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ(2) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(3).

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(4).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (الدنيا جيفةٌ، فمن أرادَها فليصبرْ على مخالطةِ الكلابِ)(5).

## ثالثاً: أن تعلمَ يا ابنَ آدمَ أنَّ مَنْ أحبَّ الدنيا وركَنَ إليها ونسيَ الآخرةَ، أَذَلَّتْهُ وأهلكتْهُ وجعلتِ الفقرَ بينَ عينيه دائماً

• أما الذلُّ: فقولُه ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** -كنايةً عن حبِّ الدنيا والركون إليها- **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(6).

---

(1) كنفته: أي جانبه ؛ قد أحاط به الناس من جانبه.

(2) الأسك: ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها.

(3) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٧).

(4) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والطيالسي (٢٧٥)، والبزار (١٥٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٨٢)].

(5) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٨).

(6) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

• وأما الهلاكُ: فقولُه ﷺ: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم**»(١).

• وأما الفقرُ: فقولُه ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهَ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٢).

ولذلكَ جاءَ التّحذيرُ من فتنةِ الدنيا في الكتابِ والسُنةِ، قال تعالى في موضعين في كتابه: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»(٣).

وعن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**»(٤).

وقال ﷺ: «**هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ ﷺ نَفَثَ فِي رُوْعِي**(٥)**؛ أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وهنّاد في «الزهد» (٦٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٣١٦٩)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٥) رُوعي: قلبي.

حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»(١).

## رابعاً: أنْ تعلمَ يا ابنَ آدمَ أنَّ مَن آثَرَ الدنيا على الآخرة دخلَ النار

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا**

---

(١) **حسن صحيح**: رواه البزار (٢٩١٤)، [«صحيح الترغيب» (١٧٠٢) عن حذيفة]، والطبراني في «الكبير» (٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٧) بلفظ: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى...**»، [«صحيح الجامع» (٢٠٨٥) عن أبي أمامة].

**ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**»[1].

كيف لا؟ والله ﷻ يقول: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

**خامساً: أن تتعظَ بالذينَ افْتُتِنوا بالدنيا فهَلَكوا، والعاقلُ مَنِ اتَّعظَ بغيرهِ**

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟**» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٠٧).

**قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[1].

ولقد ضربَ اللهُ لنا أَمثالاً في كتابه لِلَّذينَ افتُتِنوا بالدنيا فهلكوا: قارونٌ افتُتِنَ بماله، وصاحبُ الجنتين الذي افتُتِنَ بجَنَّتيه فتكَبَّر على صاحبه الفقير، وأصحابُ الجنةِ الذين افتُتنوا بجَنَّتِهم فمنعوا حقَّ الفقراء والمساكين، والعاقلُ من اتعظَ بغيره.

فما الذي جعل كثيراً من الناس يفتتنون بالدنيا؟

وماذا فعلَ اللهُ بهؤلاءِ الذين افتتنوا بالدنيا؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمةِ إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).



# وصيتهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا فتنة المال

**عبادَ اللهِ!** يقولُ اللهُ ﷻ لرسولِه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول سبحانَه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

أَرسل اللهُ رسولَه محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ومن رحمته ﷺ بالمؤمنين أن وَصَّاهم بوصايا عظيمةٍ إذا أخذوا بها، وعملوا بمقتضاها سَعِدوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع **الوصية السادسة عشرة لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا فتنةَ المال.**

قلنا في الجمعة الماضية: إن الذي منع كثيراً من الناسِ أن يستجيبوا لله ولرسولِهِ ﷺ هو الافتتانُ بالدنيا وزينتها، والسببُ في افتتان الناسِ بالدنيا هو حبُّ المال، فمن افتتن بالمالِ افتتن بالدنيا، ومن افتتن بالدنيا اتبع هواه، ومن اتبع هواه لم يستجب لأمر الله ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [القصص: ٥٠].

والمالُ فتنةٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥].

وقال ﷺ: «**إنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أمتي المالُ**»[1].

والإنسانُ بطبيعته يُحبُّ المالَ حبـاً شـديداً، قـال تعـالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر].

وقـال تعـالى في وصـف الإنـسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات] -أي: لحبِّ المالِ لَشديدٌ.

وبسببِ حُبِّ الإنسان للمالِ تجدُ الكثيرَ من النـاسِ قـد حَـرِصَ على جمعـهِ بالليـلِ والنهارِ، ولا يُبالي من حلالٍ كان أم من حرامٍ، حتى لقـد افْتَتَنَ بعضُهم بالمـالِ، فـتركَ الطاعاتِ كالصلاةِ وغيرِها، واقترفَ المحرمات كالربا وغيرِه.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [القلم]، وقال تعـالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم].

واللهُ ﷻ حَذَّرَ عبادَهُ مِنْ أن يَفْتَتِنوا بالمال، فينشغلوا بجمعه عن طاعته سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة].

ورسولُ اللهِ ﷺ حَذَّرَ أمته مِنْ أن يفتتنوا بالمال فيهلَكُوا.

- فقال ﷺ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٣)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه ابن أبي شيبة (٣٥٩٥٩)، والبزار (١٦١٢)، وابن حبان (٦٩٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٨)].

وقال ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»(١).

وقرأ ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر] ثم قال: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قال: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**»(٢).

وقد ذكرَ اللهُ تعالى لنا في كتابه ورسولُ اللهِ ﷺ في سنّته أخبارَ مَنِ افْتَتنَ بالمالِ من الناسِ فهلَكوا، والعاقلُ مَنِ اتعظَ بغيرِه.

فهذا صاحبُ الجنّتين المذكورُ في سورةِ الكهفِ افتَتَنَ بالمالِ فتكبَّرَ على صاحبِهِ وقال له: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف].

فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف].

وهذا قارونُ الذي افتتَن بالمالِ فبغى على قومِه، ولم يقْبَلْ منهمُ النصيحةَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] السببُ: كثرةُ المال، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى﴾ [القصص: ٧٦].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٢٦)، [«صحيح الترغيب» (١٧١٠)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٥٨).

ومعَ أنَّ قومَه نصحوه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]. إلا أنَّ قارونَ الذي افتَتَنَ بالمالِ لم يقبلْ نصيحةَ قومهِ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

فكانــت النتيجــةُ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

المترفون -أهل الغنى- الـذين فَتَنَهُمُ المالُ فمنعهم أنْ يستجيبوا لِـمَا جاءت به رسلُ الله .

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ].

**فكانتِ النتيجةُ:** أنهم كانوا من أصحابِ النار.

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة].

أكلةُ الربا الذين افتتنوا بالمال فملئوا بطونهم من الربا وأطعموا أولادهم من الربا والله عَجَّلَ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥].

**فكانت النتيجة:** قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

وقال ﷺ: «**دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**»(١).

وقال ﷺ: «**الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ**»(٣).

ويقول جابر رضي الله عنه: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ**»، وَقَالَ: «**هُمْ سَوَاءٌ**»(٤).

البخلاءُ الذين افتَتَنوا بالمال فبخلوا بزكاة أموالهم ولم يتصدقوا منها على الفقراء والمساكين، كان مصيرُهم إلى النار.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والبزار (٣٣٨١)، والدارقطني (٢٨٤٣)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٥)].

(٢) **صحيح:** رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

(٣) **صحيح:** رواه الحاكم (٢٢٦١)، والطبراني في «الكبير» (٤٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٣٣)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (١٥٩٨).

وقال ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّار**»[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وفي السنة أمثلة على من افتتن بالمال منها:

قولـه ﷺ: «**إِنَّ ثَلاثَـةً فِي بَنِي إِسْـرَائِيلَ: أَبْـرَصَ وَأَقْـرَعَ وَأَعْمَـى، فـأرادَ الله ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، -أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ-، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ**

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الصغير» (٥٣٩)، [«صحيح الجامع» (٥٨٠٧)].

**فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»**[1].

فانظروا عبادَ الله! افتَتَنَ الأبرصُ والأقرعُ بالمال فكانتِ النتيجةُ:

١- سَخِطَ اللهُ عليهما.

٢- وعَرَّضوا أنفسَهما لعذابِ اللهِ.

**عباد الله!**

**أولاً:** اعلموا أن المالَ الذي في أيديكم هو مالُ الله، قال تعالى: ﴿**وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [النور:٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

واعْلموا أنَّ اللهَ ﷻ إنما أعطاكم هذا المالَ لتقيموا الصلاةَ وتعبدوا الله، لا لتبارزوه بالمعاصي.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ** -أي من المال-، **لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»[1].

فكم من الناس افتتَنَ بالمالِ فَضَيَّعَ الصلاةَ، وبارزَ اللهَ بالمعاصي بمالِهِ!! كما قالَ تعالى عنهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم].

**ثانيـاً:** اعلموا أنكم راجعونَ إلى اللهِ يومَ القيامةِ، وأن الله سائلكم عن هذا المال، فاكْتَسِبوه من الحلالِ، وأنفقوه في طاعةِ اللهِ.

قال ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيه؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟**»[2].

**ثالثـاً:** اعلموا أن المالَ إذا اقترنَ بالعلم الشرعيِّ يُصبحُ نعمةً على صاحبه، يصلُ به إلى أعلى المنازلِ عندَ الله، وإذا صاحَبَهُ الجهلُ بالدين أصبحَ نقمةً على صاحبِهِ يصلُ به إلى أخبثِ المنازلِ.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ**

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ٢١٨-٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٠١)، [«الصحيحة» (١٦٣٩)].

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤١٧)، [«صحيح الترغيب» (١٢٦)].

**فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، قَالَ: فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا؟ قَالَ: فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ قَالَ: فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. قَالَ: وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: فهو بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ**»[1].

**رابعًا:** لِتكُنْ تجارَتُكُم بأموالكم مع الله لأنَّ التجارةَ بالمالِ مع اللهِ تجارةٌ رابحةٌ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

وقال أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبةِ، فلما رآني قال: «**هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**» ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا -مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[3].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«مشكاة المصابيح» (٥٢٨٧)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٦٣٨)، ومسلم (٩٩٠)، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

**عباد الله!** لقدْ ضربَ لنا الصحابةُ رضي الله عنهم أروعَ الأمثلةِ في الإنفاقِ في سبيلِ الله:

**١-فهذا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه وأبو بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه.**

يقول عمر رضي الله عنه: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ -إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا- قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»** قُلْتُ: مِثْلَهُ. قَالَ: فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»** فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ. فَقُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[(١)].

**٢- وهذا أبو طلحة الأنصاريّ رضي الله عنه يتصدقُ بأحبِّ مالِه إليه.**

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: كان أبو طلحةَ أكثرَ الأنصارِ بالمدينةِ مالاً من نَخْلٍ، وكان أحبَّ أموالِه إليه (بيرُحاءُ)، وكانَتْ مستقبلةَ المسجدِ، وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يدخُلها ويشربُ من ماءٍ فيها طيبٍ.

قال أنسٌ رضي الله عنه: (فلما أُنزِلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] قام أبو طلحةَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرُحاءُ، وإنها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخرَها عندَ الله، فَضَعْها يا رسولَ اللهِ حيثُ أراكَ الله.

فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«بَخٍ! ذلك مالٌ رابحٌ! ذلك مالٌ رابحٌ! وقد سمعتُ ما قلتَ، وإنّي أرى أن تَجعلَها في الأقرَبينَ»**. فقال أبو طلحةَ: أفعلُ يا رسولَ اللهِ، فَقَسَّمَها

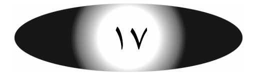
(١) **حسن**: رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١٥١٠)، [«مشكاة المصابيح» (٦٠٣٠)]

أبو طلحةَ في أقاربهِ وبَني عمّه)[1].

ماذا يفعلُ المسلمُ لينجو من فتنة الدنيا وفتنة المال؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

اللهمّ احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).



# وصيتُهُ ﷺ للفقيرِ بالصبرِ على الفقرِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لرسولِهِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول سبحانه في وصفِ رسولِهِ ﷺ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

في هاتين الآيتين يخبرُنا ربُّنا جلّ وعلا أنه أرسلَ رسولَه محمداً ﷺ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ومن رحمتهِ ﷺ بالمؤمنين أنه وصّاهم بوصايا لو أخذوا بها وعملوا بمقتضاها لَسَعِدوا في الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ السابعةَ عشرة: وصيتُهُ ﷺ للفقير بالصبر على الفقر.**

الإنسانُ خُلِق في هذه الدنيا للابتلاء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان].

ومن الابتلاءِ في هذه الدنيا أن يُبتلى الرجلُ بالفقرِ والغنى، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (نبتليكُمْ بالشِّدَّةِ والرَّخاءِ، والصِّحةِ والسَّقَمِ، والغنى والفقرِ والحلالِ والحرامِ وكُلُّها بلاءٌ)[1].

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٦/ ٢٦٩).

وأخبرَ سبحانه أنّ: الغنى والفقرَ مطيَّتا الابتلاءِ والامتحان؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر].

فأخبرَ سبحانهُ أنهُ يَبتلي عبدَهُ بالغنى وبَسْطِ الرزقِ عليه، كما يبتليه بالفقرِ وتضييقِ الرزق عليه، وأن كليهما ابتلاءٌ منه وامتحان، يقول ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].

ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**»[2].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه: (أنه دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَوْعُوكٌ، عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَوَجَدَ حَرَارَتَهَا فَوْقَ الْقَطِيفَةِ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا أَشَدَّ حَرَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ**». ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**الْعُلَمَاءُ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَلْبَسُهَا، وَيُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى تَقْتُلَهُ، وَلَأَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ**»[3].

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وابن حبان (٢٩٢٤)، والحاكم (٧٨٧٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٥)، [«صحيح الترمذي»].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥١٠)، وأبو يعلى (١٠٤٥)، والحاكم (١١٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٣)].

فيا أيها الفقير اصبر على الفقر، فهاهم الأنبياءُ والعلماءُ والصالحون، كان أحدُهم يُبتلى بالفقر حتى لا يجدَ إلا العباءة يلبسُها وهم أحبُّ الخلقِ إلى الله تعالى.

لما كان الفقرُ ابتلاءً وامتحانًا من اللهِ للعبدِ، فقد وَصَّى رسولُ الله ﷺ الفقيرَ بوصايا تُعينُهُ على الصبر على الفقر منها:

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، ومن كانت الدنيا هَمَّهُ؛ جعلَ الله فَقْرَهُ بين عَيْنَيهِ، وفرق عليه شَمْلَهُ، ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له**»[2].

وقال ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[3].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ منكم آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»[4].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»[5].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٦٥) عن أنس، وأحمد (٥/ ١٨٣) عن أبي ذر، وابن ماجه (٤١٠٥)، وابن حبان (٦٨٠) عن زيد بن ثابت، [«الصحيحة» (٩٤٩)]

(٣) **صحيح:** رواه مسلم(١٠٥٤).

(٤) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، وزيادة (بحذافيرها) من ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٨٣٣)].

(٥) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨)، [«صحيح الترمذي» (٢٤٦٦)].

وقال ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَو أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ**»(٢).

فتمسَّكْ أيها الفقيرُ بهذه الوصايا النبويةِ وعَضَّ عليها بالنواجذِ تسعد في الدنيا والآخرة.

لماذا وصى النبيُّ ﷺ الفقير بالصبر على الفقر؟ الجوابُ:

**أولاً: لأن الفقيرَ إذا لم يصبرْ على الفقرِ أكَلَ الرِّبا، وأكْلُ الربا حرام:**

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

وقال ﷺ: «**دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٢٦)، [«صحيح الترغيب» (١٧١٠)].

(٢) **حسن**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠)، [«الصحيحة» (٩٥٢)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والبزار (٣٣٨١)، والدارقطني (٢٨٤٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٥)].

**ثانياً: لأنَّ الفقيرَ إذا لم يصبرْ على الفقرِ سَرَقَ، والسرِقةُ حرامٌ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

ولما جاءَ أُسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما يُكلِّمُ رسول الله ﷺ في المرأةِ المخزوميةِ التي سَرَقَتْ قال له ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**» إلى أن قال ﷺ: «**وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

**ثالثاً: لأنَّ الفقيرَ إذا لم يصبرْ على الفقرِ ارتشى، والرِّشوةُ حرامٌ.**

قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**»(٢).

**رابعاً: لأن الفقيرَ إذا لم يصبرْ على الفقرِ غشَّ في تجارتِهِ، وطفَّفَ الكيلَ والميزان، والغِشُّ وتطفيفُ الكيلِ والميزانِ حرامٌ**

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفِّفين].

قال ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٣٨٧)، والترمذي (١٣٣٦)، وابن حبان (٥٠٥٣)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩٣)].

(٣) **حسن صحيح:** رواه ابن حبان (٥٥٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٣٤)، [«صحيح الترغيب» (١٧٦٨)].

**خامساً: لأنَّ الفقيرَ إذا لم يصبرْ على الفقرِ، تاجرَ في المخدِّراتِ، وتجارةُ المخدِّرات، وشربُ المخدراتِ حرامٌ:**

والمخدِّراتُ هي كُلُّ ما أسكَرَ وغيَّبَ العَقْلَ كالخمرِ والحشيشة، وحبوبِ المخدِّراتِ وإبَرِ المخدِّراتِ وغيرِها.

والنبيُّ ﷺ يقول: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خمرٍ حَرَامٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ**»(٢).

وقال ﷺ: «**الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣).

وقال ﷺ: «**الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وَعَمَّتِهِ وَخَالَتِهِ**»(٤).

فاصبر أيها الفقيرُ على الفقر لتحميَ نفسَك من الوقوع في هذه الكبائرِ المُهلكةِ، وتأسَّ برسولِ الله ﷺ الذي ربطَ الحجرَ على بطنِه من الجوعِ، ولما جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٣).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، وأحمد (٣/ ٣٤٣)، [«صحيح الجامع» (٥٥٣٠)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٧)، والدارقطني (٤٦١٠)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٤)].

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير(١١٣٧٢)، والدارقطني(٤٦١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٥)].

ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(١).

فاصبرْ أيها الفقيرُ على الفقرِ، فإن الفقراءَ يدخلونَ الجنةَ قبل الأغنياءِ بخمسِمائة عام.

يقول ﷺ: «**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ**»(٢).

ولذلك كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ في دُعائِه: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**»(٣).

إذا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يوصي الفقيرَ بالصبر على الفقر فليسَ معنى ذلك أنه يدعوهُ إلى الكسلِ والبَطالةِ، والقعودِ عن طلبِ الرِّزقِ والتماسِ الغنى، كلا، إنّما يوصيهِ هو وغيره أن يتقوا اللهَ ويُجْملوا في طلبِ الرزقِ، وأن يَرْضَوا بما قسمَ اللهُ لهم.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٥٤).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٨٥)، وأحمد (٢/ ٣٤٣)، [«صحيح الترغيب» (٣١٨٩)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس، وابن ماجه (٤١٢٦)، والحاكم (٧٩١١) عن أبي سعيد الخدري، [«صحيح الترغيب» (٣١٩٢)].

قال ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب، وَلا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِن اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(١).

والناظرُ إلى كثيرٍ من الناسِ يرى عجباً، يرى حِرْصاً شديداً وطَمَعاً زائداً أفسدَ عليهم دينَهم وأخلاقَهم، فتركوا الصلاة بِحُجَّةِ السعي على الرِّزقِ، واستعملوا الغِشَّ والخيانةَ والمكرَ والخديعةَ لكسبِ المالِ، فيجبُ على الفقيرِ أن يفهَم أنَّ وصيةَ النبيِّ ﷺ له بالصبرِ على الفقرِ هي دعوةٌ إلى الرضا بما قسمَ اللهُ له.

فإن سَعَيْتَ أيها الفقيرُ في الأرض تبتغي من فضلِ الله فأعطاكَ اللهُ من فضلِه وأغناك فقل الحمدُ لله ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

وإنْ سَعَيتَ في الأرضِ تبتغي من فضلِ اللهِ فلم تَبلُغْ ما تريدُ؛ فارْضَ بما قسمَ اللهُ لك، واعلمْ أن اختيارَ الله لك أَحسنُ من اختيارِك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة].

وحافِظْ على الصلواتِ في أوقاتِها، ولا تتركِ الجماعةَ، ولا تُخرِجِ الصلاةَ عن وقتها، وأَكْثِرْ من ذِكرِ اللهِ في كُلِّ زمانٍ؛ ومكانٍ فبذلك أمرَ اللهُ تعالى المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٨١)].

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

وقد مدحَ الله تعالى الذين استجابوا لربِّهم فقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وذمَّ الذين ألْهَتْهُمْ أموالُهم، وغرَّتهمُ الحياةُ الدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

فالصبرَ الصبرَ على الفقر! والرضا الرضا بما قسمَ اللهُ لك أيها الفقيرُ! يقول ﷺ لأبي هريرة: «**كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ**»[1].

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ بعد ذلك.

هذا الذي سنعرفهُ إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

(١) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٤٢١٧)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٦٥)، [«صحيح الجامع» (٤٤٥٦)].

١٨

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يرحمَ بعضُهم بعضاً ليرحمَهُمُ اللهُ ﷻ

**عبادَ الله!** يقول اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف].

وفي هاتين الآيتين يخبرنا ربُّنا جلَّ وعلا أن رحمتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ، ويخبرنا أيضاً عن أسبابِ رحمتهِ وعن المرحومين حتى لا يطمع في رحمته من لم يكن أهلاً لها، وَلِيهلِك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وأرسلَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً للمؤمنين خاصةً.

ووصى النبيُّ ﷺ أمتَهُ أن يرحمَ بعضُهم بعضاً ليرحمَهم اللهُ.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الثامنةَ عشرةَ لرسولِ الله**

ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يرحمَ بعضُهم بعضاً ليرحمَهُمُ اللهُ ﷻ.

يقولُ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**مَنْ لا يَرحمْ لا يُرحَمْ**»(٢).

يوصي رسولُ اللهِ ﷺ المسلمين أن يَرحمَ بعضُهم بعضاً ويخبرُهم أنهم إذا رحمَ بعضُهم بعضاً رَحِمَهم اللهُ، وإذا لم يرحمْ بعضُهم بعضاً لم يرحمْهُمُ الله. ومن رحمتِهِ ﷺ بأمتهِ أن دلهم على أسبابِ الرحمةِ التي جاءَتْ في الكتابِ والسُنة.

وها أنا أضعُ أمامكم أسبابَ الرحمةِ لتعملوا بها لعلّ اللهَ أن يرحمَنا.

**أولاً الإيمانُ بالله:**

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

**ثانياً: طاعةُ اللهِ ورسوله والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.**

قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٦)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

**ثالثاً: الإحسانُ.**

قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف].

والإحسانُ هو أعلى درجاتِ الدين، وهو كما عَرَّفهُ النبيُّ ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1].

**رابعاً: التقوى.**

قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

**خامساً: القرآنُ حفظاً وتدبراً واتباعاً.**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام].

**سادساً: الاستغفارُ.**

قال تعالى: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾ [النمل].

كيف لا؟ والاستغفارُ هو مفتاحُ كلِّ خيرٍ، قال تعالى: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

**سابعاً: الإصلاحُ بين الناس.**

قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

كيف لا؟ والرسول ﷺ يقول: «**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**»(١).

وقال ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّها اللهُ وَرَسُولُهُ؟**» قَالَ: بَلَى! قَالَ: «**تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وتَفَاسَدُوا**»(٢).

**ثامناً: رحمةُ الخلق.**

قال ﷺ: «**لنْ تُؤمِنوا حتَّى تَراحَموا**» قالوا: يا رسولَ الله! كلُّنا رحيمٌ. قال: «**إنَّه ليسَ برحْمَةِ أحدِكُم صاحِبَهُ، ولكنَّها رحمَةُ العامَّةِ**»(٣).

فعلى المسلمين أن يرحمَ بعضُهم بعضاً، ويأخذوا بكلِّ أسبابِ الرحمةِ ليكونوا كما وصفهُمُ اللهُ عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

وعلى المسلمين أن يتأسَّوْا في رحمتِهم برسولِ اللهِ ﷺ أرحمِ الخلقِ بالخلقِ عامةً، وأرحمِ الخلقِ بأمتهِ ﷺ خاصةً.

ومن مظاهرِ رحمتِهِ ﷺ بأمتِهِ:

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه عبد بن حميد (٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٤٦١٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٧)].

(٢) **حسن لغيره:** رواه عبد بن حميد (٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٢٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٠)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه الطبراني (٣٩٢٢)، وعبد بن حُميد (٢٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٠)].

**أولاً: إلحاحُه ﷺ المستمرُّ على ربِّه، وسؤالُه المتكررُ لربِّه النجاةَ لأمتِه، وأن يغفرَ لهم، ويرحمَهم:**

كان رسول الله ﷺ دائمًا يُلِحُّ على ربِّه بقوله: «**اللهمَّ أُمتي، أمتي**» وبقوله: «**يَا رَبِّ! أُمَّتِي، أُمَّتِي**» حتى في الساعات الحرجة لا ينسى أمته، بخلاف الأنبياء السابقين، فكانوا يسألون ربهم أنفسهم دون غيرها كما في حديث الشفاعة: «**الناسُ في أرض المحشر يأتون آدم فيقول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فيقول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي... فيأتون عيسى فيقول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**».

وهذه هي الشفاعةُ العظمى لأهلِ الموقفِ جميعًا، لا يُشارِكُهُ فيها أحدٌ من الأنبياء.

ثم يقول ﷺ: «**فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ**»[1].

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧١٢، ٧٥١٠)، ومسلم (١٩٤، ٢٠٢).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦]، وَقَالَ في عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]. **فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»**[1].

نعم والله! إنهُ نبيُّ الرحمة.

كما وصفهُ اللهُ في كتابه فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وكما وصفَ ﷺ نفسَهُ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[2].

## ثانياً: ادخارُهُ ﷺ دعوتَهُ المُجابَةَ لتكونَ شفاعةً لأُمتِهِ يومَ القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مستجابةٌ يَدْعُو بِهَا فتعجلَ كلُّ نبيٍّ دعوته، وَإِنِّي اختبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه الدارمي (١٧)، والبزار (٩٢٠٥)، والحاكم (١٠٠)، [«الصحيحة» (٤٩٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٩).

**ثالثاً: أنهُ ﷺ لم يتركْ شيئاً مما تحتاجُ إليه الأمةُ مما فيهِ صلاحُها في دنياها أو أُخراها إلا بَيَّنَهُ أوضح بيان.**

عن العرباضِ بنِ سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ**» الحديث[1].

**رابعاً: ومن مظاهرِ رحمته ﷺ بامته: أنه ﷺ لم يأمرْ أمتَهُ بما يشقُّ عليها:**

الدليل على ذلك:

قولُه ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[2].

وقد يتركُ ﷺ المداومةَ على الأمرِ مخافةَ أن يُفرَضَ على الأمةِ، كما في تركِه ﷺ صلاةَ التراويحَ في المسجد، خشية ان تُفرَضَ على الأمةِ ولا تطيقُ ذلك.

فعن عائشةَ رضي الله عنها في قصة عدم خروجه ﷺ من البيتِ بعد صلاته ثلاثةَ أيامٍ أو أربعةً في المسجد: فقال ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**»[3].

بل قد يتركُ ﷺ الإجابةَ بـ(نعم) خشيةَ أن يُفرضَ ذلك الأمرُ.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ**

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (٣٣١)، [«الصحيحة» (٩٣٧)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١).

**عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»**. فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»**(1).

ومظاهرُ رحمتِه ﷺ بأمتهِ كثيرةٌ جداً، فعلى الأمةِ اليومَ ان يرحمَ بعضُها بَعضاً، وأنْ يتأسَّوا في ذلك برسول الله ﷺ ليرحمَهم اللهُ تعالى، فالنبيُّ ﷺ يقول: **«ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»**(2).

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمته بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٣٧).

(2) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«**صحيح الترغيب**» (٢٢٥٦)].

١٩

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا اللعنَ، والأسبابَ التي تُعَرِّضُهم للَّعنِ

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول سبحانه في وصف رسوله ﷺ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

ويقول ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[1].

من هذه الأدلة يتبينُ لنا أن رسولَ الله ﷺ بُعِثَ رحمةً للعالمين ولم يُبعثْ لعّانًا؛ لأنّ اللعنَ يتنافى مع الرحمة.

ومن رحمته ﷺ بأمتِهِ أنهُ وصاهم بوصايا عظيمةٍ تُحَذِّرُهم فيها من اللعنِ، ومن الأسباب التي تعرِّضُهم للعنِ.

ولذلك فموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ التاسعةَ عشرةَ لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ أن يحذروا اللعنَ، والأسبابَ التي تُعَرِّضهم للعن.**

عن جُرموزٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا**»[2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد(٥/ ٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٢١٨٠)، [«**صحيح الترغيب**» (٢٧٨٨)].

وقالَ ﷺ: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا**»[3].

وقال ﷺ: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

فالمسلمُ العاقلُ الذي يريدُ النجاةَ يمسكُ لسانَهُ عن اللعنِ، ويبتعدُ عن كلِّ الأسبابِ التي تعرِّضُهُ للعنِ.

واللعنُ هو (الطردُ والإبعادُ عن رحمةِ اللهِ، فإذا قيل: لعنهُ اللهُ؛ فالمعنى: طردَهُ وأبعدَهُ عن رحمتِهِ، وإذا قيل: اللهمَّ العنْ فلانـًا؛ فالمعنى: أبْعِدْهُ عن رحمَتِكَ واطْرُدْهُ عنها)[5].

واللعنُ مِنَ الخلقِ يكونُ بمعنى: السبِّ والدعاءِ.

وها أنا أضعُ أمامَكم أسبابَ استحقاقِ العبدِ للَّعنِ؛ لتبتعدوا عنها وتحذروها، وليهلِكَ من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١١٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٧).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٤٩٠٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٩٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٩٢)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٥) «القول المفيد» للشيخ محمد صالح العثيمين (١/ ٢٨٥).

ومن أسبابِ اللعن نذكر منها أهمَّها وهي:

**أولاً: الكفرُ بالله.**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة].

**ثانياً: الشرك بالله.**

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

وأظلمُ الخلقِ مَنْ كان كافراً أو مشركاً، قال تعالى عن الكفار: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]. وقال عن المشركين: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ الله»**[1]. والذي يذبحُ لغير الله ﷻ مشركٌ؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

**ثالثاً: النفاقُ ومرضُ القلب.**

قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧٨).

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

**رابعاً: قطيعةُ الرحمِ وعقوقُ الوالدين.**

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]، وفي الآية دليلٌ على أن قاطعَ الرحمِ ملعون.

قاطعُ الرحم ملعونٌ، قاطعُ الرحم لا يدخلُ الجنةَ، قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»[1].

والعاقُّ لوالديه ملعونٌ، قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**»[2]. وفي لفظ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ**»[3].

قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ، وَالِدَيْهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ أَبَوَيْهِ؟ قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ الرَّجُلُ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[4].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٧٨).

(٣) **صحيح:** جزء من حديث رواه أحمد (١/ ١٠٨)، وابن حبان (٤٤٠٠)، والحاكم (٨٠٥٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٢١)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

**خامساً: سَبُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.**

قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي**»(١).

وقال ﷺ: «**من سبَّ أصحابي، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين**»(٢).

لقد حذَّر النبيُّ ﷺ من سبِّ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَهُ**»(٣).

وكيف نسبُّ الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ!! وسَبُّهم من الكفرِ والنفاقِ والطغيانِ.

قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)(٤).

وقال أيضاً: (من كان منكم مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا واللهِ أفضلَ هذه الأمةِ، وأَبرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً، وأَقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبة نبيه وإقامةِ دينه، فاعرفوا لهم

---

(١) **حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٨)، وفي «الأوسط» (٤٧٧١)، [«صحيح الجامع» (٥١١١)].

(٢) **حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«صحيح الجامع» (٦٢٨٥)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٤) **حسن موقوفاً:** رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، وفي «الأوسط» (٣٦٠٢)، [«الطحاوية» (ص٣٦١)].

فَضْلَهم واتْبَعوهم في آثارِهم، وتَمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

ويقول الإمامُ الطحاويُّ رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته»: (ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نُفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونبغضُ مَنْ يبغضُهم، وبغيرِ الخيرِ يذكُرُهم، ولا نذكرهُم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان).

**سادساً: الابتداعُ في الدين.**

قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»[2]، والإحداثُ يشملُ الإحداثَ في الدينِ، كالبدعِ التي أحدثَها أهلُ البدعِ والأهواءِ، ويشملُ أيضاً الإحداثَ في الأمرِ كالجرائمِ وشِبْهِها، فمن آوى مُحدِثاً فهو ملعون، وكذا من ناصره.

إنّ في هذا الحديث تحذيراً من البدع والإحداثِ في الدين، وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضلالة**»[3].

**سابعاً: السرقة.**

قال ﷺ: «**لعنَ اللهُ السارِقَ يَسرِقُ البيضةَ فتُقطَعُ يَدُهُ، ويسرِقُ الحبلَ فتُقطَعُ يَدُهُ**»[4].

---

(١) ذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤)

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٧٨).

(٣) **حسن صحيح:** رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٠٩)، [«مساجلة علمية» (ص٤٦)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

كيف لا؟ والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة].

**ثامناً: أكلُ الرِّبا.**

قال جابر رضي الله عنه: «**لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الربا، ومُوكِلَهُ، وكاتبَهُ، وشاهِدَيه، وقال: هم سواءٌ**»(1).

كيف لا؟ والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة].

كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**»(2)، ويقول ﷺ: «**الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»(3).

**تاسعاً: شربُ الخمرِ.**

قال ﷺ: «**لعنَ اللهُ الخمرَ، وشارِبَها، وساقِيَها، وبائِعَها، ومُبتَاعَها، وعاصِرَها،**

(1) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٩٨).

(2) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والبزار (٣٣٨١)، والدارقطني (٢٨٤٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٥)].

(3) **صحيح**: رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

**ومعتصِرَها، وحامِلَها، والمحمُولةَ إليه وآكِلَ ثمنِها»**[1].

كيف لا؟

والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**الخمرُ أمُّ الخبائثِ، فمن شَرِبَها لم تُقبلْ صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنِهِ مات ميتةً جاهليةً**»[2].

وقال ﷺ: «**الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وَعَمَّتِهِ وَخَالَتِهِ**»[3].

**عاشراً: الرِّشوة.**

- يقول ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**»[4].
- وقال ﷺ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٩٧)، والحاكم (٧٢٢٨)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩١)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٧)، والدارقطني (٤٦١٠)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٤)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير(١١٣٧٢)، والدارقطني(٤٦١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٥)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٨٧)، والترمذي (١٣٣٦)، وابن حبان (٥٠٥٣)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩٣)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ١٩٠)، وعلي بن الجعد في «مسنده» (٢٧٦٧)، [«صحيح الجامع» (٥١١٤)].

الرشوةُ حرام، وهي أكلٌ لأموالِ الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨].

**الحادي عشر: المُحَلِّلُ والمُحَلَّلُ له.**

قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**»[١].

المُحَلِّلُ هو: التيسُ المُستعار.

والمُحَلَّل له: هو الرجلُ الذي طلّقَ امرأتَهُ ثلاثـًا فبانت منه بينونةً كُبرى، فلا تحلُّ لهُ إلا بعدَ أن تنكحَ زوجـًا غيرَهُ، فيقومُ المحلِّلُ (وهو التيس المستعار) بالزواج من هذه المرأةِ ليُحلِّلَها لزوجِها الأول، وهذا نكاحٌ باطلٌ.

قال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ هُوَ الْمُحَلِّلُ، لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**»[٢]

**الثاني عشر: الظلمُ.**

قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

**الثالث عشر: الذي يأتي امرأتَهُ في دبُرها.**

قال ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا**»[٣].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٦)، والترمذي (١١١٩)، [«الإرواء» (١٨٩٧)].

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (٤٨٠٤)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٢٠٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٩٦)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٣٣)، وأحمد (٢/ ٤٧٩)، [«صحيح الجامع» (٥٨٨٩)].

الذي يأتي امرأتَهُ في دُبُرها ملعون، كيف لا والنبيُّ ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، لا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ حَرَامٌ**»(٣).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ**»(٤).

**الرابعَ عشرَ: المرأةُ التي تأبى على زوجها إذا دعاها لفراشه.**

قال ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٥).

وقال ﷺ: «**إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ، هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٦).

وقال ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٧).

**الخامس عشر: المغيِّراتُ لخلق الله.**

قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ،**

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (١٩٢٤)، وأحمد (٥/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (١٨٥٢)].

(٢) **صحيح:** رواه ابن ماجه (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٧٨٠٢)].

(٣) **صحيح:** رواه النسائي في «الكبرى» (٨٩٤٦)، [«صحيح الجامع» (١٢٦)].

(٤) **صحيح:** رواه النسائي في «الكبرى» (٨٩٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧٤٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦١٢٣)، [«صحيح الجامع» (١٩٢١)].

(٥) **صحيح:** رواه البخاري (٥١٩٣).

(٦) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

(٧) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

**لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ**»[2].

المرأةُ التي تعتدي على وجهِها وتُغَيرُ خلقَ اللهِ ملعونةٌ، كيف لا؟ وهي قد أطاعَتْ في فعلِها ذلك الشيطان الذي قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

**السادس عشر: التشبهُ بالرجال من النساءِ، وبالنساءِ من الرجال**

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**»[3].

وعنه رضي الله عنهما أيضـًا قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**»[4].

فعلى المسلمِ العاقلِ الذي يريد النجاة أن يمسك لسانهُ عن اللعنِ، وأن يبتعدَ عن كلِّ الأسبابِ التي تعرضهُ للعنِ.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٥٨٨٥).

(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٥٨٨٦).



## وصيتهُ ﷺ للمسلمين أن يتخلّقوا بالأخلاقِ الحسنة

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل].

في هاتين الآيتين يأمرُ ربُّنا جلّ وعلا عبادَهُ بالأخلاقِ الحسنةِ، وينهاهم عن الأخلاق السيئةِ.

وبعثَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً ليُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق.

يقول ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارمَ الْأَخْلَاقِ**»(١) وفي رواية: «**صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(٢).

وربى النبيُّ ﷺ أصحابَهُ رضي الله عنهم على الأَخلاقِ الحسنةِ، ووصى أمتَهُ بالأخلاقِ الحسنةِ ومكارمِ الأخلاق.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصية العشرينَ لرسولِ الله ﷺ**

(١) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٤٩)، وتمام في «فوائده» (٢٧٦)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩١)، [الصحيحة(٤٥)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وأحمد (٢/ ٣٨١)، [الصحيحة(٤٥)].

**ألا وهي: وصيتُه ﷺ للمسلمينَ أن يتخلقوا بالأَخلاق الحسنة.**

اهتمَّ النبيُّ ﷺ طيلةَ حياتِهِ بتربيةِ أصحابه على الأخلاق الحسنة، لأنَّ الخُلقَ الحسنَ سببٌ لكلِّ خيرٍ لصاحبِهِ ولأُسرتِهِ ومجتمعِهِ وأمتِهِ ويظهر ذلك:

**أولاً: من أحاديثه ﷺ -التي فيها حثٌّ على الأخلاقِ الحسنةِ وتحذيرٌ من الأخلاق السيئة-.**

قال ﷺ: «**أَكْمَلُ النَّاسِ إِيمَانًا وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»(٣).

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(٤).

وقال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكُم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه**»(٥).

وقال ﷺ: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٥٢٧)، [«صحيح الجامع» (١٢٣٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢٧٨٧)، [«المشكاة» (٥٠٨٣)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤)، والحاكم (٢٢٩٦)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠)].

**ثانياً: من دعائه ﷺ: فقد كان ﷺ كثيراً ما يدعو الله ﷻ أن يُحسِّنَ خُلُقَهُ، مع أنه ﷺ أحسنُ الناسِ خُلقاً.**

فكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»(1).

ويقولُ ﷺ: «**... وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»(2).

لقد بُعثَ النبيُّ ﷺ ليتممَ مكارمَ الأخلاقِ ويأمرَ بها

قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(3)وفي رواية: «**صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(4).

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ...)(5) الحديث.

فيا أعداءَ الإسلامِ! هذا هو رسولُنا ﷺ الذي تتهمونه بالإرهاب، فإنه بُعث ليتمِّمَ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٦٨)، وأبو يعلى (٥٠٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٨٤)، [«الإرواء» (٧٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧١).

(٣) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٤٩)، وتمام في «فوائده» (٢٧٦)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩١)، [«الصحيحة» (٤٥)]

(٤) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وأحمد(٢/ ٣٨١)، [«الصحيحة» (٤٥)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

مكارمَ الأخلاق وليتمِّمَ صالحَ الأخلاق، وليأمرَ بمكارمِ الأخلاق، فهل هذا إرهابٌ؟

**ثالثاً: من أخلاقه ﷺ.**

كان ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقـاً.

ويشهدُ له بذلك ربُّهُ الذي خلقَهُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] وكفى بالله شهيداً.

وتشهدُ له زوجتُه وحبيبتُه أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ)[1].

ويشهد له أصحابهُ رضي الله عنهم، يقول أنسٌ رضي الله عنه خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ؟[2].

وعنه رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا[3].

وقال أنس رضي الله عنه أيضـاً: مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ ﷺ[4].

**رابعاً: من فعله ﷺ**

لقد ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ لأمتهِ أروعَ الأمثلةِ في حسنِ الخلقِ ومن الأمثلة على

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

ذلك:

١- يقولُ أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين**»(١).

٢- ويقول أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**»(٢).

٣- وتقولُ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**وَضَعَ النبيُّ ﷺ صَبِيًّا فِي حَجْرِهِ يُحَنِّكُهُ، فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ**»(٣) إنها أخلاق النبوة!

٤- ويقول أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً، حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ -أَوْ صَفْحَةَ- عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)(٤).

٥- ويقول ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٠٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ[1]، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»)[2].

## خامساً: من تربيته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم:

١- يقول عقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «**يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[3].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ** -وهو الرماد الحار- **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[4].

٣- وهذا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه يضربُ لنا أروعَ الأمثلةِ في حسن الخلق عندما دخل عليه رجلٌ فقال له: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ

---

(١) الصِّرف: شَجر أحمر يدبغ به الجلود.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٣٣٦)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ١٥٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٦٩/ ٨٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٢٣)، [«الصحيحة» (٨٩١)].

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٥٨).

تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»[1].

أتدري يا مسلمُ! يا عبد الله! لماذا وصّاك النبيُّ ﷺ بالأخلاقِ الحسنةِ؟

**الجواب:**

**أولاً:** لأنَّ حسنَ الخلقِ يجعلُك من أحباب الله، وإذا كنتَ من أحبابه ﷻ، استجابَ لك إن دعوتَه، ولا يعذبُك في النار أبداً.

جاءَ ناسٌ من الأعراب إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: أيُّ الناسِ أحبُّ إلى الله يا رسولَ الله؟! فقال ﷺ: «**أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»[2].

**ثانياً:** لأنّ حُسنَ الخُلق يثقلُ الميزانَ يومَ القيامة.

قال ﷺ: «**مَا مِنْ شَيءٍ فِي الِميزانِ أَثْقَلُ مِن حُسْنَ الخُلُقِ**»[3].

والله ﷻ يقــــول: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٨٦)، [«التعليقات الحسان»].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠٩-٣١٠)، [«صحيح الجامع» (٥٧٢٦)].

**ثالثاً:** لأن حسنَ الخلقِ طريقٌ إلى الجنة.

سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ ما أكثرُ مَا يُدخِلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَقوى اللهِ وحُسنُ الخُلُقِ**»(١).

**رابعاً:** لأن حسنَ الخلقِ يرفعُ الدرجاتِ في الجنة.

قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٢).

**خامساً:** لأن حسنَ الخلقِ يُدني صاحبَه من النبيِّ ﷺ يومَ القيامة.

قال ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**»(٣).

**سادساً:** لأنَّ حسنَ الخلقِ يحوِّلُ العدوَّ إلى صديقٍ حميم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

**سابعاً:** لأن حسنَ الخلقِ يجعلُ صاحبَه من أفضلِ المؤمنين، ومن خيارِ الناس.

سُئِلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٤).

---

(١) **حسن:** رواه الترمذي (٢٠٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٤)، والطيالسي (٢٤٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٥٥)، [«صحيح الترغيب» (١٧٢٣)].

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠)، والحاكم (١٩٩)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٣)].

(٣) **حسن:** رواه الترمذي (٢٠١٨)، وأبو نعيم (٣/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٢٢٠١)].

(٤) **حسن:** رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣٣٢٦)، الحاكم(٨٦٢٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٥٤)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا**»(١).

**ثامناً:** لأن حسنَ الخلق سببٌ لعفوِ الله وغفرانِه.

قال ﷺ: «**أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا. قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»(٢).

فبالأخلاقِ الحسنةِ يتحصّلُ المسلمُ على سعادةِ الدنيا والآخرة.

ولكن كيف يُحسِّنُ المسلمُ خُلُقَهُ؟

**أولاً:** بعبادتِهِ للهِ وحدَهُ لا شريكَ له، وذلك لأن جميعَ العباداتِ تربي المسلمَ على حسنِ الخلقِ، فمثلاً:

١- الصلاةُ، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج]، -وهذه أخلاقٌ ذميمةٌ سيئة- ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج] وهذه أخلاق حسنة.

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٣٩١)، ومسلم (١٥٦٠).

٢- الزكاةُ، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٣- الصيامُ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَلَا شَرَابَهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**»(٣).

وعن ابن عباسٍ قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، قَالَ: فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)(٤).

فشهرُ رمضانَ هو مدرسةُ الأخلاقِ: صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وكرمٌ، صدقةٌ وزكاة، إمساكٌ للسانِ عن قولِ الزور والكذبِ والسبِّ والشتم، وإطلاقُ للسان في قراءةِ القرآنِ وذكرِ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (١٩٠٣).

(٣) **صحيح:** رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (١٥٧٠)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٧٠)، [«صحيح الجامع» (٥٣٧٦)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

الله. وكلُّ ذلكَ من الأخلاق الحسنة، فمن أراد أن يحسِّنَ خُلُقَهُ فَلْيجتهدْ في عبادةِ الله في كُلِّ الأوقاتِ عامة، وفي شهرِ رمضانَ خاصة.

٤- وكذلك الحجُّ مدرسةٌ في الأخلاق.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧].

وقال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

**ثانيًا:** بمصاحبة ومجالسة الصالحين الذين عُرفوا بحسن الخلق، وذلك لأنّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(٣).

وقال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٤).

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً،**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) **حسن:** رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٥٤)، وأبو نعيم (٥/ ١٩٨)، [«الصحيحة» (٣٤٢)].

(٣) **حسن:** رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٥)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

(٤) **حسن:** رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤)، والحاكم (٧٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٥)].

**وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا خَبِيثَةً»[1].**

**ثالثـًا:** الإلحاحُ في الدعاء، والتأسي برسول الله ﷺ، وذلك لأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقـًا ومع ذلك كان يكثرُ من دعائه: «**اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»[2].

ويقول ﷺ: «**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عني سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...**»[3]. ونحن أمرنا الله أن نتأسى به ﷺ في كل شيء.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ [الأحزاب:٢١].

**رابعـًا:** أن يتعرَّفَ المسلمُ على أضرارِ الأخلاقِ السيئةِ على صاحبِها في الدنيا والآخرة فهذا يدفعُه إلى تحسينِ خلقِه.

ما هو سوءُ الخلق؟ وما هي مظاهرُه في الأمة؟ وما هي أسبابُه؟ وما هي آثارُه على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة؟

هذا الذي سنعرفهُ في الجمعةِ القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية، اللهم حَسّن أخلاقنا.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٦/ ٦٨)، وأبو يعلى (٥٠٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٨٤)، [«الإرواء» (٧٤)].

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٧٧١).



## وصيتهُ ﷺ للمسلمين ان يجتنبوا سُوءَ الخلقِ

عبادَ الله! يقولُ الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل].

في هذه الآية يأمرُ ربُّنا ﷻ عبادَهُ المؤمنين بحسن الخلق، وينهاهم عن سوءِ الخلقِ.

وقد بعثَ اللهُ ﷻ رسولَه محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ لدعوةِ الناسِ إلى الأخلاقِ الحسنةِ، وتحذيرهم من الأخلاقِ السيئة.

وقد تكلَمنا في الجمعة الماضية عن وصيتهِ ﷺ للمسلمين أن يتخلقوا بالأخلاق الحسنة ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

وموعدُنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الإحدى والعشرينَ لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يجتنبوا سُوءَ الخلقِ.**

عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ»**(١).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ﵄: (أنَّ رجلاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! أيُّ

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٤٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٦٢)].

الناسِ أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أحبُّ النّاسِ إلى اللهِ أنفعُهُم للناس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله عزّ وجلَّ سرورٌ يُدخِلُهُ على مسلمٍ أو يكشِفُ عنه كُربةً، أو يقضي عنه دينًا، أو يطردُ عنه جوعًا، وَلَأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتكفَ في المسجدِ شهرًا، ومن كفَّ غَضبهُ سترَ اللهُ عورتَه، ومن كظمَ غيظَهُ ولو شاءَ أن يُمضيَهُ أمضاهُ ملأَ اللهُ قلبَهُ رجاءَ يومَ القيامةِ، ومن مشى مع أخيهِ في حاجةٍ حتى يُثبتَها له أثبتَ الله تعالى قَدمهُ يوم تزلُ الأقدامُ، وإنَّ سوءَ الخُلقِ يُفسِدُ العملَ كما يفسدُ الخلُّ العسلَ**»[1].

لما أرشدَ النبيُّ ﷺ السائلَ إلى أحبِّ الاعمالِ إلى الله تعالى ختم هذا الإرشادَ بقوله: «**وإن سوءَ الخُلقِ يُفسِدُ العملَ كما يفسدُ الخلُّ العسلَ**».

وكأنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ للسائل: إذا علمتَ ما ذكرتُه لك من أحبِّ الأعمال إلى اللهِ، وهُديتَ إليها كُلِّها أو بعضِها فاجتنبْ سوءَ الخلقِ، فإن سوءَ الخلقِ يُحبطُ الأعمالَ ويُضيعُ الثوابَ، وقد دلت على ذلكَ أحاديثُ كثيرةٌ منها:

قولُه ﷺ لأصحابه يومًا: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فقَالَ ﷺ: «**المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعطى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خطَايَاهُمْ فَطُرِحَت عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (٩٢)، [«الصحيحة» (٩٠٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٢٥٨١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»(١).

فسوءُ الخُلُقِ يُفسدُ العملَ، ويُحبطُ الأعمالَ، ويُدخلُ النارَ، ويُهلكُ الأمَمَ.

وصدقَ مَن قال(٢):

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقيتْ ... فإن هُمُ ذهبَتْ أَخلاقُهُمْ ذَهبوا

وكلامُنا عن سوءِ الخُلُقِ سيكونُ حولَ الإجابةِ عن الأسئلة التالية:

ما هو سوءُ الخُلقِ؟ وما هي أركانُهُ التي يقومُ عليها؟ وما هي مظاهِرُه في الأمة؟ وما هي أسبابُه؟ وما هو العلاجُ الشرعيُّ لسوءِ الخلقِ؟

أما تعريفُ سوءِ الخلقِ فهو: بذلُ القبيح، وكَفُّ الجميلِ، أو أنهُ: التَحَلِّي بالرذائلِ، والتخلّي عن الفضائل(٣).

أما أركانُ سوءِ الخلقِ التي يقومُ عليها يقولُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنشأُ جميعِ الأخلاقِ السافِلَةِ، وبناؤُها على أربعةِ أركان: الجهلُ، والظلمُ، والشهوةُ، والغضبُ.

**فالجهلُ:** يُريد الحسنَ في صورةِ القبيحِ، والقبيحَ في صورة الحسنِ.

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن حبان (٥٧٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٠)].

(٢) وهي للشاعر المصري أحمد شوقي.

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).

**والظلمُ:** يَحْمِلُهُ على وضعِ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ.

فيغضبُ في موضعِ الرِّضا، ويرضى في موضعِ الغضبِ، ويَلينُ في موضعِ الشِّدَّةِ، ويشتَدُّ في موضعِ اللينِ، ويتواضعُ في موضعِ العِزَّةِ، ويتكبرُ في موضعِ التواضعِ.

**والشَّهوةُ:** تحملُهُ على الحرصِ، والشُّحِّ، والبُخلِ، وعدمِ العفةِ، والذُّلِ والدَناءاتِ كُلِّها.

**والغضبُ:** يحملُهُ على الكِبْرِ والحِقدِ، والحسَدِ، والعدوان.

ويتركبُ من بينِ كلِّ خُلُقَينِ من هذه الأخلاقِ: أخلاقٌ مذمومةٌ ومِلاكُ هذهِ الأربعةِ أَصلَانِ: إفراطُ النفسِ في الضعفِ، وإفراطُها في القوة.

فيتولَّدُ من إفراطِها في الضعفِ: المهانةْ والبخلُ واللؤمُ والشُّحُّ وسَفسافُ الأمورِ والأخلاقِ.

ويتولدُ من إفراطِها في القوة: الظلمُ والغضَبُ والفحشُ والطيشُ، فالأخلاقُ الذميمةُ: يُوَلِّدُ بعضُها بعضاً، كما أن الأخلاقَ الحميدةَ، يُولِّدُ بعضُها بعضاً)[1].

أما مظاهرُ سوءِ الخلقِ فهي كثيرةٌ جداً منها:

### أولاً: الغِيبةُ:

والغيبةُ خُلُقٌ ذميمٌ، لا يصدُرُ إلا من نفسٍ ضعيفةٍ وضيعةٍ دنيئةٍ، وهذا الخلقُ السيءُ ينتشرُ في الأمةِ اليوم.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢١، ٣٢٢).

والغيبةُ حرامٌ بالكتاب والسنةِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحُجُرات:١٢].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، ولم يدخل الإيمان قلبه، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَو فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**»(١).

والغيبةُ هي ذِكرُكَ أخاكَ بما يكره؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٢).

فمن كان من المسلمين مُبتلى بهذا الخُلقِ الذميم السيءِ فَلْيَتُبْ إلى الله قبلَ فوات الأوان، وقبلَ أن يندمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم، وليعلمْ بأن اللهَ يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

## ثانياً: النميمة:

النميمةُ هي نقلُ الكلامِ بين الناسِ بقصد التفريقِ والإفسادِ، وهي خلقٌ سيءٌ ينتشرُ في الأمة اليوم.

والذي يقومُ بهذا العملِ الخبيثِ هو النمام، والنميمةُ محرمةٌ بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٩).

وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[1].

وقال ﷺ: «**خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ**»[2].

**ماذا يجبُ على المسلم تجاهَ النمّام صاحبِ الخلقِ السيء؟**

١- أن لا يُصدِّقَه؛ لأنّ النمامَ فاسقٌ. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحُجُرات:٦].

٢- أن ينهاه عن ذلك، وينصحَهُ، ويُقبِّحَ له فِعلَه.

٣- أن يُبغِضَه في الله تعالى، فإنه بغيضٌ عندَ الله تعالى، ويجبُ بغضُ من أبغضَه الله تعالى.

٤- أن لا يظنَّ بأخيهِ الغائبِ سوءاً.

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحُجُرات:١٢].

٥- أن لا يحملَه ما حُكيَ له على التجسسِ، والبحثِ عن ذلك وذلك لقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرات:١٢]. واعلمْ يا مسلمُ أن من نمَّ إليك؛ نمَّ عليك، فاحذرِ النمامَ!

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٥).

(٢) **حسن لغيره:** رواه أحمد(٤/ ٢٢٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٤)].

### ثالثاً: الكذب:

الكذبُ من الأخلاقِ السيئةِ، والصفاتِ القبيحةِ، فهو خَصلةٌ من خِصال النفاق، وآيةُ سقوط الهمة، وخُبثِ الطَّوِيَّة، ولقد انتشر هذا الخلقُ السيءُ في الأمة اليومَ فهداهم إلى الفجور، والنبيُّ ﷺ يُحَذِّرُ من هذا الخلقِ فيقول: «...**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

### رابعاً: الفخرُ بالنسب:

الفخرُ بالنسبِ خلقٌ جاهلي، ذمَّهُ الإسلامُ، ومقتَ أهلَه، وحَذَّرَ من صنيعِهم.

إنما الفخرُ كُلُّ الفخرِ بتقوى اللهِ ﷻ؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ ثم بَيَّنَ مِعيارَ التفاضلِ بين الناس فقال: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ لا تفاخروا، ثم بَيَّنَ مِعيارَ التفاضلِ بين الناس فقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجُرات:١٣].

فليسَ التفاضلُ بالجنسِ، أو اللونِ، أو العِرقِ، وإنما هو بالتقوى.

فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلامُ سَلْمانَ فارِسٍ ... وَقَدْ وَضع الْكُفْرُ النَّسِيْبَ أَبا لَهبِ(٢)

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠٧).

(٢) نسبه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٤٦): لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

**خامساً: سوءُ الأدبِ مع الجيرانِ:**

الإساءةُ للجارِ خلقٌ ذميم، لأن الجارَ له حقٌّ عظيمٌ ومكانةٌ عاليةٌ في الإسلام.

قال ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[1].

أما أسبابُ سوءِ الخلقِ:

**أولاً: طبيعةُ الإنسانَ الخبيثة:**

فهناك من الناسِ مَنْ جُبِلَ على الخُبثِ، والبذاءةِ، وسوءِ الخلقِ، فَتَغلبُ عَليه هذه الطبيعةُ الخبيثةُ، وتؤثر فيه، وتُوَجِّهُهُ إلى مساوئ الأخلاقِ، وتصرفُه عن محاسنِها.

**ثانياً: البيئةُ السيئةُ، وقرينُ السوء:**

البيئةُ السيئةُ سببٌ لسوءِ الخلقِ، ومن أقوى الأدلةِ على ذلك: الرجلُ الذي قتلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ! وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ[2].

فالشاهدُ من الحديث أن العالمَ أمرَ الرجلَ أن يغيرَ البيئة السيئة التي يعيشُ فيها إلى

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

بيئةٍ صالحةٍ.

أما قرين السوء؛ فالصاحبُ ساحبٌ، فمن صاحَبَ صاحِبَ الخلقِ السيء تعلمَ منه الأخلاقَ السيئة.

ولذلك قال ﷺ: «**إنما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ. وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١).

## ثالثاً: الغضب:

الغضبُ يدفع صاحبَهُ إلى كلِّ خُلقٍ سيء، عن سُليمانَ بنُ صُرَدٍ قال: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا هَذَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي؟(٢)

فهذا الرجلُ وقع في شرِّ كُلِّ جوارحِه عندما رفض أن يستمع لنصيحةِ رسولِ الله ﷺ.

والرسولُ ﷺ يقول: «**إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، سَكَنَ غَضَبُهُ**»(٣).

ولذلك عندما جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠).

(٣) **صحيح:** رواه ابن عدي(٨/ ٢٥٤)، [«الصحيحة» (١٣٧٦)].

كُلَّهُ[1].

**رابعاً: الجهلُ:**

الجهلُ يوردُ صاحبَهُ المهالكَ، وينزعُ به إلى الشرور والبلايا والجاهلُ عدوُّ نَفْسِه، يسعى في دمارِها من حيثُ لا يشعرُ.

والجهلُ مدخلٌ عظيمٌ من مداخلِ الشيطان يجعلهُ لا يعرفُ الحَسنَ من القبيح، ولا الخيرَ من الشرِّ.

والجهلُ يَطمسُ القلبَ ويُعمي البصيرةَ، ولذلك ترى الجاهلَ يسيءُ إلى نفسِه وإلى أهلِه وإلى جيرانه وإلى مجتمعِه، ويظنُّ بِجهلِهِ أنه يُحسنُ صُنعًا، نعوذُ بالله من الجهلِ ومن أخلاقِ الجهلاء.

وأما علاجُ سوءِ الخلقِ فيكونُ.

**أولاً: بالدعاءِ:**

فالنبيُّ ﷺ كان يقولُ في دعائه: «**اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»[2].

**ثانياً: التأسي برسولِ الله ﷺ في اخلاقه.**

فاللهُ ﷻ يشهدُ له بالخلق العظيم فيقول سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

والنبيُّ ﷺ يُبينُ انهُ بُعِث ليتممَ مكارمَ الأخلاق، قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ**

(١) **صحيح**: رواه أحمد(٥/ ٣٧٣)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٦)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٦٨)، وأبو يعلى (٥٠٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٨٤)، [«الإرواء» (٧٤)].

الْأَخْلَاقِ»(1).

**ثالثاً: بمصاحبة المؤمنينَ المتقينَ أصحابِ الأخلاقِ الحسنةِ.**

قال ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(2).

ما هي وصية النبيِّ ﷺ للمسلمين بعد ذلك.

هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(1) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وأحمد(٢/ ٣٨١)، [«الصحيحة» (٤٥)].

(2) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٥)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

٢٢

# وصيتهُ ﷺ للمجاهدين في سبيل الله

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

هذه الآياتُ نزلت في الجهادِ في سبيلِ الله في غزوة الأحزابِ، وفيها يأمرُ ربُّنا ﷻ عبادَهُ المؤمنين أن يتأسَّوْا برسولِ اللهِ ﷺ في كلِّ شيءٍ عامةً، وفي شجاعتِهِ خاصةً.

فرسولُنا محمدٌ ﷺ أشجعُ الناسِ على الإطلاقِ قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ ﴾ [النساء: ٨٤].

ففي الآيةِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَه محمداً ﷺ أن يباشرَ القتالَ بنفسِه، وهذا أكبرُ دليلٍ على شجاعته ﷺ.

يقول أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**[١]»)[٢].

ويقولُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا)[٣].

ومن شجاعتِهِ ﷺ يوم حنين عندما أصابَ المسلمين ما أصابَهم، وفرَّ بعضُهم من أرضِ المعركةِ، ركبَ النبيُّ ﷺ بغلته، وانطلقَ نحوَ العدوِّ وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[٤].

نعم واللهِ! إنهُ الأُسوةُ الحسنةُ في كلِّ شيء لمن كانَ يرجو رضا اللهِ والجنة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

والشجاعةُ عمادُ الفضائل، ومَن فقدَها لم تَكْمُلْ فيه فضيلةٌ[٥].

الشجاعةُ المحمودةُ تتوسَّطُ خُلُقين مذمومَين، وهما: الجُبنُ والتَّهوُّر، وتكونُ محمودةً إذا كان المقصودُ بها نَصرَ الحقِّ، وردَّ الباطلِ، وتحصيلَ المنافعِ العامةِ

(١) لم تُراعوا: أي لا تخافوا ولا تفزعوا.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (١/ ٨٦)، [«محققو المسند»].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري(٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٥).

(٥) «نضرة النعيم» (٦/ ٢٣٢٣).

والمصالحِ المشتركة[1].

انظرْ إلى ما يحدثُ في العالم اليومَ من التهوُّرِ من كثيرٍ من الشباب الذين تدفَعُهم العاطفةُ والحماسةُ مع الجهلِ بالدين، فيُفجّرون أنفسَهم، فيقتلونَ الشيوخَ والنساءَ والأطفالَ، ويظنون أن ما فعلوهُ جهادٌ في سبيل الله.

ولذلك وصى النبيُّ ﷺ المجاهدين في سبيلِ الله بوصايا عظيمةٍ، ليتحصلوا على فضلِ الشهادة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ الله تعالى مع **الوصيةِ الثانيةِ والعشرين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُه ﷺ للمجاهدين في سبيلِ الله.**

عن بُريدةَ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سارية أوصاهُ في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا[2]، وَلَا تَغْدِرُوا[3]، وَلَا تَمْثُلُوا[4]، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي**

(١) «رياض النضرة» للشيخ السعدي.

(٢) ولا تغلوا: من الغلول، أي لا تخونوا في الغنيمة.

(٣) ولا تغدروا: ولا تنقضوا العهد.

(٤) ولا تمثلوا: أي لا تشوهو القتلى بقطع الأنوف والآذان.

**الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ»**[1].

وصيةٌ عظيمةٌ من رسولٍ عظيم نستفيدُ منها:

**أولاً: على وليِّ الأمرِ أن يوصيَ أميرَ الجيشِ والجيشَ قبلَ الخروجِ للجهادِ في سبيلِ الله بتقوى الله تعالى:**

فها هو رسولُ الله ﷺ كان إذا أَمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سَرِيَّةٍ أوصاه في خاصتِهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. وذلك لأن النصرَ والعِزَّ والتمكينَ لا يكونُ إلى لأهل التقوى.

كيف لا؟

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

**ثانياً: ويُستفادُ من وصية رسولِ الله ﷺ للمجاهدينَ في سبيلِ الله أن للجهاد في سبيل الله شروطاً هي:**

**الشرطُ الأولُ: وجودُ الإمام -وليُّ الأمر-:**

قال ﷺ: «**الإِمَامُ جُنَّةٌ** -أي: وقاية- **يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ**»[2].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري(٢٩٥٧)، ومسلم(٤١٦).

فالقتالُ من أمامِه -أي: بالتقدُّم والتَّعَدي عليه ليس قتالاً شرعياً.

فها هو الجيشُ المسلم كما جاء في الوصية يخرجُ بأَمرِ رسول الله ﷺ فهو إمامُنا ووليُّ أَمرنا، بأبي هو وأمي ﷺ.

**الشرطُ الثاني: الرايةُ الشَّرعيةُ.**

قال ﷺ: **«مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»**(١).

والرايةُ واضحةٌ وضُوحَ الشمسِ في وصيةِ رسولِ الله ﷺ عندما قال للجيش: **«اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»**(٢).

**الشرط الثالث: إعدادُ العدةِ المادية:**

والعدَّةُ الماديَّةُ قسمان:

**القسم الأول:** العُدَّةُ العسكرية.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

**القسم الثاني:** العُدَّةُ البشرية.

وضابطُها أن يكونَ عددُ جيش المسلمين على النصف من عددِ جيش الكفارِ، فإن زادوا عن ذلك فلا يجبُ على المسلمين دخولُ المعركة.

قال تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾ [الأنفال].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٠).

**ثالثاً: ويُستفادُ من وصية رسول الله ﷺ أن الهدفَ الأسمى والأعلى للجهادِ في سبيل الله هو دعوةُ الناسِ إلى الإسلامِ، ولتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، وكلمةُ الذين كفروا السفلى.**

أما دعوةُ الناسِ إلى الإسلام فتؤخذُ من وصيتِه ﷺ حيثُ قال لأمير الجيشِ: «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**»[1].

وفي غزوة خيبرَ قالَ رسولُ الله ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه عندما أعطاهُ الرايةَ وأرسَله إلى خيبر: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ**»[2].

الشاهدُ من هذه الأدلةِ أنّ الهدفَ الأسمى من الجهادِ في سبيل الله هو دعوةُ الناسِ إلى الإسلام، فما هذا الذي نراهُ من بعض الفرقِ التي ضَلَّتْ عن السبيل من تفجيرٍ في الأسواق وفي الأماكنِ العامةِ وفي الكنائسِ، هل هذا الفعلُ المشينُ يدعو الناسَ إلى الإسلام؟

إذا كان الجوابُ لا، فليعلمْ هؤلاء الذين يقومون بهذه الأعمال أن أعمالَهم ليست مشروعةً، وليست جهاداً في سبيل الله.

أما لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا:

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (١٧٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

ﭐثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

أي: من أجلِ هذا الهدفِ؛ انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيلِ الله.

وقال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

**رابعاً: ويستفادُ من وصية رسولِ الله ﷺ أن للقتال آداباً:**

ومن آداب القتال في الإسلام أثناءَ المعركة:

**١-إحسانُ القتل:**

لقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**»(٢).

**٢- اتقاءُ الوجهِ:**

لقوله ﷺ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢).

**٣- أن لا يقتلوا النساءَ والصبيان:**

فعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَازِي، فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ**»(١).

أما إذا ركِبَتِ المرأةُ الطائرةَ، وحاربتِ المسلمين، أو الدبابةَ وقتلتِ المسلمين فتُقتلُ لأنها شاركت في المعركة.

**٤- أن لا يَحْرقوا بالنار:**

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْثٍ وَقَالَ لَنَا: «**إِنْ لَقِيتُمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا** -لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا- **فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ**» قَالَ: ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ، فَقَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلاَنًا وَفُلاَنًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**»)(٢).

ومن آداب القتال في الإسلام بعد انتهاء القتال:

١- النهيُ عن المُثلةِ؛ لقول ﷺ: «**وَلَا تَمْثُلُوا**»(٣)، فلا يجوز أن يَمثُلَ المسلمونَ بقتلى المشركين، بقطع أنفٍ أو أذنٍ أو يدٍ أو رجلٍ وغير ذلك.

٢- الأمرُ بدفن قتلى المشركينَ، فقد كان ﷺ بعدَ انتهاءِ المعركةِ يأمرُ بدفن قتلى الكفار.

٣- الأمرُ بالإحسانِ إلى الأسرى، ففي غزوة بدرٍ أمكنَ اللهُ رسولَه من المشركين فقتل

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٢٩٥٤).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣١).

منهم سبعين، وأَسَرَ سبعين، فلما رجع ﷺ إلى المدينة فرَّقَ الأسرى بين الصحابةِ، ووصاهم بهم خيراً، فكانوا يُطعِمونهم ويَسقونهم، فضربوا بذلك مثلاً أعلى في حُسن معاملةِ الأسرى، حتى مدحهم الله في كتابه فقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

٤- النهيُ عن الغُلول؛ وهو الأخذُ منَ الغنائم قبلَ قسمتها، فقد أقبلَ نفرٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ يومَ خيبرَ فقالوا: فلانٌ شهيدٌ، فلانٌ شهيدٌ، حتى مَرُّوا على رجل فقالوا فلانٌ شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**»(١).

٥- النهي عن الغدرِ، فإذا انتهتِ الحربُ بصُلحٍ عامٍّ أو معاهدةٍ أو أجارَ أحدٌ من المسلمين محاربـًا، أو أعطاه أمانـًا وَجَبَ الوفاءُ بالعهدِ والأمانِ، وحَرَّمَ الغدرَ والخيانة، قال ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»(٢).

ما هي وصية النبي ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٦٦).



# وصيتُه ﷺ للمسلمين بالصبرِ وعدمِ الاستعجالِ

**عبادَ الله!** يقولُ الله ﷻ لرسول ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥].

في هذه الآيةِ يأمُرُ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَهُ محمداً ﷺ بالصبرِ وعدمِ الاستعجال.

فَرَبَّى رسولُنا محمدٌ ﷺ أصحابَهُ على الصبرِ وعدمِ الاستعجال، ووصى أمتَهُ بالصبرِ وعدمِ الاستعجال.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الثالثة والعشرين؛ وصيتُهُ ﷺ للمسلمين بالصبر وعدم الاستعجال.**

عن خَبابِ بنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ ﷺ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

في هذه الوصية يُخبرُ النبيُّ ﷺ أمتَهُ أن النصرَ قريبٌ، وأن الإسلامَ سيصلُ إلى كلِّ مكان، ولكنَّ هذا يحتاجُ إلى صبرٍ وعدمِ استعجال.

يقول ﷺ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(١).

وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**»(٣).

ويقول ﷺ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ**»(٤).

ويقول ﷺ: «**لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٨٣٢٦)، [«الصحيحة» (٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٧٨٦٢)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٠).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩١٩).

ويقول ﷺ: «**هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لَيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهَما فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1].

وأخبرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ أنَّ هذا النصرَ يكونُ مع الصبرِ وعدمِ الاستعجال.

فقالَ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[2].

فالنصرُ مرتبطٌ بالصبرِ، والهزيمةُ مرتبطةٌ بالاستعجال ومن الأمثلةِ على ذلك:

في غزوةِ الأحزابِ كان النصرُ مع الصبر.

تعالَوا بنا -عبادَ الله- لنتعرفَ على الظروف الصعبةِ التي كانت تحيطُ بالمسلمين في غزوة الأحزاب.

**أولاً:** أعدادُ الكفارِ كبيرةٌ جداً بلغت عشرةَ آلفِ مقاتل تُحيطُ بالمدينة. في حينِ أنَّ عددَ جيش المسلمينَ لم يتجاوزْ ثلث هذا العدد.

**ثانياً:** جوعٌ شديدٌ وبردٌ قارسٌ.

**ثالثاً:** وَصلتِ الأخبارُ أن يهودَ بني قُريظةَ غدَروا بالمسلمين؛ فنقضوا العهدَ الذي بينهم وبين رسولِ اللهِ ﷺ ليضربوا المسلمين من الخلفِ تعاونـًا مع جيش الكُفر.

**رابعاً:** تركَ المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ أرضَ المعركة بحُجَجٍ واهيةٍ زاعمين كذبـًا أنَّ بيوتهم مكشوفةٌ للأعداءِ، وإنما يُريدون الفِرارَ من المعركةِ.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، وعبد بن حميد (٦٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١٤٧٦٨)، والحاكم (٦٣٠٤)، [«الصحيحة» (٢٣٨٢)].

**خامساً:** أخذَ بعضُ المنافقين والذين في قلوبهم مرضٌ يدعونَ غيرَهم لتركِ أرضِ المعركةِ والرُّجوعِ إلى بيوتهم وأهليهم، بحجة أنه لا قِبَلَ لهم بعددَ الكفار.

**سادساً:** طالَ الحصارُ، واشتدَّ من الكفارِ للمدينة شهراً كاملاً.

والله ﷻ يُخبرُنا بهذه الظروفِ الصعبةِ على المسلمين ويُصوِّرُها لنا فيقولُ سبحانَه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب].

وكما أنّ الشدائدَ تَظهرُ نفاق المنافقين، فهي كذلك تُظهرُ إيمانَ المؤمنين، فالمؤمنون وهم يعيشون هذه الظروفَ الصعبةَ في أرضِ المعركةِ، وهم على أعصابِهم تذكروا قولَ اللهِ تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف].

وتذكّروا قولَهُ تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ ﴾ -عندها- يأتي الجوابُ من ربِّ العالمين الذي بيده النصر: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة].

ورسولُنا ﷺ يبعثُ حذيفةَ رضي الله عنه ليأتيَ بخبرِ القومِ، وماذا نزل بهم من اللهِ تعالى.

يقول حذيفةُ رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ

شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»** فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»** فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»**، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: **«قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»**، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: **«اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»**، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»**، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ)[1].

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

ورجَعَتِ الأحزابُ تجرُّ أذيالَ الخيبةِ والحزنِ لم ينالوا شيئًا مما جاءوا له.

وقال ﷺ: **«الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»**[2].

وامتنَّ اللهُ ﷻ على المؤمنين بنصرِهم هذا في غزوة الأحزاب.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١١٠).

ولذلك كانَ رسولُ الله ﷺ يَنسِبُ الفضلَ كلَّه في هزيمةِ الأحزابِ للهِ ﷻ.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: «**لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ فلا شيءَ بعده**»[1].

لتعلموا يا أمةَ الإسلامِ انَّ النصرَ منْ عندِ اللهِ وحدَه ولذلك قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج].

قلنا: إنَّ النصرَ مع الصبرِ وإن الهزيمة مع الاستعجال وتبيّن لنا من غزوةِ الأحزابِ حالُ المؤمنين كما وصفهمُ اللهُ تعالى فقال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب].

وأما في غزوة أُحدٍ فقد نصرَ اللهُ المسلمين في أولِ المعركةِ نصراً عظيماً.

يقول ابنُ إسحاق: (ثم أنزلَ اللهُ نصرَهُ على المسلمين، وصَدَقَهم وَعْدَهُ فحسُّوهم -أي: قتَلوهم- بالسُّيوفِ حتى إذا كَشَفوهم عن المُعَسكرِ وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها)[2].

ويقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ما نُصِرَ النبيُّ ﷺ في موطنٍ كما نُصِرَ يومَ أُحد)[3].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

(٢) رواه ابن إسحاق (١/ ٣٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٣٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٣٩).

(٣) حسن: رواه أحمد (١/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٣٢٥)، والحاكم (٣١٦٣)، [«محققو المسند»].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

يقول ابن عباسٍ: والحَسُّ: القتلُ[1].

وبينما كان جيشُ المسلمين بعدَدِه القليل يُسجِّلُ مرةً أخرى نصراً ساحقًا على جيشِ الكفرِ، لم يكن أقلَّ روعةً من النصر الذي اكتسبَه يومَ بدرٍ، وقعت من أغلبيَّةِ الرُماةِ غَلطةٌ فظيعةٌ قَلبَتِ الوضعَ تمامًا، وأدَّت إلى إلحاقِ الخسائرِ الفادحةِ بالمسلمين وكادت تكونُ سببًا في مقتلِ النبيِّ ﷺ.

أتدرون ما هي الغلطةُ التي وقع فيها الرُماةِ؟

الغلطةُ هي الاستعجالُ في جمع الغنائم وعدمُ الصبرِ على أمر رسول الله ﷺ عندما قال لهم: «**احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا** -أي: لا تشاركونا-»[2].

فلما رأى بعضُ الرُماةِ أن المسلمينَ بدؤوا يجمعونَ الغنائمَ التي خلَّفها المشركون، قال بعضهم لبعضٍ: الغنيمةَ! الغنيمةَ! ظهَرَ أصحابُكم فماذا تنتظرون؟ وتركوا أماكنَهم فنظر خالدُ بنُ الوليدِ وقد وَلّى هاربًا، فإذا الجبلُ قد انكشفَ ولم يبقَ عليه غيرُ عشرةٍ من الرماةِ، فاستدار خالدٌ في نفرٍ من فرسان المشركين وعَلَوا الجبلَ -أي جبل الرماة- فقتلوا الرماةَ ثم دخلوا في المسلمين من ورائِهم، فأصابوا منهم ما

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٣٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٤٦).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٨٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٣١)، والحاكم (٣١٦٣)، [«محققو المسند»].

أصابوا، وتحولَ النصرُ إلى هزيمةٍ بسبب استعجالِ الرماةِ، وكُسِرَتْ رباعيةُ النبيِّ ﷺ، وسالَ الدمُ من وجهه الشريف ووقع ﷺ في حفرةٍ، ودخلت حَلْقَةُ المِغْفرِ في وجنتيه كلُّ ذلك بسببِ الاستعجال وعدم الصبر.

فيا أمة الإسلام! استعجلتم في طلبِ النصر باسم (الربيع العربي) الذي طُبِخَ في بلادِ الكفرِ وتبنَّتهُ بعضُ الفِرقِ والأحزاب، وظنّوا أنّ فيه الخيرَ فوجدوا فيه الشرَّ كُلَّهُ، وها هو حالُ بعضِ بلادِ المسلمين يدلُّ على ذلك ... فهل من مدكر ... فهل من متعظ فهل عرفتم أن النصرَ يكونُ مع الصبرِ وأن الهزيمةَ تكونُ مع الاستعجالِ؟

ما هي وصية النبي ﷺ بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

٢٤

## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين بالرفقِ في كلِّ شيء.

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ لرسولهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

في هذه الآيةِ الكريمةِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَهُ محمداً ﷺ بالأَخلاقِ الحسنة، وينهاهُ عن الأخلاقِ السيئة، فكان ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقـًا.

وربى ﷺ أصحابَهُ على الأخلاقِ الحسنة، ونهاهم عن الأخلاق السيئة.

ووَصّى ﷺ أمتَهُ بالأخلاقِ الحسنة، ونهاهم عن الأخلاق السيئة.

ولذلك فموعدْنا في هذا اليوم إن شاءَ الله تعالى مع **الوصيةِ الرابعةِ والعشرين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ بالرفقِ في كلِّ شيء.**

قال ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي على الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»(٢).

فالرفقُ خُلقٌ حسنٌ، والعنفُ خلقٌ سيءٌ، والإسلامُ دينٌ عظيم يأمرُ بالرفقِ في كلِّ شيء، وينهى عن العنفِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٣).

ومع ذلك فأعداء الإسلام قديماً وحديثاً يتهمون الإسلام ونبيَّ الإسلامِ بالعُنفِ والإرهابِ ظلماً وزوراً ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

الرفقُ في كُلِّ شيءٍ خُلقٌ عظيمٌ من أخلاقِ الإسلامِ، يحبُّه اللهُ ويَحُثُّ عليه.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ**﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[١]. ورسولُنا محمدُ ﷺ كان رحيماً رفيقاً في كلِّ شيءٍ.

عن مالكِ بنِ الحُويرثِ رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: «**ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»)[٢].

وحثَّ ﷺ أمتَه على الرفقِ في كُلِّ شيءٍ.

فقال ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[٣].

وقال ﷺ: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

**مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: (السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»)[(٤)].

وقال ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ**»[(٥)].

فهذا رسولُنا ﷺ يا أعداءَ الإسلامِ يأْمُرُ أمتَهُ بالرفقِ في كلِّ شيء، وينهاهم عن العنف، ولم يكتفِ بذلك، بل ضربَ لأمتهِ والناسِ أجمعين، أرْوعَ الأمثلةِ في الرفقِ في كلِّ شيء.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠١٣)، وأحمد (٦/ ٤٥١)، [«**صحيح الترغيب**» (٢٦٦٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم(٢٥٩٢).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٣٠).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

ومن الأمثلةِ على ذلك:

**أولاً: رفقُهُ ﷺ بالعُصاةِ والمخطئين والمخالفين من أمته:**

كُلُّنا يَقْتَرِفُ المعاصي، كُلُّنا يذنبُ، كُلّنا يُخطئُ، فإن اللهَ عصمَ أنبياءه ورسُلَهُ فقط.

قال ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[1].

ومن رحمةِ اللهِ بعبادِهِ أنه يغفرُ لمن وقعَ في المعصيةِ والذنبِ والمخالفةِ بجهالةٍ، ثم يتوبُ إليه من قريب.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل].

ومن رحمتِهِ سبحانه بعباده أنه أرسلَ رسولَه محمداً ﷺ رحيماً رفيقاً بالعصاةِ والمخطئنَ والمخالفينَ من أمته في الدنيا.

ومن مظاهر رفقهِ ﷺ بالعُصاة والمخطئين والمخالفين الذين وقعَوا في المعصية بجهالةٍ وبدون قصدٍ من أمتهِ: أنه ﷺ لم يَدْعُ عليهم، ونهى عن سَبِّهم ولعنِهم، بل طلبَ ﷺ الدعاءَ لهم بالمغفرة والرحمة.

(١) **حسن:** رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأبو يعلى (٢٩٢٢)، والحاكم (٧٦١٧)، [«صحيح الترغيب» (٣١٣٩)].

يقولُ أبو هريرة ﵁: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**»)(١).

وفي رواية أبي داود: «**ولكن قُولوا اللّهم اغفِر لَهُ اللّهم ارْحَمه**»(٢).

بل نهى رسولُ اللهِ ﷺ عن لعنِه، وأثبتَ له المحبةَ للهِ ولرسولِه ﷺ، وإنْ كانَ مقصراً مع تكْرارِه لشربِ الخمرِ، وإقامةِ الحدِّ عليه في كُلِّ مرة.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(٣) -أي ما علمتُ إلّا أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه-.

ومن مظاهرِ رفقِه ﷺ بالعُصاة والمخطئين والمخالفين أنه ﷺ يكون معهم في غاية اللُّطفِ والعَطفِ والشفقةِ، خاصةً إذا كانت مخالفتُهم ناتجةً عن جهلٍ أو تقصير.

ومن الأمثلة على ذلك:

### المثال الأول: الرجلُ الذي تكلم في الصلاة.

عن معاوية بن الحَكم السُّلَميّ ﵁ قال: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُك اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمَّاهُ! مَا شَأْنُكُمْ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٧٨)، [«صحيح أبي داود» (٣٧٥٩)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ معلمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»)[1].

**المثال الثاني: الشابُّ الذي أتى النبيَّ ﷺ يريدُ رخصةً في الزنا:**

عن أبي أمامة قال: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: «**ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا**». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**»قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**» قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[2].

فانظروا عبادَ الله إلى الهَدْيَ النبويَّ في التعاملِ مع العُصاةِ بالرفقِ والرحمةِ واللّين، انظروا إلى الخوارج ومن كان على منهجهم من التكفيريين والحزبيينَ كيف يتعاملون

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٧)، والطبراني في «مسند الشاميين»(١٠٦٦)، [«الصحيحة» (٣٧٠)].

مع العُصاةِ بالعنفِ والشدةِ والغِلظةِ والتكفير والقتل لتعلموا يا عبادَ الله أن الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانه ولا نُزِعَ من شيءٍ إلا شانه.

## ثانياً: رفقُه ﷺ بالمَدْعُوِّين:

رفقُهُ ﷺ في دعوةِ الأطفال؛ عن عمرَ بنِ أبي سلمة رضي الله عنهما يقول: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيك**»[1].

ما أرفقَ النبيَّ ﷺ في دعوته لليتيم الذي كان في تربيته وتحت نظره!

وفي رواية عند الترمذيِّ أنه قال له: «**ادْنُ يَا بُنَيَّ فَسَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[2].

إن تَفَضُّلَهُ ﷺ على هذا الغلامَ رضي الله عنه بإدنائه من نفسه الكريمة، ثم مخاطبتِه بـ(بني) لَيزيدُ الرفقَ لطفاً وكَرَماً. وكيف كان أثرُ هذه الدعوةِ المقرونةِ بالرفقِ واللطفِ والكرم فَلنسمَعْ ما يقولُه عمرُ بنُ أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما نفسه: (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ)[3].

رفقُهُ ﷺ في دعوتِهِ للكافر؛ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٨٥٧)، وأحمد (٤/ ٢٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٣٠٠)، [«الصحيحة» (١١٨٤)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٧٦).

المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

ما أعظمَ لطفَ رسول الله ﷺ ورفقه مع عدوِّه! وكيف كان أثرُ ذلك على العدوِّ البغيض؟ فلنقرأ الرواية نفسَها ثم نستمعْ إلى ما يحدثُنا ثمامة نفسُه.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فَانْطَلَقَ إِلَى نَخلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ)[1].

فعلى المسلمين عامةً والدعاةِ إلى اللهِ خاصةً أن يَتَأَسَّوْا برسولِ الله ﷺ في رفقِه في الدعوةِ إلى اللهِ، فالرفقُ لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلا شانه، كيف لا؟

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٧٢).

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّه**»(١).

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمته بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

٢٥

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يُصلحوا بين المتخاصِمِينَ منهم ليرحَمَهُمُ اللهُ

**عبــادَ الله!** يقــول اللهُ ﷻ في كتابــه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل].

في هذه الآية يأمرُ ربُّنا ﷻ عبادَهُ بالأخلاقِ الحسنة وينهاهم عن الأخلاق السيئة.

وبعثَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ صاحبَ الخلقِ العظيم ليتممَ مكارمَ الأخلاقِ.

وربى رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ على مكارمِ الأخلاقِ ووصى ﷺ أمّتَهُ بالأخلاقِ الحسنة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الخامسةِ والعشرين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يُصلحوا بين المتخاصِمِين منهم لِيرْحَمَهُمُ اللهُ تعالى.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحُجُرات].

الإصلاحُ بين المتخاصِمِين من الأخلاقِ الحسنةِ، والإفسادُ بينَ الأحبة من الأخلاقِ السيئةِ.

والذي يُصلحُ بين المُتخاصمين مِفتاحٌ للخير، مِغلاقٌ للشرِّ، والذي يُفسدُ بينَ الأحبةِ مفتاحٌ للشرِّ مغلاقٌ للخير، فطوبى لمن جعلَ اللهُ مفتاحَ الخيرِ على يَدَيه، وويلٌ لمن جعلَ مفتاحَ الشرِّ على يديه.

وقد ضربَ رسولُ الله ﷺ لأمتهِ أروعَ الأمثلة في الإصلاح بين المتخاصمين.

المؤمنونَ تربِطُهم رابطةٌ قويةٌ ألا وهي رابطةُ الإخوةِ في اللهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠]، وهم بهذه الرابطة كالجسد الواحد في حساسيته.

قال ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١). وهم بهذه الرابطة كالبناء الواحد في قوته وتماسكه.

قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ(٢).

وحفاظًا على بقاء المودة والمحبة والتعاطف والتراحم والتماسك بين المؤمنين فقد حذر الله ﷻ في كتابه من الأمور التي تفسد العلاقة بينهم وتوقع العداوة والبغضاء بينهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

فحرَّم ربُّنا جلّ وعلا الخمرَ والميسِرَ أي القمارَ؛ لأنهما يُسَبِّبانِ العداوةَ والبغضاءَ بينَ المسلمين.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٨٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٣١٤)، ومسلم (٢٥٨٥).

وأمرَنا أن نَتَثبَّتَ مِنْ خبر الفاسقِ حتى لا تتقطعَ العلاقاتُ بينَ الأحبة.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجُرات].

وحَرَّمَ اللهُ علينا السُّخريةَ أي: أن يسخَرَ بعضُنا من بعضٍ حتى لا تسودَ العداوةُ بين الأحبة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجُرات].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحُجُرات].

ورسولُنا ﷺ في سنتهِ يُحذِّرُ أمتَه مِنَ الأمراضِ التي توقِعُ بينَهُمُ العداوةَ والبغضاءَ وتفتِكُ بالأُخُوَّةِ وتقضي عليها فقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[1].

وقال ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٣٥٦٣).

**عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا** -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-، **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(١).

ومعَ ذلك فإنَّ شياطينَ الإنسِ والجِنِّ يعملونَ ليلاً ونهاراً؛ لإيقاعِ العداوةِ والبغضاءِ؛ وليفسدوا بينَ المؤمنين، كالذي يَحْدُثُ بينَ الزوجينِ وبينَ الجارَين، وبينَ الصديقَين، وبين الحبيبين.

يقول ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ** »(٢).

كَمْ مِنْ علاقاتٍ تَقَطَّعت بسبب كلمةٍ، كم مِن امرأةٍ طُلِّقَتْ بسببِ كلمة.

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جُعِلَ مَفَاتِيحُ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا، ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلبُرَآءَ الْعَنَتَ**»(٤).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢)**صحيح:** رواه مسلم (٢٨١٢).

(٣) **حسن:** رواه ابن ماجه (٢٣٧)، و ابن أبي عاصم في«السنة» (١/ ١٢٧- ١٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٥٥)، [«صحيح الجامع» (٢٢٢٣)].

(٤) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٦/ ٤٦٩)، والبزار (٧/ ١٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٩٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٤)].

وفي رواية: «**الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ**»(١).

والسؤالُ: إذا وقعَتِ الفُرقَةُ والعداوةُ والبغضاءُ والشحناءُ بينَ المؤمنينَ، كالزوجين والجارَين بسببِ شياطينِ الإنسِ والجنِ فماذا يجبُ عليهم؟

الجواب: جاءَتِ الأدلةُ تحثُّ المتخاصِمَين أنْ يبادِرَ كُلٌّ منهما إلى الإصلاحِ ليفوزَ بالأجرِ العظيمِ عندَ الله تعالى.

قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(٢).

فإن رَكِبَ كلٌ من المتخاصِمَين أو المتشاحِنَيْن رأسَه، واتَّبعَ هواه، اتسَعتِ الفجوةُ بينهما واشتدَّ الخصامُ واستفحَلَ الشرُّ، فيجبُّ على أهلِ الخيرِ مِنَ المؤمنينَ أن يتدخلوا فوراً لفَضِّ النزاعِ، والقضاءِ على الخلافِ، والإصلاحِ بينَ المتخاصِمَين؛ لأنَّ هذا مِنْ حَقِّ المتخاصِمَين على المؤمنين، ولأنَّ هذا من تقوى اللهِ ومَن الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال].

فمن حَقِّ المتخاصِمَين على المؤمِنينَ أن يُصلحوا بينهما، وقد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ تحثُّ وتأمرُ بإصلاحِ ذاتِ البين.

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٦/ ٤٥٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، و عبد بن حميد (١٥٨٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٥)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧٢٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

• ففي كتابِ ربِّنا جلّ وعلا.

يقول الله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء]، ويُفْهمُ من ذلك أنَّ عدمَ الصلحِ شرٌّ ووبَالٌ.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال:١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات].

وفي سُنّة رسول الله ﷺ:

**أولاً:** أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ إصلاحَ ذاتِ البين أفضلُ مِنْ نوافلِ العباداتِ، فقالَ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ قَالَ: وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[1].

**ثانياً:** أخبرَ النبيُّ ﷺ أنّ صلاحَ ذاتِ البينِ من أفضل الأعمالِ قال ﷺ: «**ما عُمِلَ شَيءٌ**

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٥٠٩)، وأبو داود (٤٩١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٨٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٤)].

**أفْضَلَ مِنَ الصلاةِ، وصَلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وخُلُقٍ جائزٍ بَيْنَ المسْلِمِين**»[1].

**ثالثـًا:** أخبرَ النبيُّ ﷺ أن إصلاحَ ذاتِ البَيْنِ من أفضلِ الصدقاتِ: قال ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ**»[2]، ومعنى يعدِلُ بينَ الاثنين: أن يصلِحَ بينهما بالعدلِ.

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَفضَلَ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ البَينِ**»[3].

**رابعـًا:** أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ إصلاحَ ذاتِ البينِ منَ التجارةِ الرابحةِ، ومنَ الأعمالِ التي يُحبُّها اللهُ تعالى. قالَ النّبيُّ ﷺ لأبي أيوبَ: «**ألا أدلّك على تجارةٍ؟**». قال: بلى. قال: «**صِلْ بين النّاسِ إذا تفاسدوا، وقرّب بينهم إذا تباعدوا**»[4].

وقَالَ أَبو أَيوبَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا، وتَفَاسَدُوا**».

وفي لفظِ قال ﷺ: «**ألا أدُلُّكَ على صدَقَةٍ يحِبُّ الله مَوْضِعَها؟**»، قلتُ: بَلى بأبي أنتَ وأمِّي! قال: «**تُصْلِحُ بينَ الناسِ؛ فإنَّها صدقَةٌ يُحِبُّ الله مَوْضِعَها**»[5].

**خامسـًا:** أباح النبيُّ ﷺ ورخَّصَ للمصلِحِينَ بينَ الناسِ بالكذبِ للوصولِ إلى ما

(١) **حسن:** رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢٦٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٦)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٨٢٧)، ومسلم (١٠٠٩).

(٣) **صحيح لغيره:** رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٩٥)، وعبد بن حميد (٣٣٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٩٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٧)].

(٤) **حسن لغيره:** رواه البزّار «**كشف الأستار**» (٢٠٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٨)].

(٥) **حسن لغيره:** رواه عبد بن حميد (٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ١٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٩٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٠)].

يريدون من الإصلاحِ، فقالَ ﷺ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»[1].

**سادساً:** وكانَ ﷺ يذهبُ بنفسِه ليُصلِحَ بينَ المتخاصِمين: عن سهلِ بنِ سَعدٍ رضي الله عنه أنَّ أهلَ قُباءٍ اقتتلوا حتى ترامَوا بالحجارةِ فأُخبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ بذلك فقال: «**اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ**»[2].

فيا أيها المصلح! هنيئًا لك فأنت تفعل فعلاً قام به النبي ﷺ.

وعَنْ كَعْبِ بنِ مالكٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ فَنَادَى: «**يا كعبُ!**» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا**»، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَيِ الشَّطْرَ. قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**قُمْ فَاقْضِهِ**»[3].

الإصلاحُ بينَ الناسِ مِنْ أفضلِ الأعمالِ، ومن أفضلِ الصدقاتِ، وفيه أجرٌ عظيمٌ عندَ اللهِ تعالى، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ وكان ﷺ يقومُ بنفسِه بالإصلاحِ بَين الناسِ، وأخبرَنا ﷺ أنَّ الإصلاحَ بينَ الناسِ عملُ الصالحين -مفاتيحِ الخيرِ- فكن من هؤلاء.

يقول ﷺ: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٢٥٤٧).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (١٥٥٨).

**الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»**[1].

فكنْ يا عبدَ الله! منَ المصلحينَ بينَ الناسِ فأجرُك عندَ اللهِ عظيمٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة].

وكنْ يا عبدَ الله مِفتاحًا للخيرِ مِغلاقًا للشرِّ فأجرُك عند الله كبيرٌ. قال ﷺ: **«إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جُعِلَ مَفَاتِيحُ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»**[2].

الإصلاحُ بينَ الناسِ أجرُه عظيمٌ عندَ اللهِ تعالى، فمن أراد أن يتحصَّلَ على هذا الأجرِ العظيمِ، وأن يجعلَ اللهُ الصلحَ بينَ الناسِ على يَدَيه؛ أن يبتغيَ بعملِهِ وجهَ اللهِ، وأن يستعينَ باللهِ ﷻ في أن يُوَفِّقَه للصلحِ بينَ الناسِ.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٨٥)، ومسلم (١٧٢١).

(٢) **حسن:** رواه الطيالسي (٢٠٨٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٥٥)، [«صحيح الجامع» (٢٢٢٣)].

اللهمَّ اجعلنا من الصالحين المصلحين بينَ الناس.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.



## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين

## أن يغتنموا الفُرصَ ويُسارعوا إلى فعل الخيرات

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

في هذهِ الآيةِ الكريمةِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يَتَأَسَّوْا برسولِ الله ﷺ في كلِّ شيءٍ عامةً، وفي اغتنامهِ للفرصِ، والمسارعةِ إلى فعلِ الخيراتِ خاصةً.

ولقد رَبَّى النبيُّ ﷺ أصحابَهُ على اغتنام الفرصِ، والمسارعةِ إلى فعلِ الخيراتِ، وَوَصَّى ﷺ أمتَهُ بذلك.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ السادسةِ والعشرين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يغتنموا الفُرصَ ويسارعوا إلى فعلِ الخيرات.**

قال ﷺ لرجلٍ وهو يعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[1].

وقال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي**

(١) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٨)، والحاكم (٧٨٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٥٥)].

**كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**(١).

وها هو شهرُ رمضانَ ضيفٌ كريم يحلُّ بنا غداً إن شاء اللهُ تعالى.

يقولُ فيه ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»(٢).

وهذا هو حالُ رسولِنا محمدٍ ﷺ في اغتِنامِهِ للفرصِ، ومسارعتِهِ إلى فعلِ الخيرات في رمضانَ وفي غيرِ رمضان.

ويقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، قَالَ: فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺأَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ(٣).

فعلى المسلمِ أن يأخذَ بوصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ في اغتنامِ الفرصِ والمسارعةِ إلى فعل الخيرات، ويتأسى برسولِ اللهِ ﷺ في ذلك.

كيف لا؟

واللهُ عز وجل في كتابه يأمرُ باغتنامِ الفُرصِ والمسارعةِ إلى فعل الخيرات، قال تعالى:

(١) **صحيح**:رواه مسلم (١١٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٦٨٢)، والآجري في «الشريعة» (٩٢٩)، وابن حبان (٣٤٣٥)، [«صحيح الجامع» (٧٥٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد].

ومن فرصِ الخير التي ينبغي للمسلمِ أن يسارعَ إليها في رمضان.

## أولاً: فرصَةُ صيامِ رمضان:

قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

## ثانياً: فرصةُ قيامِ رمضان:

قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[2].

## ثالثاً: فرصةُ تلاوةِ القرآن في رمضان:

فشهرُ رمضانَ هو شهرُ القرآن، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

ﱡﭐٱلۡقُرۡءَانُ ﱠ [البقرة:١٨٥].

وقال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[1].

وقال ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَةَ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قال: فَيَشْفَعان**»[2].

## رابعاً: فرصةُ الدعاء:

شهرُ رمضانَ شهرُ الدعاءِ، والدعاءُ فيه مستجابٌ والدليل على ذلك؛ قوله تعالى: ﱡﭐوَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﱠ [البقرة:١٨٦].

وهذه الآيةُ جاءَتْ بينَ آياتِ الصيامِ، فالآيةُ التي قبلَها هي قولُه تعالى: ﱡﭐشَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﱠ [البقرة:١٨٥]، والآية التي بعدها هي قوله تعالى: ﱡﭐأُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﱠ [البقرة:١٨٧].

وهذا يدلُّ على أنَّ الدعاءَ مستجابٌ من الصائم في شهرِ رمضان، كيف لا؟

ورسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ،**

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٠)، [«صحيح الترغيب» (١٤١٦).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، والطبراني في «الكبير» (١٤٦٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٠)، [«صحيح الترغيب» (٩٨٤)].

**وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ**»[1].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ، دَعْوَةُ الْوَالِدِ على وَلِدِه، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ**»[2].

### خامساً: فرصةُ تفطيرِ الصائمِ:

يقول ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**»[3].

### سادساً: فرصةُ قيامِ ليلةِ القدر:

ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهر، ليلةُ القدر سلامٌ حتى مَطْلَعِ الفجر، ليلةُ القدر ليلةٌ مباركةٌ يُفرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم.

يقولُ الله ﷻ في وصفها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [سورة القدْر].

ويقولُ سبحانَه في وصفها أيضـًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢)، [«صحيح الجامع» (٣١٣٢)].

(٢) **حسن**: رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٦٤٧)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٨٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٦)، [«صحيح الجامع» (٦٤١٥)].

ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

وتقول عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «**قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»)(٣).

فعلى العاقلِ أن يغتنمَ فرصةَ ليلةِ القدرِ ففيها سعادةُ الدنيا والآخرة، وأن يلتمسَ هذه الليلةَ في الوترِ منَ العشرِ الأواخر من رمضان؛ لقوله ﷺ: «**تَحَرَّوْا** (وفي رواية: التمسوا) **لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ**»(٤).

فيا عبادَ الله! اغتنموا الفرصَ وسارعوا إلى فعل الخيرات في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ، وكونوا كأمثال هؤلاءِ الذين وصفهمُ اللهُ في كتابه: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١**﴾ [المؤمنون].

الموفَّقُ لاغتنامِ الفرصِ والمسارعةِ إلى الخيراتَ هو المرحومُ، والمحرومُ منَ

(١) **حسن صحيح:** رواه ابن ماجه (١٦٤٤)، والبزار (٩٤٦٦)، [«صحيح الترغيب» (١٠٠٠)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٦٥، ١٠٦٤٢، ١٠٦٤٣، ١٠٦٤٦)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، والحاكم (١٩٤٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٩١)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٥).

اغتنامِ الفرصِ والمسارعةِ إلى الخيرات هو المحروم.

والناظرُ إلى كثيرٍ من الناسِ اليومَ يراهم محرومين من اغتنام الفرص والمسارعة إلى الخيرات أتدرون ما السببُ يا عبادَ الله؟

السببُ هو: الغفلةُ؛ الغفلةُ عن الموتِ، الغفلةُ عن القبر، الغفلةُ عن اليومِ الآخر قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ -أي: في الدنيا في دار العمل- ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

واليومُ الواردُ في الآية هو يومُ الحشر:

قال القائل[1]:

أما واللهِ لو علمَ الأنامُ ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأتْه ... عيونُ قلوبهم تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ
ليومِ الحشر قد عملت رجالٌ ... فَصَلوا من مخافتِه وصاموا

(١) ذكره الذهبي في «الكبائر» (١٣٣) دون نسبة لأحد.

ونحـــن إذا أُمِرْنـــا أو نُهينـــا كأهــلِ الكهــفِ أيقَــاظٌ نيــامُ

الغافلُ عن اغتنامِ الفرصِ والمسارعةِ إلى الخيراتِ سيندمُ في وقتٍ لا ينفع فيه الندم.

يندم عند الموت؛ قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

يندم في أرضِ المحشر؛ قال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقـال تعـالى: ﴿ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر].

ويندمُ في جنهمَ؛ قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

فاحذروا يا عبادَ الله أن تكونوا من الغافلين، فالغفلةُ سببٌ من أسباب دخول النار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.



# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يبادروا بالتوبة النَّصوح قبلَ فواتِ الأوانِ

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحُجُرات:١١].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يبادروا إليه بالتوبةَ النصوح، ويحذرُهم من التّسويفِ ويخبرهم أنهُ يتوبُ على مَنْ تابَ إليه.

ورسولُنا ﷺ الرحيمُ بأمتهِ يأمرُهم بالتوبةِ قبلَ فواتِ الأوان.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ السابعةِ والعشرين: وصيتِه ﷺ للمسلمين أن يبادروا بالتوبة النَّصوح قبلَ فواتِ الأوانِ.**

يقولُ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٢).

ويقول ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

ويقول ﷺ: «**لو أخطأتم حتى تبلُغَ خطاياكم السماء ثم تُبْتُم لتاب عليكم**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُونَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ).

قال ﷺ: «**بل بابُ التوبةَ والرحمةَ**»(٣).

وهذه التوبةُ التي أمرَ اللهُ عبادَهُ بها، وأمرَ النبيُّ ﷺ أمتَه بها هي التوبةُ النَّصوحُ التي تتوفرُ فيها الشروط التالية:

### الشرطُ الأولُ: الإقلاعُ عن الذنب:

كالرجلِ الذي تركَ فاحشةَ الزنا عندما تهيأتْ له أسبابُها من الثلاثة الذين دخلوا الغار عندما قالت له الفتاةُ: «**اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا** -أي: أقلعتُ عن فاحشةِ الزنا- **وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: [«الصحيحة» (٣١٣٩)].

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٤٨)، [«الصحيحة» (٩٠٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٣٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٧)، والحاكم (٧٦٠١)، [«صحيح الترغيب» (٣١٤٢)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٠١).

**الشرط الثاني: الندمُ على فعله:**

لقوله ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»[1].

**الشرط الثالث: العزمُ على أن لا يعودَ إلى الذنب مرة أخرى:**

لأنّ الموت يأتي بغتة، والعبرةُ بالخواتيم، ومن مات على شيء بُعِث عليه.

**الشرطُ الرابع: أن يتوبَ قبلَ الموتِ، وقبلَ طلوعِ الشمسِ من مغربِها:**

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء:١٨].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[3].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[4].

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/ ٣٧٦، ٤٢٢، ٤٢٣)، والبزار (١٩٢٦)، وأبو يعلى (٤٩٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٣١٤٦)].

(٢) **حسن:** رواه الترمذي (٣٥٣٧٩)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢، ١٣٥)، وابن حبان (٦٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٣١٤٣)].

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٥٩).

**الشرط الخامس: إذا كان الذنبُ متعلقاً بحقِّ آدميٍّ فيجب على التائبِ إعادةُ الحقوقِ إلى أهلِها أو استحلالُهم منها:**

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(1).

ومن الصور الصادقةِ في التوبةِ النصوحِ إلى اللهِ تعالى:

**أولاً: توبةُ كعبِ بن مالك وصاحبيه:**

صدَقوا في توبتهم مع الله فتاب عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

**ثانياً: توبةُ المرأة التي زنَت على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ:**

عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه: (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا**»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟**»)(2).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٦).

## ثالثاً: توبةُ ماعز بن مالك:

جاء ماعزُ بنُ مالكٍ إلى النبيِّ ﷺ فقال: (يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»**، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «**فِيمَ أُطَهِّرُكَ**؟» فَقَالَ: مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَبِهِ جُنُونٌ؟»** فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: **«أَشَرِبَ خَمْرًا؟»** فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَزَنَيْتَ**؟». فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ. فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ. قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ**»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»**(١).

فالله ﷻ يقبلُ توبةَ التائبِ إذا صدَق في توبته كيف لا؟

وهو سبحانه الذي فتح أبوابَ التوبة على مصراعيها، وأخبرَ عبادَه أنه يغفرُ الذنوبَ جميعـًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر].

وقال في الحديث القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

**الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»**(١).

وها نحن في شهرِ رمضانَ شهرٌ فيه تُفتَّحُ أبوابُ الجِنان، وتُغلَّقُ أبوابُ النيران، وينادي منادٍ: يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغيَ الشرِّ أقصر، والعاقلُ هو الذي يبادرُ بالتوبة النصوح إلى الله تعالى في هذا الشهر المبارك.

لماذا وصى النبيُّ ﷺ المسلمين بالمبادرةِ بالتوبة النصوح؟

الجواب:

**أولاً: لأنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بالتوبة وحَذَّرهم من تأخيرها:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّمَر].

**ثانياً: لأنَّ اللهَ ﷻ يحبُّ التائبين ويفرحُ بتوبتهم:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

وقال ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

**ثالثاً: لأنّ الملائكة المقربين، حَمَلَةَ العرشِ يدعونَ للتائبين، ودعاءُ الملائكةِ مستجابٌ:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر].

**رابعاً: لأنَّ اللهَ ﷻ يُبدِّلُ سيئاتِ التائبين حسنات:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان].

فيا مَنِ اقترفْتَ المعاصيَ قبلَ رمضانَ وتبتَ إلى اللهِ ادْعُ اللهَ أن يثبتَكَ على التوبة، واحرِصْ على مصاحبةِ الصالحين، وغيِّرْ بيئةَ الفاسقين، واعلمْ أن الموتَ يأتي بغتةً، وأن العبرةَ بالخواتيمِ، واعلمْ أنها إما جنةٌ أبداً وإما نارٌ أبداً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٧).

نسألُ اللهَ ان يرزقَنا توبةً نصوحـاً نلقاهُ بها إنه ولي ذلك والقادرُ عليه.

ما هي الوصيةُ التي وصى بها النبيُّ ﷺ أمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

٢٨

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يتصدّقوا قبلَ فواتِ الأوانِ

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون].

في هذه الآياتِ يامرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين بالتصَدُّقِ على الفقراءِ والمساكين قبلَ فوات الأوَان.

ووَصَّى النبيُّ ﷺ أمتهُ بالإنفاقِ والتصدقِ قبل فوات الأوان.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الثامنةِ والعشرين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يتصدقوا على الفقراء والمساكينِ قبلَ فواتَ الأوان.**

قامَ رسولُ الله ﷺ يوماً خطيباً في أصحابه يَحُثُّهم على الصدقة فقال: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ [الحشر]، **تَصَدَّقُوا قَبَلَ أَنْ لَا تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا قَبَلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، تَصَدَّقَ امْرُؤٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ بُرِّهِ، مِنْ شَعِيرِهِ، وَلَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**تَصَدَّقُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا**»[2].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنَّكُنَّ مِنْ أَكْثَرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ**»[4] الحديث.

وقد ربطَ الله تعالى في كتابه بين التوبةِ، وبين التصدقِ على الفقراءِ والمساكينِ.

فقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ -أي: إذا تابوا إليه- ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ -أي: إذا تصدقوا- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾ [التوبة].

وها نحنُ في شهرِ الجودِ والكرمِ والإنفاقِ والتصدقِ، فَفِرُّوا يا عباد الله إلى الله

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم(١٠١٧).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري(١٤١١)، ومسلم(١٠١١).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (٦٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٥٦)، وأحمد (٦/ ٦٣٦)، وابن حبان (٤٢٤٨)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨)].

(٤) [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

بالتصدقِ سراً وعلانيةً على الفقراءِ والمساكين، وتَصَدَّقوا قبل أن لا تتصدقوا؛ فاليومَ حياةٌ، وغداً موت، واليومَ غنىً وغداً فقرٌ.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

وانطلاقـًا من هذهِ الآيةِ الكريمة أقول لكم:

١- تصدقوا يا عباد الله! فإن المتصدقَ يكون في ظلِّ صدقتهِ يومَ القيامةِ حتى يقضيَ اللهُ بينَ العباد، يقول ﷺ: **«كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ** -أي: يومَ القيامة- **حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ»**[1].

٢- تصدقوا يا عباد الله! من مالِ اللهِ الذي آتاكُم؛ فإن الصدقةَ سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ -ماذا أعددت لهم يا ربنا- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

٣- تصدقوا يا عباد الله مما أتاكمُ الله؛ فإن المتصدقَ يومَ القيامةِ يكون في ظلِّ عرشِ الرحمنِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، قال ﷺ: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ. يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٣)، والحاكم (١/ ٥٧٦)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٠)].

-وذكر منهم-: **رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»[1].

٤- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقةَ تُطهرُ النفسَ والمالَ، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٥- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة سببٌ لزيادةِ المال، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾ [التغابن].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ...**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[3].

٦- تصدّقوا يا عباد الله! فإن الصدقةَ تُطفئُ غضبَ الرب، قال ﷺ: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَفِعْلُ الْخَيْرَاتِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**»[4].

٧- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقَة تُطفئُ الخطيئةَ، قال ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه: «**أَلَا أَدُلُّكَ**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) **صحيح:** رواه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٤٤)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

**عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟**» قلتُ: بلى يا رسولَ الله! قال: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»[1].

٨- تصدّقوا يا عباد الله! فإن الصدقة تُنجي من عذابِ النارِ، قال ﷺ:«**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[2].

وقال ﷺ: «**اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[3].

الصدقةُ في الشرع قسمان: فرضٌ ونافلةٌ.

أما **صدقةُ النافلةِ** فهي كما في قولهِ تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- خبرُ أبو طلحةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه الذي كانَ من أغنياءِ الأنصارِ في المدينةِ فلما أنزلَ

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) **حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠٣)، [«الصحيحة» (٨٩٧)].

اللهُ ﷻ على رسولهِ ﷺ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فقال رسول الله ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)[1].

٢- قال ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى زَانِيَةٍ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ. قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**»[2].

٣- وهذا صاحب البستان الذي أمر الله السحابة أن تفرغَ ماءها في بستانه حتى لقد سُمِعَ في السحابةِ صوتٌ يقول: «**اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ**». فلما سألوه قال الرجل: «**فَإِنِّي**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٢٢).

**أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»**(1).

أما **صدقة الفرض** فهي كزكاةِ المالِ بأنواعِهِ وأصنافِهِ، وكزكاةِ الفطرِ.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].

وقد حَذَّرَ اللهُ ﷻ في كتابه مِنْ مَنْعِ الزكاةِ، والرسولُ ﷺ حَذَّرَ أيضـًا في سنتِهِ من منعِ الزكاةِ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

ويفسر لنا ذلك النبيُّ ﷺ فيقولُ: **«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ،** ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، **حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»**(2).

أيها الغنيُّ المانعُ للزكاة أتقدِرُ على هذا العذاب؟

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧).

ويقول ﷺ: **«مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** -يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ- **ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾** [آل عمران:١٨٠]»[(١)].

وقال ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ما منعَ قومٌ الزكاةَ إلا ابتلاهُم اللهُ بالسّنينَ**»[(٣)] أي: بالفقرِ والجدبِ.

وقال ﷺ: «**وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ، إِلَّا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ**»[(٤)] أي: المطرَ.

أمَّا زكاةُ الفطرِ وهي ما يخرجُه المسلمُ في نهايةِ رمضانَ وقبل صلاةِ العيدِ.

**فحكمها:** أنها فريضةٌ واجبةٌ على كُلِّ مسلمٍ؛ ذكراً كانَ أو أنثى، حراً أو عبداً؛ لحديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ[(٥)].

**حكمتها:** أنها طُهْرةٌ للصائمِ من اللغوِ والرَّفَثِ، وطُعمةٌ للمساكين.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٤٠٣).

(٢) **حسن صحيح:** رواه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١٤٥).

(٣) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٤) **صحيح لغيره:** رواه الحاكم (٢/ ١٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ١٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٥) **صحيح:** رواه البخاري (١٥٠٣).

يقول ابنُ عباس رضي الله عنهما: (فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ)(1).

**وقتُها:** تُخْرَجُ في نهايةِ رمضانَ وقبلَ صلاةِ العيدِ فمن أخرجها قبلَ صلاةِ العيدِ فهي زكاةٌ، ومن أخرجها بعدَ صلاةِ العيدِ فهي صدقةٌ من الصدقاتِ.

يقولُ ابنُ عمرَ: (وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ)(2).

**مقدارُها:** يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: (كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ)(3).

اللهمَّ فقهنا في ديننا.

ما هي الوصية التي وصى بها النبي ﷺ أمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(1) **حسن:** رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني (٢/ ١٣٨)، [«صحيح ابن ماجه» (١٤٩٢)].

(2) **صحيح:** رواه البخاري (١٥٠٣).

(3) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

٢٩

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحافظوا على قيامِ الليل

**عباد الله!** يقول اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء].

ويقول سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر].

في هاتين الآيتين يَحُثُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين على قيامِ الليل.

ووصى النَبيُّ ﷺ أمتَهُ بقيامِ الليل لأنَّ فيه سعادةَ الدنيا والآخرة.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ التاسعةِ والعشرين: لرسول الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين ان يحافظوا على قيامِ الليل.**

عن أبي أمامةَ الباهليِّ ﵁ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكَفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ**»[1].

وصيةٌ عظيمةٌ من رسولٍ عظيمٍ يحثُّ أُمّته فيها على قيامِ الليلِ.

(١) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٣٥٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٢٣) عن بلال، ورواه ابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٦)، والحاكم (١١٥٦)، والبيهقي في « السنن» (٢/ ٥٠٢)عن أبي أمامة ، [«صحيح الترغيب» (٦٢٤)].

وقيامُ الليلِ هو: الصلاةُ النافلةُ التي يصليها المسلمُ بالليلِ. وهذه الصلاةُ تجوزُ من بعدِ صلاةِ العشاءِ، وتجوزُ في وَسَطِ الليلِ، وتجوزُ في ثُلثِ الليلِ الأخيرِ، وأفضلُها ما كانَ في ثلثِ الليلِ الأخيرِ، ذلكَ لأن الرسولَ ﷺ يقول: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»[(١)].

ويقولُ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٢)].

فالصلاةُ في جوفِ الليلِ الآخرِ هي الأفضلُ، وإن صلّى العبدُ قيامَ الليلِ بعد صلاةِ العشاءِ، أو في أيِّ وقتٍ من الليلِ جاز له ذلك.

وقيامُ الليلِ سنّةٌ مؤكدةٌ، وهي أفضلُ صلاةٍ بعدَ صلاةِ الفريضةِ لقوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْـمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْـمُحَرَّمِ**»[(٣)].

واللهُ ﷻ في كتابه يحثُّ عبادَه على قيامِ الليلِ، ويبيّنُ لهم أنه دليلُ الإيمان.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢)، وابن خزيمة (١١٤٧)، والطبراني في «الشاميين» (٦٠٥)، والحاكم (١١٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٦٣).

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

ويبيّنُ ربُّنا -جلَّ وعلا- في كتابه أن قيامَ الليلِ دليلُ الإحسانِ، والإحسانُ هو أعلى مراتبِ الإيمانِ.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

آخذين ما أتاهم ربُّهم أي: في الجنةِ، لِمَ؟ إنهم كانوا قبلَ ذلكَ -أي: في الدنيا- محسنين.

**دليلُ إحسانِهم:** كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، كانوا طوالَ الليلِ يُصلون، ومع ذلك تراهم في وقتِ السحرِ جلسوا يستغفرونَ، وكأنهم باتوا يعصونَ اللهَ، وأما العصاةُ فطوالَ الليلِ سُكارى، وعندَ الفجرِ وفي السحر جِيَفٌ مُنتنةٌ، عُبَّادٌ بالنهارِ للدنيا، وجِيَفٌ منتنةٌ بالليلِ، أما أهلُ الجنةِ فقد: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

واللهُ ﷻ في كتابه فَرَّقَ بين الذين يقومونَ الليلَ، وبين الذين لا يقومون، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وها هو رسولُنا الكريمُ ﷺ يحثُّ أمتَه على قيامِ الليلِ، فيقولُ ﷺ كما سمعتم في الوصيةِ التي معنا: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ**» -أي: إذا أردتمُ المطرَ فعليكم بقيامِ الليلِ، إذا أردتمُ النصرَ فعليكم بقيامِ الليل، إذا أردتمُ العزةَ في الدنيا والآخرة عليكم بقيام الليل-

**«فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ...»**(1).

ويقولُ ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»**(2).

وقال ﷺ: **«إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِها، أَعَدَّها اللهُ تَعَالَى لِـمَنْ أطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**(3).

وقال ﷺ: **«إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»**(4).

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ لَيَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدِثَارِهِ** -أي: غِطائه- **فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَلَاةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لِمَلَائِكَتِهِ: مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَى مَا صَنَعَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَاءَ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا، وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا خَافَ»**(5).

وقال ﷺ: **«إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِى**

---

(1) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٢٣) عن بلال، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٦)، والحاكم (١١٥٦)، والبيهقي في « السنن» (٢/ ٥٠٢) عن أبي أمامة، [«صحيح الترغيب» (٦٢٤)].

(2) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والدارمي (١٥٠١)، والحاكم (٤٢٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٨٣٧٥)، [«صحيح الترغيب» (٦١٦)].

(3) **صحيح لغيره**: رواه أحمد ( ٥/ ٣٤٣)، وابن خزيمة ( ٢١٣٧) وابن حبان ( ٥٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٦١٨)].

(4) **صحيح**: رواه مسلم (٧٥٧).

(5) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٥٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٦٣٠)].

**الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ**»[1].

على مثل هذا فاسهروا، على مثلِ هذا أَيقظوا أهلَكم، وليسَ على الخمرِ أو على الاحتفالاتِ المبتدَعةِ، قال ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[2].

ويقول ﷺ: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْـمُقَنْطَرِينَ**»[3].

ويقول ﷺ يومـًا لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ**»[4]؛ فكان ابنُ عمرَ بعدَ ذلك لا ينامُ من الليلِ إلا قليلاً.

وقال ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»[5].

وذُكِرَ عندَ رسولِ الله ﷺ رجلٌ نام ليلةً حتى أصبحَ فقال ﷺ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»[6].

نامَ حتى أصبحَ -أي: حتى طلعَ الفجرُ-، ولم يضيعْ صلاةَ الفجر فما بالُكم يا عباد الله فيمن ضَيَّعَ قيامَ الليل بل وضَيَّعَ صلاةَ الفجرِ؟!

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٦٥)، وفي «الصغير» (٢٤٨)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣)، وابن حبان (٢٥٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٠٥)، [«صحيح الترغيب» (٦٣٩)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٣٨).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤).

وهذا رسولنا ﷺ يضربُ لنا مثلاً أعلى في قيام الليل، فقد كانَ ﷺ يقومُ من الليلِ حتى تَتفطَّرَ قدماه، تقولُ عائشة رضي الله عنها: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ -أي يصلي- حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ ﷺ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»[1].

يقول ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ...**»[2]. الوصية.

الرسولُ ﷺ يحثُّنا على قيامِ الليلِ، لِمَ؟ لأنّ لقيامِ الليل آثاراً عظيمةً وطيبةً على العبدِ في الدنيا والآخرة.

**فمن آثارِ قيامِ الليلِ على الإنسان:**

**أولاً:** أن قيامَ الليلِ سببٌ لحَلِّ عُقَدِ الشيطانِ عنه؛ فالشيطانُ يَعقدُ على قافيةِ رأسِ العبد، وقيامُ الليلُ يَحُلُّ هذه العُقدَ.

والعُقَدُ -وهي السِّحرُ- مِن فعلِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، فمن أراد أن يحفَظَ نفسَه وأولادَه من السحرِ، ومن السَّحَرة، ومِن فعلِ الشياطينِ فعليه بقيام الليل، الدليلُ على ذلك:

قولُه ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ على**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٢) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٣٥٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٢٣) عن بلال، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٦)، والحاكم (١١٥٦)، والبيهقي في « السنن» (٢/ ٥٠٢) عن أبي أمامة ، [«صحيح الترغيب» (٦٢٤)].

**كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»**(١).

**ابنَ آدم!** قُمِ الليلَ وانظرْ إلى نفسِك في اليومِ الثاني، وسترى نفسَك نشيطـًا طيبَ النفسِ طِوالَ اليوم، أما الذي ضيَّعَ قيامَ الليلِ فتراه خبيثَ النفسِ كسلانَ، فمن أراد أن يحفظَ نفسَه من فعلِ الشياطينِ، فعليه بقيامِ الليل، في جوفِ الليلِ والناسُ نيامٌ.

**ثانيـًا:** أن القيامَ يرفعُ صاحبَه منزلةً وشرفـًا في الدنيا والآخرةِ، يقولُ ﷺ: «**جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»(٢). والشرفُ: هو المنزلةُ والرِّفعةُ، يناله الرجلُ في الدنيا والآخرة.

أما يومَ القيامةِ فيكفيهِمُ الجنةُ التي فيها من النعيمِ ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سَمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، كما سمعتم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات].

**ثالثـًا:** ومن آثارِ قيامِ الليلِ على صاحبه أنه يُقَربُه منَ اللهِ، ويكفرُ عنه السيئاتِ، ويُبعده عن المعاصي كما سمعتم في الوصية التي معنا «**عليكم بقيام الليل**»، أي: أن الذي يقومُ من الليلِ فيصلّي لله ﷻ يبتعدُ بهذه الصلاةِ عن المعاصي وعن الآثامِ.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) **حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨) واللفظ له، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والحاكم (٧٩٢١)، [«**صحيح الترغيب**» (٨٢٤)].

**رابعـاً**: ومـن آثـارِ قيـامِ الليـلِ علـى صـاحبه: النـورُ في الوجـهِ، لأن الرسـولَ ﷺ قـال: «**الصَّلَاةُ نُورٌ**»[1]، فيا عبادَ الله! الـمُوَفَّقُ من وُفِّقَ لقيامِ الليلِ، والسعيدُ مـن وُفـقَ لقيـامِ الليلِ، والشقيُّ المحرومُ هو من حُرِمَ من قيامِ الليلِ.

اللهمَّ أرنا الحقَّ حقـاً وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه

ما هي الوصية التي وصى بها النبي ﷺ أمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).



## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يصلوا أرحامهم

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

في هذه الآية يأمرُ ربنا جلَّ وعلا عبادهُ المؤمنين بصلةِ الأرحام.

ووصى النبيُّ ﷺ أمتهُ بصلةِ الأرحامِ.

ولذلك فموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الثلاثين لرسول الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يصلوا أرحامهم.**

صلةُ الأرحام سببٌ لفلاحِ الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم].

الواصلُ لرحمهِ موصولٌ بكلّ خير، والقاطعُ لرحمه مقطوعٌ عن كلِّ خير.

والأرحامُ: (همْ أقاربُ الإنسانِ كأبيه وأمِّه، وابنِه وابنتِه، وكلِّ مَنْ كان بينَه وبينَهم صلةٌ مِنْ قَبلِ أبيهِ أو مِنْ قِبَلِ أمِّه، أو مِنْ قِبَل ابنِه أو مِنْ قِبَلِ ابنتهِ)[1]. كثيرٌ منَ الناسِ تهاونَ في أمرِ الرَّحِم ولذلك قطعوها ولم يبالوا.

(١) «الضياء اللامع» (ص٥٠٥).

الرِّحِمُ شأنها في الإسلامِ عظيمٌ يظهرُ ذلكَ:

مِنْ قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء:١] أي: واتقوا الأرحامَ أنْ تقطعوها[١].

ومن قوله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ اللهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**قال اللهُ ﷻ: أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسماً مِنَ اسْمِى، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[٣].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهم قَامتِ الرَّحِمُ فقالت: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذاك لَكِ**». ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]»[٤].

فالرِّحِمُ شأنها عندَ اللهِ عظيمٌ جداً، فما هو الواجبُ علينا نحوها؟

---

(١) ذكره الطبري في «**تفسيره**» (٦/ ٣٤٩).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٥٥).

(٣) **صحيح لغيره:** رواه الترمذي (١٩٠٧)، وأحمد (١/ ١٩٤)، والحاكم (٧٢٦٨)، وأبي يعلى في (٨٤٠)، وابن حبان (٤٤٣)، والبيهقي في «السنن» (١٣٥٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٨)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

**أولاً:** أنْ نصِلَها؛ وذلكَ لأنَّ الله تعالى أمرنا في كتابهِ بصلةِ الأرحامِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم].

- ورسولُنا ﷺ يأمرُ في سنتهِ بصلةِ الأرحامِ:

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1].

قال ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ**»[2].

وَقال ﷺ: «**بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**»[3].

وَوَصَّى النبيُّ ﷺ بصلةِ الرحمِ عندَ موتِه، عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال في

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥١٣٨).

(٢) **حسن:** رواه البيهقي في «الشعب» (٧٩٥٠)، وابن عساكر (٥٦/ ٣١٧)، [«الصحيحة» (٨٦٩)].

(٣) **حسن:** رواه وكيع في «الزهد» (٤٠٩)، وهنّاد في «الزهد» (١٠١١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٠٧)، والمروزي في «البر والصلة» (١١٦)، [«الصحيحة» (١٧٧٧)].

مرضه: «**أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ**»[1].

**فيا عبادَ اللهِ!** صِلوا أرحامَكم بالزياراتِ والهدايا والنفقاتِ، صِلوهم بالعطفِ والحنانِ، ولينِ الجانبِ، وبشاشةِ الوجهِ، والإكرامِ والاحترامِ، وكلِّ ما يتعارفُ عليه الناسُ أنه صلةٌ.

وصلةُ الرَّحِم مطلوبةٌ وإنْ قَطَعَتْ، قالَ ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[2].

وقال رجل يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونني، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ!

فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[3].

فنقولُ للذين يَصِلون أرحامَهم: أبشروا بسعادةِ الدنيا والآخرة فإنَّ صلةَ الأرحامِ:

١- سببٌ لزيادةِ المالِ وسَعَةِ الرزقِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لِيَكُونُونَ فَجَرَةً، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٣٦)، [«الصحيحة» (٧٣٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٩١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٤) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٤٠)، [«صحيح الجامع» (٥٧٠٥)].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

٢- صلةُ الأرحامِ سببٌ لطولِ العُمُرِ والنجاةِ منْ مِيْتَةِ السوءِ.

قال ﷺ: «**صلةُ الرِّحِمِ وحُسنُ الجوار أو حُسنُ الخُلقِ يُعمِّران الديار، ويزيدانِ في الأعمارِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

٣- صلةُ الأرحامِ سببٌ للحصولِ على معيةِ اللهِ وحفظِه ونصرِه وتوفيقِه والدليلُ على ذلكَ؛ لما رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من الغارِ بعدَ أن جاءه جبريلُ لأولِ مرةٍ، رجعَ يرجُفُ فؤادُه، فدخلَ على خديجة رضي الله عنها فقال: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ بعدما أَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ(٤).

٤- صلةُ الأرحامِ سببٌ لدخولِ الجنةِ.

قال تعالى في وصفِ أهلِ الجنةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٢٦)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٧)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٣/ ٢٢٩)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ١٠٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٨٨)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

وسأل أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ عن عملٍ يقرّبُه من الجنةِ، ويباعدُه من النار فقال ﷺ: **«تَعْبُدُ اللهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ»**(١).

وقال أبو هريرةَ: يا رسولَ اللهِ! أنبئني عن أمرٍ إذا عملتُ بهِ دخلتُ الجنةَ.

قال ﷺ: **«أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَصَلِّ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»**(٢).

٥- صلةُ الأرحامِ مِنْ أحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ، وهي مِنْ أفضلِ الأعمالِ.

قال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: **«إِيمَانٌ بِاللهِ»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: **«صِلَةُ الرَّحِمِ»**(٣).

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: لقيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخذتُ بيدهِ فقلتُ: يا رسولَ الله! أخبرْني بفواضلِ الأعمالِ قال ﷺ: **«يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ،**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ٣٢٣)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح:** رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٠١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٢)].

**وَاعْرِض عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(1).

**ثانياً:** أن نُقَدِّمهم في كُلِّ شيءٍ في الدعوةِ والصدقةِ، وفي النفقةِ والهديةِ استجابةً لقولِه تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة:٢١٥].

ولقولِه تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**»(2).

ولقد رَبّى النبيُّ ﷺ أصحابَه على أنْ يُقَدِّموا أقاربَهم في الصدقةِ والهديةِ.

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: (كانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصارِ بِالْـمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَـذِهِ الآيَـةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران:٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران:٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا

(١) **صحيح لغيره:** رواه أحمد (٤/ ١٤٨)، [«**صحيح الترغيب**» (٢٥٣٦)].

(٢) **حسن صحيح:** رواه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وأحمد (٤/ ١٨)، [«صحيح الترغيب» (٨٩٢)].

رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بخ بخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»**، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)(١).

وهذا يدلُّ أنَّ الفقيرَ القريبَ منَ الإنسانِ أولى من غيرِه لأنها صدقةٌ وصلةٌ.

ولما أَعْتَقَتْ ميمونةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا به، قَالَتْ: (أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ -أي: جاريتي- قَالَ: **«أَوَفَعَلْتِ»** قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: **«أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِيهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ»**)(٢).

**ثالثاً:** أن لا نَقْطَعَها مهما كانتِ الأسبابُ، وذلكَ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»**(٣).

ويقول أبو ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ»**(٤).

وقال ﷺ لعقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَعْرِض عَمَّنْ ظَلَمَكَ»**(٥).

ولقد حرَّم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قطيعةَ الرحم، وحذَّرَ وتوعَّدَ القاطعينَ لأرحامِهم بالنارِ.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥٩٢)،ومسلم (٩٩٩)واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٥٩٩١).

(٤) **صحيح:** رواه أحمد «الزهد» (٣٩٩)، والبزار (٣٩٦٦)، وابن حبان (٤٤٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٥)].

(٥) **صحيح لغيره:** رواه أحمد (٤/ ١٤٨)، [«صحيح الترغيب»(٢٥٣٦)].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:١]، أي: واتقوا الأرحامَ أن تَقْطعوها.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»[١]، -يعني قاطعَ رَحِم-.

وقال ﷺ: «**إِنَّ هذه الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﷻ، فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»[٢].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يَقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ**»[٤].

وهذه أسبابُ قطيعةِ الرحم فاحذَروها:

١- الجهلُ؛ فلَا يقْطَعُ رَحِمَه إلا جاهلٌ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٩٠)، والبزار (١٢٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٦١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٩)].

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٤٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٨)].

٢- قلةُ الدين.

٣- حبُّ الدنيا والانشغالُ بها.

٤- الظلمُ والجَوْرُ في الميراثِ فكم من أُسَرٍ تقطعت بسببِ الجَوْرِ.

٥- المشاكلُ الزوجية.

فاتقوا الله يا عبادَ الله! واعلموا أنكم عنْ هذه الدنيا راحلون، وأمامَ ربِّكم واقفونَ وعن أرحامِكم سَتُسْألون، فمن علِمَ أنه إلى اللهِ راجعٌ، وأمامَ اللهِ واقفٌ، وعن رحمهِ مسئولٌ فَلْيُعِدَّ للسؤالِ جوابًا، واعلمْ أنه كما تَدين تُدان.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمتهِ بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الوصية القادمةِ إن كان في العمر بقية.



## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يستقيموا على طاعةِ اللهِ تعالى حتى الموت

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فُصِّلَت].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر] -أي: الموت- في هذه الآيات يحثُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين على الاستقامة على طاعة الله حتى الموت.

ورسولُ الله ﷺ يوصي أمتَهُ بالاستقامةِ على طاعةِ الله حتى الموت.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إن شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الحاديةِ والثلاثين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يستقيموا على طاعة الله تعالى حتى الموت.**

عن سفيانَ بنِ عبد الله الثقفيِّ قال: (قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»)[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨).

وفي رواية: (قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»)(١).

وقد ربطَ اللهُ تبارك وتعالى بين التوبةِ النَّصوحِ وبينَ الاستقامةِ على طاعةِ الله.

فقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

التوبةُ النصوحُ والاستقامةُ على طاعةِ اللهِ بهما يتحصلُ العبدُ على مغفرةِ الذنوب.

وقال تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود] أمرٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ ولمن تاب معه بالاستقامة على طاعة الله.

فالتوبةُ النصوحُ تحتاجُ إلى استقامةٍ على طاعةِ اللهِ تعالى حتى الموت.

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر] والاستقامةُ تحتاجُ إلى توبةٍ واستغفارٍ لتدومَ لصاحبِها، لأن الإنسانَ ليسَ معصوماً فإذا اقترفَ ذنباً أو معصيةً فعليه أن يتوبَ إلى اللهِ ﷻ ولذلك أمرَ اللهُ ﷻ بالاستقامةِ والاستغفار، فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالاستقامةِ فقالَ ﷺ للرجلِ الذي سأله: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»(٢).

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨).

وهـا نحـنُ قبـلَ أيـامٍ وَدَّعْنـا شـهرَ رمـضانَ الـذي فـرَّ النـاسُ فيـه إلـى الله بالتوبـة، واستقاموا فيه على طاعة الله، وبعدَ رمضانَ انقسم الناس إلى فريقين:

فريقٌ استمرَّ على استقامتهِ بعدَ رمضان كما كان في رمضان وقليلٌ ما هم.

وفريقٌ انتكسَ على أُمِّ رأسهِ فرجعَ إلى المعاصي والـذنوب، بـل وودّعَ المساجدَ وقال لها: إلى اللقاءِ في رمضانَ المقبل!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإلى الفريـقِ الأولِ: الـذين اسـتقاموا علـى طاعـةِ اللهِ -في رمـضانَ وبعـدَ رمـضانَ- نقولُ لهم مبشرين ومذكرين:

**أولاً:** أبـشروا بالحيـاةِ الطيبـةِ في هـذه الـدنيا وفي الآخـرة، فـإن اللهَ ﷻ ربـطَ بـين الحيـاةِ الطيبةِ والسعادةِ في الدنيا، وبين الاستقامةِ على طاعةِ اللهِ والعملِ الصالحِ.

فقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن].

وقـــال تعـــالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ -أي: استقاموا على طاعة الله- ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف].

ولذلك قال بعضُ الـصالحينَ: (لـو يعلـمُ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ مـا نحـنُ فيـه مـن السعادةِ لجالدونا عليها بالسيوف).

والسعادةُ التي هم فيها هي الاستقامةُ على طاعةِ اللهِ وليسَ الحصولُ على الجاهِ والسلطانِ، ثم نقولُ لهم:

**ثانياً:** أبشروا ببشرى الملائكة لكم عند الموت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ - وذلك عند الموت- ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

**ثالثاً:** ونقولُ لهم: أبشروا بالأمنِ يومَ القيامةِ من الفزعِ الأكبرِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف].

الذين فروا إلى الله تعالى بالتوبةِ النصوحِ واستقاموا على توبتِهم وعلى طاعةِ اللهِ في رمضانَ وبعدَ رمضانَ حتى الموت، فحالُهم يومَ القيامةِ كما قال اللهُ ﷻ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ -تقول لهم- ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾- [الأنبياء].

**رابعاً:** ونقولُ للذين استقاموا على طاعةِ ربِّهم -في رمضانَ وبعدَ رمضانَ- احذروا أعداءَ الاستقامةِ:

أ- الشيطانُ. ب- النفسُ الأَمارةُ بالسوءِ.

ج- الهوى. د- الدنيا.

هـ- قرناءُ السوءِ. و- اللسان.

لأنّ النبيَّ ﷺ عندما قالَ للرجلِ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(1).

ونقول للذين استقاموا على طاعةِ ربِّهم -في رمضانَ وبعدَ رمضانَ- عليكم بما يلي:

**أولاً:** عليكم بالعلمِ الشرعيِّ، علمِ الكتابِ والسنةِ بفهمِ الصحابةِ ﵃، فبالعلمِ الشرعيِّ تُميزُ يا عبدَ اللهِ بينَ الحلالِ والحرامِ، وبينَ التوحيدِ والشرك، وبين السنةِ والبدعةِ، وبين الهدى والضلال، فالعالمُ بدينهِ بصيرٌ، والجاهلُ بدينه أعمى، والعلمُ يورثُ الخشيةَ منَ اللهِ.

**ثانياً:** وعليكم بمصاحبة الصالحين ومجالستهم.

قال ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(2).

فالصاحبُ التقيُّ يدفعُ صاحبَه دائماً إلى الاستقامةِ، أما قرينُ السوءِ فهو سببٌ للرجوعِ إلى المعاصي مرةً أخرى.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ،**

---

(1) **حسن صحيح:** رواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٢)].

(2) **حسن:** رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٣٦)].

**فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا خَبِيثَةً**»(١).

**ثالثاً:** عليكم بالمداومةِ على الأعمالِ الصالحةِ وإن قلّت.

قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**»(٢).

فمن صامَ رمضانَ فلَا يحرِمْ نفسَه من صيامِ ستٍّ من شوال، أو مِنْ صيامِ الاثنينِ والخميسِ من كلِّ أسبوعٍ، أو صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، أو صيامِ عرفةَ وَعاشوراءَ، ومن قامَ رمضانَ فلا يحرمْ نفسَه من قيامِ الليلِ بعد رمضانَ.

قال ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**»(٣).

ومن تصدقَ في رمضانَ فلا يحرمْ نفسَه من الصدقةِ بعدَ رمضانَ، ومن أطعمَ الطعامَ في رمضانَ فلا يحرمْ نفسَه من إطعامِ الطعامِ بعدَ رمضانَ، لقوله ﷺ: «**أيها الناس! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(٤).

أما الفريقُ الثاني الذي انتكسَ بعدَ رمضانَ وعادَ إلى الذنوبِ والمعاصي، وودعَ المساجدَ فنقولُ لهم محذرين ومذكرين:

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

(٣) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والحاكم (٤٢٨٣)، [«صحيح الترغيب» (٦١٦)].

**أولاً:** أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فركنتم إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت].

**ثانياً:** نقولُ لهم: العُمرُ قصيرٌ والأيام تسير، بالأمس القريب استقبلنا رمضانَ وها نحنُ بالأمسِ وَدَّعْنا رمضانَ، وهكذا الأيامُ تمرُّ والعُمر ينقضي وأنت في كل يومٍ تسير إلى الموت.

| | |
|---|---|
| نسيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ لحظةٍ | وأيامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحلُ |
| ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه | إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطلُ |
| وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا | فكيفَ به والشيبُ للرأسِ شاعلُ |
| تَرَحَّلْ من الدنيا بزادٍ من التقى | فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ[1] |

**ثالثاً:** نقول لهم: الموتُ يأتي بغتةً.

قال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء:٧٨].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [الجمعة].

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٦).

فيندمُ أحدُنا عندَ الموتِ ويتمنى الرجوعَ إلى الدنيا مرةً أخرى ليعملَ صالحاً، قالَ تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ -فيقال له:- ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون].

**رابعاً:** اعلموا أن اللهَ يسجلُ عليكم ما تفعلون، إنْ خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر جزاءً وفاقًا، ولا يظلمُ ربُّك أحداً.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف].

وقال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»[1].

**خامساً:** نقول لهم: اعلموا أن الله لا يُسَوِّي بين المؤمن والفاسق، ولا بين الصالح والطالح.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القلم].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٧).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية].

نسأل الله ان يرزقَنا الاستقامَةَ على طاعته حتى الموت: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر].

ما هي الوصية التي وصى بها النبي ﷺ أمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاءا لله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.



# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يُحسنوا إلى جيرانهم

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

في هذه الآية الكريمة يأمرُ ربنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يُحْسِنوا إلى جيرانهم.

ووصى النبيُّ ﷺ أمتَهُ بالإحسان إلى الجار.

ولذلك فموعدنا في هذا اليومِ إن شاء اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الثانيةِ والثلاثين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يُحْسِنوا إلى جيرانهم.**

قالَ العلماءُ: («الجيرانُ ثلاثةٌ»: جارٌ له حقٌّ واحدٌ، وجارٌ له حَقَّان وجارٌ له ثلاثةُ حقوقٍ. فالجارُ الذي له ثلاثةُ حقوقٍ هو الجارُ المسلمُ ذو الرَّحِم، فله حقُّ الجِوارِ وحَقُّ الإسلامِ، وحقُّ الرَّحِمِ، وأما الذي له حَقَّانِ فالجارُ المسلمُ، له حقُّ الجوارِ وحَقُّ الإسلامِ، وأما الذي له حقٌّ واحدٌ فالجارُ المشركُ)[1].

(واسمُ الجارِ يشمَلُ المسلمَ والكافرَ، والصالحَ والفاسقَ، والصديقَ والعدوَّ،

(١) «نضرة النعيم» (٥/ ١٦٧٦).

والغريبَ والبلَدِيَّ، والنافعَ والضارَّ، والقريبَ والأجنبيَّ، والأقربَ داراً والأبعدَ)[1].

واختلفَ الناسُ في حدّ الجيرةِ:

فمنهم من قالَ: أربعونَ داراً من كُلِّ ناحيةٍ.

ومنهم مَن قال: من سمعَ النداءَ فهو جارٌ.

وَالجارُ في الإسلامِ شأنُه عظيمٌ، يظهرُ ذلكَ مما يلي:

**أولاً: جعلَ الإسلامُ حفظَ حقِّ الجارِ، والإحسانَ إليه مِنْ كمالِ الإيمانِ.**

قال ﷺ: «...**ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»[2].

وقال ﷺ: «...**ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»[3].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ**»[4].

وقال ﷺ: «**مَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[5].

وقال ﷺ: «**وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ**». قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجَارُ لا يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: «**شَرُّهُ**»[6].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٤١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤٨).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٦٠١٩) عن أَبِي شُرَيحٍ العدويِّ، ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥١٨٥)، ومسلم (٤٧).

(٥) **صحيح لغيره:** رواه ابن أبي شيبة (٢٥٩٣١)، وأبو يعلى (٤٢٥٢)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (١٥١)، والحاكم (٧٣٠٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٥٢)].

(٦) **صحيح:** رواه أحمد (٦/ ٣٥٨)، والطيالسي (١٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧٩٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٥١)].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ** -أَوْ قَالَ:- **لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بات شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إلى جنبه وهو يعلم به**»[2].

## ثانياً: وَصَّى الإسلامُ بالجارِ وأكثرَ في ذلك.

فهذا جبريلُ عليه السلام يوصي رسولَ اللهِ ﷺ بالجارِ، قال ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[3].

وهذا رسولُنا ﷺ يوصي أمتَه بالجارِ في حَجَّةِ الوَداع يقولُ أبو أمامةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «**أُوصِيكُمْ بِالْجَارِ**» حَتَّى أَكْثَرَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَيُوَرِّثُهُ[4].

## ثالثاً: رفعَ الإسلامُ مِنْ شأنِ الجارِ:

١- فجعلَ الجارَ الصالحَ منَ السعادةِ قالَ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ**»[5].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٤٥).

(٢) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (٧٥١)، والديلمي في «الفردوس» (٨٤٤٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦١)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٤) **صحيح:** رواه الطبراني في « الكبير»(٧٣٩٩)، وابن منده في «الفوائد» (٥٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٧٣)].

(٥) **صحيح:** أخرجه ابن حبان (٤٠٣٢)، والبيهقي في الشعب (٩١٠٩)، [«الصحيحة» (٢٨٢)].

٢- واعتمدَ شهادةَ الجيرانِ بعضِهم في بعضٍ، قالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ: كيفَ لي أَنْ أعلمَ إذا أحسنتُ وإذا أسأتُ؟ فقال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**»[1].

٣- وأمرَ بالاستعاذةِ منْ جارِ السوءِ والصبرِ على أذاه.

للجارِ في الإسلامِ حقوقٌ عظيمةٌ منها:

**أولاً: الإحسانُ إليه،** جاءتِ الأدلةُ في كتابِ رَبِّنا وسنةِ نبيِّنا ﷺ تأمرُ بالإحسانِ إلى الجارِ.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦].

﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ هوَ جارُك الذي من قرابتك، ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ هو الذي ليس من رَحِمِكَ، وكلٌّ منهما له حقٌّ على جارِه.

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»[2].

وقال ﷺ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبُدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**»[3].

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤٢٢٣)، وأحمد (١/ ٤٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٨٠)، [«مشكاة المصابيح» (٤٢)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤٨).

(٣) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٢/ ٣١٠)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٨)، وفي «الأوسط» (٧٠٥٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٩)].

وقال ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**صلَة الرَّحِم، وَحسن الْخلق، وَحسن الْجوَار، يعمرَانِ الدِّيار، وَيزدْنَ فِي الْأَعْمَار**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ يُحِبَّكُمُ اللهُ تعالى وَرَسُولُهُ فَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَحْسِنُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ**»[3].

والهديةُ مِنَ الجارِ إلى جارِه مِنْ حُسنِ الجِوارِ، قال ﷺ: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**»[4].

وقال ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»[5]، أما يتقي اللهَ أناسٌ يأتونَ بالطعامِ، والرائحة تفوحُ على جيرانهم فلا يُطعمونهم.

وقال ﷺ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ! لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ**»[6].

وهو العظمُ الذي ليسَ عليه لحمٌ -أي الشيءُ الذي لا قيمةَ له- ومعَ ذلكَ لا تحقِرَنَّ الجارةُ جارتَها، ولو أَنْ تُقَدِّمَ لها عظماً لا لحمَ عليه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٥)، وابن خزيمة (٢٥٣٩)، والحاكم (١٦٢٠)، ابن حبان (٥١٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٩٩)، ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٤)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الضحاك في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٧)، الطبراني في « الأوسط» (٦٥١٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٢٨)].

(٤) **حسن**: رواه أبو يعلى (٦١٤٨)، البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، البيهقي في « السنن» (١٢٢٩٧)، [«صحيح الجامع» (٣٠٠٤)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٥).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (١٠٣٠).

وقالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»)(١).

وعن مجاهدٍ: (أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ في أهلِه، فلما جاء قال: أَهْدَيْتُم لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُم لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»)(٢).

ومِنَ الإحسانِ إلى الجارِ ما يلي:

إذا استعَانك أعنْتَه، وإذا استقرَضَك أقرضْتَه، وإذا مرِض عُدتَه، وإذا دعاك للطعامِ أجبتَه، وإذا نسيَ ذِكرَ اللهِ ذَكَّرْتَه، وأن تفرحَ لفرحِه، وتحزنَ لحزنِه وأن تحفَظه في مالِه وعِرْضِه، في حضورِه وغيابِه.

**ثانياً: ومِنْ حَقِّ الجارِ عليكَ أن لا تؤذِيَه أبداً**؛ لأنَّ أَذِيَّةَ الجارِ حرامٌ.

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائقَهُ**»(٤).

وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٥٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥) دون ذكر قصة الشاة، والقصة رواها الحميدي (٥٩٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥) **بسند صحيح**.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠١٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠١٦).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤٦).

فهذا يؤذي جارَه بأولادِه، وهذا يؤذي جارَه بناتِه وزوجتِه، وهذا يؤذي جارَه بصوتِ المذياعِ أو التلفازِ إلى غيرِ ذلكَ مِنْ أذيةِ الجارِ.

أذيةُ المؤمنين حرامٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]، وأذيةُ الجارِ أشدُّ حرمةً.

سُئلَ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» قِيل: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مخافةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قِيل: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**»(١).

وقال ﷺ: لأصحابه: «**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟**» قَالُوا: حرامٌ، حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ؛ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**» قَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟**» قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «**لأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ؛ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ**»(٢).

وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصِيَامِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٦/ ٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، والطبراني في «الكبير» (١٦٩٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٩)].

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (٩٦٧٣)، وإسحاق بن راهويه (٢٩٣)، والحاكم (٧٣٠٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٠)].

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ له: «**اذْهَبْ فَاصْبِرْ**»، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا؛ فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِى الطَّرِيقِ**» ففعل، فَجَعَلَ النَّاسُ يمرون ويَسْأَلُونَهُ، فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَ جاره، فَجَعَلَوا يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ وَفَعَلَ، وبعضهم يدعو عليه فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ فإنك لن تَرَى مِنِّى شَيْئًا تَكْرَهُهُ[1].

وقال ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالْـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْـمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ**»[3].

وقال ﷺ: «**كَمْ مِنْ جَارٍ يَتَعَلَّقُ بِجَارِهِ** -أي يَوْمَ الْقِيَامَةِ- **يَقُولُ: يَا رَبِّ! سلْ هذا، لِمَ أَغْلَقَ عَنِّي بَابَهُ، وَمَنَعَنِي فَضْلَهُ؟!**»[4].

هَبْ أنَّ الذي يتعلقُ بكَ يومَ القيامة أخوك، أوْ أمُّكَ التي تجاوِرُكَ في البيتِ وتسكنُ معكَ وأنت تُغلقُ بابَك دونَها؛ ماذا تقولُ لربِّك يومَ القيامةِ؟

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥١٥٣)، و أبو يعلى (١١/ ٥٠٦)، وابن حبان (٢/ ٢٧٨) ، والحاكم (٤/ ١٨٣)، [«صحيح الترغيب » (٢٥٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٥٤)، والبزار (٧٤٣٢)، أبو يعلى (٤١٨٧)، والحاكم (٢٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٥٥)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٥١)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٤٥)، والطبراني في « الكبير» (١٤٢٥٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٥٧)].

(٤) **حسن**: رواه ابن المبارك في «البر والصلة» (٢٥١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٤٦)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب»(٨٧٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٤)].

الجارُ في الإسلامِ شأنُه عظيمٌ وحقُّه كبيرٌ، وحِفْظُ حَقِّ الجارِ من ديننا ومن عقيدتنا ومن إيماننا.

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الإحسانَ إلى الجيرانِ، وكيفيةَ التعاملِ معَ الجيرانِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه.

• فهذا مثالٌ لتعامُلِ النبيِّ ﷺ مع جيرانِه.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه كَانَ يَقُولُ: (واللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ. وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ ولَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي، وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**الْحَقْ**» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنْتُ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ.

فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ.

قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**».

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ على أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقَّ

أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ قَالَ «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**»، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ.

فَقَالَ: «**اشْرَبْ**»، فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا.

قَالَ: «**فَأَرِنِي**» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ)[1].

• وهذا مثالٌ لتعامُلِ النبي ﷺ مع جيرانه.

وعن عروةَ عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «**إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ الله ﷺ نَارٌ، قال: قلت: يا خالة! فمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٥٢).

**الأَنْصَارِ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ** -أي: هي الشاة أو الناقة تعطي اللبن- **فكَانُوا يُرسلون إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلبانها، فَيَسْقِينَاهُ**»[1].

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لأمته بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الوصية القادمة إن كان في العمر بقية.

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٢).



# وصيتُه ﷺ للمسلمين أن يعودوا مرضاهم

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠].

ويقول ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»(١).

ويقول ﷺ: « **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢).

ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَحَابِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى شَيْءٌ مِنْهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٣).

أدلةٌ من الكتابِ والسنة تُبينُ أنَّ المؤمنين إخوةٌ، ومن حق هذه الأُخوة أن يعودَ بعضُهم بعضـًا إذا مرض.

ووصى النبيُّ ﷺ المؤمنين أن يعودوا مرضاهم.

ولذلك فموعدنا في هذا اليومِ إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ الثالثةِ والثلاثين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمينَ أن يعودوا مرضاهم.**

يقول ﷺ: «**عُودُوا الْمَرِيضَ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ، تُذَكِّرْكُمُ الْآخِرَةَ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٤) **حسن صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، والطيالسي (٢٣٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٩)].

**عيادةُ المريض من الأخلاقِ الحسنة، بل هي حقٌّ للمسلمِ على أخيه المسلم.**

قال ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**»(١).

ولذلك وَصَّى النبيُّ ﷺ أمتَهُ بعيادةِ المريض، وحَثَّهم على ذلك، بل أمرهم بذلك. يقولُ البراءُ رضي الله عنه: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ(٢).

ويقولُ ﷺ: «**أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ**»(٣).

وهذهِ كُلُّها منَ الأخلاقِ الحسنةِ.

ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**»(٤).

**عيادةُ المريض تُذَكِّرُنا الآخرة.**

قال ﷺ: «**عُودُوا الْمَرِيضَ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ، تُذَكِّرْكُمُ الْآخِرَةَ**»(٥).

أتدرون لِمَ يا عباد الله؟

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٧٣).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٩).

(٥) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، والطيالسي (٢٣٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٩)].

لأن المريضَ وهو في فراشِ المرضِ يُذكرُنا بالانتقال من الدنيا دارِ العملِ، إلى الآخرةِ دارِ الجزاءِ والحسابِ دون أن نأخذَ من حطام الدنيا شيئاً.

وآخرةُ الإنسان تبدأُ بالموتِ ثم القبرِ، ثم البعثِ، ثم الحسابِ والجزاءِ، ثم بعدَ ذلك إما إلى الجنةِ وإما إلى النار، والناسُ عن كلِّ هذا عافلون.

كما قالَ القائلُ[1]:

أما واللهِ لو علمَ الأنامُ ... لما خُلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأته ... عيونُ قلوبهم تاهوا وهاموا

مماتُ ثم قبرٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ

ليومِ الحشرِ قد عملت رجالٌ ... فصَلوا من مخافتِه وصاموا؟

ونحنُ إذا أُمِرنا أو نُهينا ... كأهلِ الكهفِ أيقاظٌ نيامُ

فعُدْ يا عبد اللهِ المريضَ يُذكِّرْكَ بالموت الذي هو بدايةُ سفرك إلى الدار الآخرة، واعلَمْ يا ابنَ آدم:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ

لم تغنِ عن هرمُزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سُليمَان إذ تجري الرياح له ... والإنسُ والجنُّ فيما بينها تردُ

أينَ الملوكُ التي كانت لعزتِها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ

حوضٌ هنالك مورودٌ بل كذبٍ ... لا بدَّ مِن وِردِه يوماً كما وردوا[2]

(١) ذكره الذهبي في «الكبائر» (١٣٣).

(٢) ذكره عن عمر بن الخطاب ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١٥٧)، وابن عساكر (٤٤/ ٣١٤-٣١٥).

**عيادةُ المريضِ مشروعةٌ لكلِّ الناس**؛ للمسلمِ والكافرِ واليهودي والنصراني والكبيرِ والصغير.

فهذا رسولُنا ﷺ أحسنُ الناسِ خلقـًا، والذي أمرنا الله تعالى أن نتأسى به يعودُ المرضى جميعـًا.

عادَ ﷺ عَمَّهُ أبا طالبٍ وهو كافرٌ، ودعاهُ إلى الإسلام، فقال له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»(١).

ولكنه لم يقُلها ومات على كفرِه.

وعادَ ﷺ الغلامَ اليهوديَّ، ودعاهُ إلى الإسلام يقول أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»)(٢).

وعادَ ﷺ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ رضي الله عنه، ودعا له فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا**»(٣).

وعاد ﷺ الأعرابيَّ، فقال له: «**لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٥٦).

وعاد ﷺ شاباً، فدخلَ عليه وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ له: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(١).

فهل تأسيتَ يا مسلمُ برسولِ الله ﷺ في عيادة المرضى؟ أم أنك تجهلُ فضلَ عيادةِ المريض؟ أذَكِّرُك فالذكرى تنفعُ المؤمنين.

زيارتُك للمريضِ تُدخِلُ السرورَ إلى قلبه، وإدخالُ السرور على قلب المسلم من أحبِّ الأعمالِ إلى الله تعالى قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**»(٢).

زيارتُكَ للمريضِ فيها أجرٌ عظيم.

قال ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً**»(٣).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**»(٤).

وخُرفَةُ الجنة: ثمرها وجناها.

عيادةُ المريض تذكيرٌ وتحذير؛ إذا عدتَ مريضاً فذَكِّرْهُ وحَذِّرْهُ:

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٣)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٢٦)، وفي «الكبير» (١٢/ ٤٥٣/ ١٣٦٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٢٣)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٧٨)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٨).

**أولاً: ذَكِّرهُ بفضلِ الصبر على المرض ليصبرَ.**

وقل لهُ: يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر:١٠].

وقل له أيضـًا: يقولُ ﷺ: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»[١].

ويقولُ ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[٢].

وذَكِّرهُ بقوله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[٣].

وبقوله ﷺ: «**لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»[٤].

**ثانيـًا: ذَكِّرهُ بأنَّ الدعاءَ ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.**

قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»[٥].

وقال ﷺ: «**لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»[٦].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) **حسن:** رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٧)].

(٤) **حسن صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)]

(٥) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [ «صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

(٦) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢١٣٩)، والبزار (٢٥٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥١/ ٦١٢٨)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٩)].

**ثالثاً: ذَكِّرهُ بالأخذِ بالأسبابِ الشرعية للعلاج كالعلاج النبويِّ**، والرقية الشرعيةِ، والذهابِ إلى الطبيبِ وغيرِها من الأسبابِ الشرعية.

وإذا عدتَ المريضَ فحذِّرهُ مما يلي:

**أولاً: حَذِّرْهُ من أن يتمنى الموتَ جزعاً من شِدة المرض** قال ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[1].

**ثانياً**: حَذِّرْهُ من الذهابِ إلى السَّحَرة والكهنةِ والعرّافين.

قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»[3].

**ثالثاً**: حَذِّرْهُ مِنْ تركِ الصلاة، لأن كثيراً من المرضى يتركون الصلاة بسبب المرض وأخْبِرْهُ أن تركَ الصلاةِ سببٌ لدخولِ النار، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدّثر].

عيادةُ المريضِ يا عبادَ اللهِ من الأخلاقِ الحسنةِ، وتركُها من الأخلاقِ السيئةِ، فهل

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٣) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥٤٠٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٣)، وفي «الكبير» (١٠/ ٧٦/ ١٠٠٠٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٤٧)].

أنتَ يا مسلمُ ممن يعودون المرضى؟ إن كنتَ كذلك فأَبشِرْ.

ما هي وصية النبي ﷺ لأمتهِ بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

٣٤

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يَحْذَروا غدرَ اليهودِ وخيانَتَهم، ويحذروا أن يطلبوا النَصر من غير الله

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة:٨٢].

ويقول سبحانه في وصف اليهود: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

ويقول سبحانه عنهم أيضًا: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣].

ويقول سبحانه للمؤمنين: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

في هذه الآياتِ يخبرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين عن عداوةِ اليهودِ لهم، ويحذرُهم من غدرِ اليهودِ وخيانتِهم، ويخبرُهم أنَّ اليهودَ هم أفسدُ الناسِ على وجهِ الأرضِ، ويُحَذِّرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يَطلبوا النصرَ من غيرِ اللهِ.

ووصَّى النبيُّ ﷺ أمتَهُ أن يحذروا غدرَ اليهودِ، وحذَّرَهم أيضًا أن يطلبوا النصرَ من غيرِ الله.

فالنصرُ على اليهودِ أهلِ الغدرِ والخيانةِ لا يُطلبُ إلا من الله وحدهُ.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الرابعةِ والثلاثين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُه ﷺ للمسلمين أن يحذروا غَدرَ اليهودِ وخيانتَهم، ويحذروا أن يطلبوا النصرَ من غير الله.**

أما وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا غدر اليهودِ وخيانتهم:

ففي غزوةِ خيبر، قال ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» -فأعطى النبيُّ الراية لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وقال له:- «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ**»(1).

الشاهدُ هو قولُه ﷺ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ**» أي: ادخلْ عليهم بحذرٍ لأنَّ اليهودَ أهلُ غدرٍ وخيانة.

وظهرت خيانتُهم وغدرُهم في غزوة الأحزاب عندما أرادوا أن يضربوا المسلمين من الخلفِ، فأذلهم اللهُ ، وأخبرَنا عن نتيجةِ غدرِهم وخيانتِهم فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

وما يفعلهُ اليهودُ بإخواننا في فلسطين اليوم أكبرُ شاهدٍ على غدرِ اليهود وخيانتهم وأما وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يحذروا أن يطلبوا النصرَ من غير الله.

فعن خبابِ بنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فقَالَ: **«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[1].

ففي هذا الحديثِ يُرَبي النبيُّ ﷺ أصحابَهُ والمسلمين على أن النصرَ من عندِ اللهِ وحدَهُ وأنهُ قريبٌ كيف لا؟

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

ولله ﷻ في نصرِ المؤمنينَ على أعدائِهم سُننٌ لا تتبدلُ ولا تتغير:

السنةُ الأُولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

جاءتِ الأدلة في الكتابِ والسنةِ تُبشِّرُ أن النصرَ والتمكينَ للإسلامِ والمسلمين.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

**مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(١).

وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

وهذا النصرُ لا يأتي دائماً للمؤمنين إلا بعدَ الصبرِ والتمحيص، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»(٣).

أدلةٌ كثيرةٌ من الكتابِ والسنةِ تُبشرُ أن نصرَ اللهِ للمؤمنين آتٍ لا شكَّ في ذلك، ولكن متى نصر الله؟

الجوابُ يأتي في:

السُّنَّةِ الكونيةِ الثانية وهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد:١١].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، [«الصحيحة» (٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (/ ٣٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٢٣/ ١١٢٤٣)، والحاكم (٦٣٠٣)، [«الصحيحة» (٢٣٨٣)].

هذه السنةُ هي مفتاحُ النصر والتمكين في الأرض، وهي المدخلُ لتغيير واقعِ الأمةِ الإسلامية المحزن.

وذلك لأن من سنن اللهِ التي لاتتبدلُ ولا تتحولُ أنه لا يُغيِّرُ أحوالَ قومٍ أو أمةٍ أو دولةٍ حتى يبدأوا هم فيغيروا ما بأنفسهم، ويصلحوا أحوالهم، وينصروا الله في أنفسهم، فحيئنذٍ يُغيرُ اللهُ ما بهم، ويرفعُ الذلَّ عنهم، وينصرُهم على أعدائهم.

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

فعلى الأمةِ الإسلاميةِ التي تريدُ نصرَ اللهِ أن تغيِّرَ من حالِها المحزن إلى الحالِ الذي يحبُّه اللهُ ورسولُه، على الأمةِ أن تتحولَ من الكفرِ إلى الإيمانِ، ومن الشركِ إلى التوحيدِ، ومن البدعةِ إلى السنةِ، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن التفرّقِ والاختلافِ إلى الوحدة والاعتصام، ومن سلوكِ سبلِ الشطانِ إلى سلوكِ سبيلِ المؤمنين، عندها إذا قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ كان الجواب: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

إذا لم يُغَيِّرِ الناسُ ما بأنفسهم، وبقُوا على حالِهمُ المحزنَ من المعاصي والاختلافِ والتفرقِ، فهل معنى هذا أن نصرَ اللهِ للأمةِ الإسلامية لن يأتي؟

الجوابُ: يكون في:

السُّنَّةِ الثالثةِ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠].

ما هي صفاتُ هؤلاءِ القومِ الذين يأتي اللهُ بهم ليكرِمَهم بنصره؟

يخبرُنا ربُّنا جلَّ وعلا في كتابه عن صفاتهم:

فيقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة].

**الصفةُ الأولى:** ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾.

**الصفةُ الثانيةُ:** ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

**الصفةُ الثالثةُ:** ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾.

فإذا أرادتِ الأمةُ الإسلاميةُ اليومَ أن تنتصرَ على أعدائها عامةً، وعلى اليهودِ خاصةً فلا بُدَّ من أن تتصفَ بهذه الصفات، ولا يمكنُ للأمة أبداً أن تتصفَ بهذه الصفاتِ إلا أن ترجعَ إلى دينها.

أسألُ اللهَ أن يردَّ المسلمينَ إلى دينهم رداً جميلاً.

ما هي الوصيةُ التي وصى بها النبيُّ ﷺ أمتَه بعد ذلك هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

٣٥

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يَبَرُّوا آباءَهم

عبادَ الله! يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يَبَرُّوا آباءَهم، ويُحسنوا إليهم، ويتأدبوا في التعاملِ معهم.

فوصَّى النبيُّ ﷺ أمتهُ بالإحسانِ إلى الآباءِ.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصيةِ الخامسةِ والثلاثين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتهُ ﷺ للمسلمين أن يَبَرُّوا آباءَهم؛ كلمةُ الآباء تشمل الآباء والأمهات.**

الآباءُ في الإسلامِ شأنُهم عظيم، وحقُّهم كبيرٌ فهو من أعظمِ الحقوقِ بعد حقِّ اللهِ ورسولِهِ ﷺ ويظهرُ ذلك مما يلي:

**أولاً: أمرَ الله تعالى عبادَهُ بالإحسانِ إلى الآباءِ بعد الأمر بعبادتهِ سبحانه.**

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦].

**ثانيـًا: وَصَّى اللهُ الأبناءَ في كتابه ببرِّ الآباء والإحسان إليهما:**

قـال تعـالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يوصِيكم بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يوصِيكم بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ**»(١).

وهذا كُلُّهُ يدُلُّ على عِظَمِ شأنِ الآباء.

**ثالثـًا: بِرُّ الوالدين من أحبِّ الأعمالِ إلى الله ﷻ بَعدَ عبادتهِ**، وهـو جهـادٌ في سبيلِ اللهِ، بل هو مقَدَّمٌ على الجهادِ في سبيل الله:

يقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»)(٢).

ويقولُ عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»)(٣).

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠)، [«الصحيحة» (١٦٦٦)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

ويقول عبدَ اللهِ بنُ عمروِ بنِ العاصِ رضي الله عنهما: (أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: **«فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟»** قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: **«فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟»** قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **«فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»**)(١).

**رابعاً:** برُّ الوالدين سببٌ لرضا الله عز وجل:

قال ﷺ: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِين، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهما**»(٢).

**خامساً:** برُّ الوالدين سببٌ لدخول الجنة:

قال ﷺ: **«رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»** قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»**(٣).

أدلَّةٌ من الكتاب والسنة تُبينُ عِظَمَ شأنِ الوالدين، فما هو المطلوبُ شرعاً من الأبناءِ نحو الآباء؟

**أولاً:** مصاحبةُ الأبناء للآباءِ في هذه الدنيا بالمعروف، والدعاءُ لهما، والحرصُ على نصحِهما وهدايتِهما ولو كانا كافرين:

لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢)، والحاكم (٧٢٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٤٩٤/ ١٤٣٦٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٠٣)].

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٥١).

أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- إبراهيمُ عليه السلام مع والدِه آزرَ الكافرِ فقد أخبرنا اللهُ عز وجل عن إبراهيمَ عليه السلام كيف حَرِصَ على هداية والده وكيف دعاهُ بالحسنى.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

٢- وهذا أبو هريرةَ رضي الله عنه مع أمِّه التي كانت على الكفر، وتؤذي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بلسانها، ومعَ ذلك يُحسِنُ أبو هريرة إليها ويعامِلُها معاملةَ الابن، ويحرصُ على هدايتها.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا

أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَة! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا)(١).

**ثانياً:** برُّ الأبناء للآباء في حياتهما:

ومن البرِّ للآباءِ في حياتِهما أن يخفِضَ الجناحَ لهما، ولا يرفعَ صوته عندهما، ولا يقلْ لهما أفٍ، ويُحسنَ إليهما بكلِّ معاني الإحسان استجابةً لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

ومن الأمثلةِ على ذلك:

فهذا إسماعيلُ عليه السلام لما قالَ له أبوه إبراهيمُ عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٤٩١).

وما ذكرَ اللهُ لنا ذلكَ إلا لنتعلمَ البِرَّ، ولنتعلمَ كيف نتعاملُ معَ آبائنا.

وهذا أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إذا دخلَ أرضَهُ صاحَ بأعلى صوتِهِ: عَلَيْكِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ أمُّه: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ أبو هريرة: رَحِمَكِ اللهُ! رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ له أمه: يَا بُنَيَّ! وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا[1].

**ثالثاً:** برُّ الأبناء للآباء بعد موتهما:

ومن بِرِّ الأبناءِ للآباء بعد موتهما:

١- اجتهادُ الولدِ في طاعة اللهِ وعبادتِه، أي أنَّ كُلَّ عمل صالح يعملُه فلأبويه من الأجر مثلُ أجرِه من غيرِ أن يَنْقُصَ من أجرِهِ شيءٌ.

قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم].

والولدُ من سعي أبيه ومِنْ كسبه.

كما قال ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ**»[2].

٢- ومن برِّهما بعدَ الموتِ الدعاءُ والاستغفارُ لهما.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) **حسن:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٤).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، وأحمد (٦/ ١٦٢)، [«صحيح الجامع» (١٥٦٦)].

وقال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

ومن برِّهما بعد موتهما إكرامُ صديقِهما وصلةُ إخوانهما، قال ﷺ: «**أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ**»(٢) أو «**أَبَرُّ الْبِرِّ صلةُ الولد أهلَ وُدِّ أَبِيهِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ**»(٤).

٤- ومن برِّهما بعد موتِهما التصدقُ عنهما، من علمٍ، أبو بناءِ مسجدٍ، أو حفرِ بئرٍ أو سبيلٍ، أو مُصحَفٍ، أي من الصدقاتِ الجاريةِ ليَصِلَ الأجرُ منها إلى والده.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا -أي: سُلبت أي ماتت فجأة ولم توص- وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ولي أجرٌ، قَالَ: «**نَعَمْ**» فتصدق عنها)(٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا، وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»(٦).

فيا معشرَ الأبناءِ بِرُّوا آباءَكم فإنَّ تَبِرُّكم أبناؤُكم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٤) **حسن**: رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان (٤٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٠٦)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (١٠٠٤).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣٠).

قال ﷺ: **«ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»**(١).

يا معشرَ الأبناءِ! برُّوا آباءَكم، فإن برَّ الوالدين سببٌ لإجابة الدعاء.

قال ﷺ: **«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»**(٢).

أي: من برِّه لأمِّه أنه إذا رفع يديه ودعا استجابَ الله له.

يا معشر الأبناء! بِرُّوا آباءكم فإنَّ برَّ الوالدين سببٌ لتفريج الكروب، والخروج من الأزمات، والدليل على ذلك: الثلاثةُ الذين دخلوا الغارَ وأيقنوا الهلاك، وقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم.

فقال رجل منهم: **«اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ»**(٣).

---

(١) **حسن:** رواه ابن ماجه (٣٨٦٢)، [«الصحيحة» (٥٩٦)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، واللفظ للبخاري.

يا معشرَ الأبناء! اتقوا اللهَ في آبائِكم واحذروا العقوق؛ فإن العقوق من أكبر الكبائر، يقول ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»(1).

**إياكم والعقوق!** فإن العقوق يمنعُ من دخول الجنة. قال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وذكر منهم: «**الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ**»(2).

**إياكم والعقوق** فإنه يُحبطُ الأعمال.

جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: (يَا رَسُولَ اللهِ، شَهِدْتُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَصَلَّيْتُ الْخَمْسَ، وَأَدَّيْتُ زَكَاةَ مَالِي، وَصُمْتُ شَهْرَ رَمَضَانَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا، وَنَصَبَ إِصْبَعَيْهِ، مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ**»)(3).

**إياكم والعقوق** فإن من عقَّ والديه عقَّه أبناؤه فالجزاءُ من جنس العمل، ولا يظلمُ ربك أحداً، وكما تَدينُ تُدان.

ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

---

(1) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٢٧٣)، مسلم (٨٧).

(2) **حسن صحيح:** رواه النسائي (٢٥٦٢)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥١١)].

(3) **صحيح:** رواه أحمد (٨١) من «المستدرك على المسند»، وابن حبان (٣٤٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٥١٥)].

٣٦

## وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يتقوا محارمَ الله

**عبادَ اللهِ!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٣-٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢].

في هذه الآياتِ يخبرُ ربُّنا جل وعلا عبادَهُ المؤمنين بما حَرَّمَ عليهم، ويُحذِّرُهم أنْ يقتربوا منها، بل وصاهم سبحانهُ بذلك لعلهم يتقون، لعلهم يعقلون.

قال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

ووصى النبيُّ ﷺ أمتهُ أن يتقوا محارِمَ اللهِ -أي: يَحْذَروا الوقوعَ في جميعِ ما حَرَّمَ اللهُ عليهم-.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع **الوصيةِ السادسةِ والثلاثين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يتقوا محارِمَ الله.**

يقول ﷺ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ**»(١).

أي: احذرْ يا مسلمُ الوقوعَ فيما حَرَّمَ اللهُ عليك.

وقد فَصَّلَ ربُّنا ﷻ لعبادهِ ما حَرَّمَ عليهم، وحَذَّرهم من الاقترابِ منها رحمةً بهم.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**»(٢).

وحَمَى اللهُ هذه المحرمات، ومنعَ عبادَهُ من قُربانِها، وسماها حدودَهُ؛ فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧].

وحذرهم أن يعتدوها؛ فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩].

ومع ذلك كُلِّهِ نرى كثيراً من المسلمين اليوم قد استهانوا بكبارِ الذنوبِ فضلاً عن صغارها، وعدّوها شيئًا قليلاً، حتى صَدَقَ فيهم قولُ أنسٍ رضي الله عنه: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ

---

(١) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٢/ ٣١٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٩)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ[1] -أي: من كبائر الذنوب المهلكات-.

وها أنا أُذَكِّرُ نفسي وإخواني ببعضِ الذنوبِ التي استهانَ بها كثيرٌ من المسلمين اليوم، ومنها:

**أولاً التكفيرُ:**

تكفيرُ المسلمِ لأخيه المسلم من الذنوبِ التي استهان بها كثيرٌ من الشبابِ والفِرَقِ والأحزابِ التي ضلت عن سواءِ السبيل. وتكفيرُ المسلم لأخيه المسلم حرامٌ، قال ﷺ: **«مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِها أَحَدُهُمَا»**[2].

**ثانياً: القتلُ:**

قتلُ المسلمِ لأخيه المسلم من الذنوبِ التي استهانَ بها كثيرٌ من المسلمين اليوم، وما يحدثُ في بلادِ المسلمين اليوم من التكفير والقتل أكبرُ شاهدٍ على ذلك.

وقتلُ النفسِ التي حَرَّمَ اللهُ قتلَها إلا بالحقِّ حرامٌ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٤٩٢).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، وأحمد (٢/ ١١٢) واللفظ له.

**ثالثاً: التبرجُ:**

التبرجُ والعُرْيُ والسُّفورُ منَ الذنوبِ التي استهان بها كثيرٌ من الناسِ في هذا الزمان، وما نراهُ في شوارع المسلمين وأسواقِهم أكبرُ شاهدٍ على ذلك، والتبرجُ حرامٌ قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

**رابعاً: الاختلاطُ:**

الاختلاطُ بين الرجالِ والنساء في البيوتِ وأماكنِ العملِ من الذنوبِ التي استهان بها كثيرٌ من الناس.

والاختلاطُ بينَ الرجال والنساء شرٌّ على الرجلِ والمرأةِ والمجتمع، ولذلك حَرَّمَهُ الإسلام قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»[1].

والحَمْوُ هو قريبُ الرجلِ كأخيه وابنِ أخيه وعَمِّه وابنِ عمَّه.

الرجلُ بفطرته يميلُ للمرأة، والمرأةُ بفطرتها تميلُ للرجل، فإذا اقتربتِ المرأةُ من الرجلِ، والرجلُ من المرأةِ كان الشرُّ، ولو كان ذلك في المساجدِ، قال ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**»[2].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤٤٠).

**خامساً: مصافحة المرأة الأجنبية:**

مصافحةُ المرأةُ الأجنبية من الذنوبِ والمعاصي التي استهان بها كثيرٌ من الناسِ في هذا الزمان. ومصافحةُ المرأة الأجنبية حرامٌ.

قال ﷺ محذراً من ذلك: «**لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ**»(١).

فاتقي اللهَ أيتُها المرأةُ! واتقِ اللهَ أيها الرجل!

فإن هذا اللمسَ نوعٌ من الاستمتاع، ولا يحلُّ هذا الاستمتاعُ إلا بينَ الزوجين، ولذلك عدَّ النبيُّ ﷺ هذا اللمسَ -وهو مصافحةُ المرأةِ الأجنبيةِ- نوعًا من أنواع الزنا.

فقال ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَر وَزِنَا اللِّسانِ المنطقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ ويُكَذِّبُهُ**»(٢).

**سادساً: الإسرافُ والتبذير:**

الإسرافُ والتبذيرُ من الذنوب والمعاصي التي استهان بها كثيرٌ من الناسِ في هذا الزمان، وما نراهُ في افراحِنا وولائِمنا أكبرُ شاهدٍ على ذلك والإسرافُ والتبذيرُ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) **صحيح:** رواه الطبراني (٢٠/ ٢١١/ ٤٨٦)، [«صحيح الجامع» (٥٠٤٥)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، واللفظ للبخاري.

**سابعاً: الغيبة:**

والغيبةُ هي ذِكرُكَ أخاكَ بما يكرَهُ، وهي من الذنوب والمعاصي التي استهان المسلمون بها في هذا الزمان، ومجالسُنا أكبرُ شاهدٍ على ذلك، والغيبةُ حرامٌ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحُجُرات:١٢].

ولقوله ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»**[1].

**ثامناً: التدخينُ:**

التدخينُ بلاءٌ عمَّ وطمَّ، لم يَسلمْ منهُ الرجالُ ولا النساء حتى الصبيانُ إلا مَن رحم ربُّك، وهذا التدخينُ حرامٌ لأدلةٍ كثيرة:

منها: أنه خَبيثٌ، وكلُّ خبيث حرامٌ، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤].

فَفُهِمَ من ذلك أن الخبائث حرامٌ؛ وقال تعالى في وصفِ محمدٍ ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فكلُّ طيبٍ حلال، وكلُّ خبيثٍ حرامٌ، والدخانُ خبيثٌ، فهو حرام.

---

(١) **حسن صحيح:** رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤)].

ومنها: التدخينُ يَضُرُّ بصحةِ المدخن.

وضررهُ ثابت بشهادةِ الأطباء والمسؤولين عن صحة الإنسان، فهو سببٌ للإصابة بالسرطان، وإذا ثبت ضررهُ ثبتت حرمته.

لقوله ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[1].

ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

فالدخانُ حرامٌ لأنهُ يَضُرُّ بصحّةِ المدخّنِ، وبصحةِ زوجتهِ وبصحةِ أولادهِ، ويضرُّ بمن صلى بجوارهِ من المسلمين إلى غيرِ ذلكَ من الضررِ الذي لا يخفى على أحد.

ومنها: أنه إسرافٌ وتبذير.

فالمالُ الذي يُنفقهُ المدخنُ في الدخانِ إسرافٌ لأن إنفاق المال في الحرامِ إسرافٌ، والله ﷻ لا يحبُّ المسرفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء].

واعلمْ أيها المدخنُ أنهُ لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةَ حتى يُسألَ عن مالِه من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، واحسب أيها المدخن! كم تدخنُ في اليومِ، في الشهرِ، في السنةِ، في عشرينَ سنةً، واضربْ ذلكَ في مليون يدخنون مثلك، كم من الأموال تُنفقُ في التدخين؟ أليسَ هذا تبذيرٌ؟ والتبذيرُ حرامٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٦)، [«الصحيحة» (٢٥٠)].

فلو اننا أنفقنا هذه الأموالَ في بناءِ المصانعِ والمدارسِ والمستشفيات، كم يعودُ من الخير على هذا المجتمع واعلمْ أيها المستهينُ بالذنب أن الذنوبَ والمعاصي سببٌ لهلاك الأفراد والمجتمعات.

قال ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ»**(1).

وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٦].

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

فتب أيها المستهين بالمعاصي إلى الله قبل فوات الأوان، فإن الموت يأتي بغتةً.

ما هي وصية النبي ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(1) **صحيح لغيره:** رواه أحمد (١/ ٤٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٢/ ١٠٥٠٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٧٠)].

٣٧

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يدعو بعضُهم لبعضٍ بِظَهرِ الغيبِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ ﷻ عن عبادِهِ المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرات:١٠].

ويقول سبحانه في وصفهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

ويقول سبحانه عنهم بعد أن فازوا بالجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر].

ويقول ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**[1].

في هذه الأدلةِ يخبرُنا ربُّنا جلَّ وعلا أن المؤمنين إخوة، ويخبرُنا أيضاً أنهم يدعو بعضُهم لبعضٍ بظهر الغيبِ، ويخبرُنا أيضاً عنهم عندما فازوا بالجنة أنهم طهَّروا قلوبهم من الغِلِّ والحسدِ وأمراضِ القلوب التي فرَّقتِ الأمة، ويخبرُنا الرسولُ ﷺ في حديثِه أن المؤمنَ يُحِسُّ بأخيه المؤمنِ، فإنْ مَرِضَ عادَهُ أو دعا له بظهر الغيب، ووقفَ معه في شدتهِ موقفَ المؤمنِ معَ أَخيه المؤمن.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

وربّى ﷺ أصحابَهُ على ذلك، وَوَصَّاهم بذلك.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **الوصية السابعةِ والثلاثين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يدعوَ بعضُهُم لبعضٍ بظهر الغيب.**

يقول ﷺ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

والذي دفعني للحديثِ عن هذه الوصيةِ العظيمةِ بعد رجوعي إليكم من المرض أمران اثنان:

**الأمرُ الأول:** أُبشرُكم. أما **الأمرُ الثاني:** أشكركم.

أما التبشيرُ فأقولُ للإخوةِ الذين يدعونَ لإخوانهِمْ بظهر الغيبِ أبْشروا فإنَّ الدعاءَ بظهرِ الغيبِ مستجابٌ «**ولك بمثل**».

أما الشكرُ فأنا أشكرُكم يا أحبابي في اللهِ على دعائِكمْ لي بظهرِ الغيبِ، فما أنا فيه من نعمةٍ فمن اللهِ وحده ثم بسببِ دعاءِ الصالحينَ منكم لي بظهر الغيب، والنبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ**»(٢).

الدعاءُ بظهرِ الغيبِ مستجابٌ من المؤمنِ لأخيه المؤمنِ، ويجوزُ للمؤمنِ أن يدعوَ للكفارِ بالهدايةِ إلى الإسلام ومن الأمثلة على ذلك:

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (١٩٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٦٥٤١)].

**أولاً:** دعاؤهُ ﷺ لقومِهِ الكفارِ الذينَ ذهبَ إليهم ﷺ يدعوهم إلى الإسلام وإلى جَنَّةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، فَرَمَوه بالحجارةِ، وأدْمَوا قَدَمَيه الشريفتين، فدعا لهم بظهر الغيب «**اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فإنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» فاستجابَ اللهُ دعاءَه وهدى كثيراً منهم إلى الإسلام.

**ثانياً:** دعاؤهُ ﷺ لعمرَ بن الخطاب، وأبي جهلِ بنِ هشامٍ، وهما على الكفرِ والعنادِ والعَداءِ للرسولِ والمسلمينَ، فاستجابَ اللهُ لرسولِهِ ﷺ وهدى اللهُ عمرَ بنَ الخطاب إلى الإسلام، وأعز اللهُ الإسلامَ والمسلمين بإسلامِ عمر.

**ثالثاً:** دعاءُ المؤمنينَ بعضُهم لبعضٍ بظهر الغيب مستجابٌ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

فالدعاءُ مِنَ المؤمنِ لأخيه المؤمنِ بظهرِ الغيب مستجابٌ لا شكَّ في ذلك، ويجوزُ أن يدعوَ المؤمنُ للكافرِ بالهدايةِ إلى الإسلامِ.

والدعاءُ فضله عظيم، بل هو من أفضلِ العبادات يقول ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»(١).

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقول: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»(٢).

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧)، [«صحيح الترغيب» (١٦٢٧)].

(٢) **حسن:** رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)،[«صحيح الترغيب» (١٦٢٩)].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(١).

ويقول ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(٢).

فاللهُ ﷻ هو الغنيُّ، ولذلك قالَ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(٣).

ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»(٤).

وممن استفادَ من الدعاءِ وأَخبرَنا الله عنهم في كتابه كثير:

فهذا أيوبُ عليه السلام دعا في مرضه فاستجاب الله له.

وهذا يونسُ عليه السلام دعا في جوفِ الحوتِ فاستجاب اللهُ له.

وهذا زكريا عليه السلام دعا ربَّه أن يرزقَهُ الذريةَ وهو شيخ كبيرٌ، وامرأته عاقر فاستجاب الله تعالى له، فعليكم عبادَ اللهِ بالدعاءِ.

فالدعاءُ ينفعُ صاحبَهُ مما نزلَ ومما لم ينزلْ، ولكنْ هناك موانعُ تمنعُ من الإجابةِ منها:

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٨٠)، والحاكم (١٩٦٢)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٣)، والبزار (٩٤٢٥)، وأبو يعلى (٦٦٥٥)، [«صحيح الجامع» (٢٤١٨)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

**أولاً: أكلُ الحرام**: أكلاً، وشُرباً، ولبساً، وتغذيةً.

يقول النبيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[1].

وكثيرٌ من المسلمين اليومَ -إلا من رحم ربي- أكلوا الحرامَ وتوسَّعوا فيه، ولذلك ازدادوا بعداً عن الله، ولم يستجب دعاءهم.

**ثانياً: تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر.**

قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[2].

والأمةُ اليومَ إلا من رحم ربي تركتِ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر، فهذا حالهم لا يخفى على أحد.

**ثالثاً: الاستعجالُ في الدعاء.**

قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «**قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٣١٣)].

**يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»**[1].

وكثيرٌ من المسلمين اليومَ دعا فلم يُستَجَبْ له فترك الدعاء وقال: دعوت فلم يُستَجبْ لي.

فعليكم عبادَ الله بالدعاءِ عامةً وبالدعاءِ بظهرِ الغيب للمؤمنين خاصةً.

نسألُ الله تعالى أن يستجيبَ دعاءنا، ويجعلَنا وإياكم من المرحومين.

وما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ للمسلمين بعدَ ذلك؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٥).

٣٨

# وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يبادروا

# إلى فعلِ الخيراتِ قبلَ فواتِ الأوانِ

**عبادَ اللهِ!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

ويقولُ سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد].

ويقول سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنينَ بالمبادرةِ إلى فعلِ الخيرات.

وربى النبيُّ ﷺ أصحابَه رضي الله عنهم على ذلك، ووَصَّى النبيُّ ﷺ المسلمين بذلك.

ولذلك فموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ الله تعالى مع **الوصية الثامنةِ والثلاثين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ للمسلمين أن يبادروا إلى فعلِ الخيراتِ قبلَ فواتِ الأوانِ، وقبل نزولِ الفتن.**

يقولُ ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ -الصالحة- فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، ويُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٨).

في هذه الوصيةِ العظيمةِ يُوْصِي النبيُّ ﷺ المسلمين أن يبادروا بالأعمالِ الصالحةِ قبل نزول الفتن، وقد نزلت ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، وقبلَ فواتِ الأوان.

فنقولُ للذين انشغلوا بالدنيا الفانيةِ، وتركوا الأعمالَ الصالحةَ، وأقبلوا على المعاصي: ماذا تنتظرون؟

هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هَرَماً مُفْنِداً، أو موتاً مُجهزاً، أو الدجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ، أو الساعةَ فالساعةُ أدهى وأمرّ.

وها نحنُ قد حَلَّتْ بنا أيامٌ مباركةٌ يُحبُّ ربُّنا جلّ وعلا الأعمالَ الصالحةَ فيها، ألا وهي أيامُ العشر من ذي الحجة يقولُ في فضلها النبيُّ ﷺ: **«مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ»** يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: **«وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»**(١).

وقد ضربَ الصحابةُ رضي الله عنهم أروعَ الأمثلةِ في المبادرةِ إلى فعل الخيرات.

ففي المبادرةِ إلى الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ حثَّ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ رضي الله عنهم وذهب كلٌّ منهم إلى بيتِه وتصدَّقَ بما عنده، ويكفينا في ذلك أبو بكر الصديق الذي تصدق بكلِّ ماله، فقال له النبيُّ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وجاءَ عمرُ رضي الله عنه بنصف ماله قال له النبيُّ ﷺ: **«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»**، قُلْتُ: مِثْلَهُ(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري(٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨) واللفظ له.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١٥١٠)، [ «مشكاة المصابيح» (٦٠٣٠)].

وفي الجود والكرم والإيثار يكفينا في ذلك موقفُ الأنصارِ مع المهاجرين وهذا الأنصاريُّ ﵁ مع ضيف رسولِ الله ﷺ. يقولُ أبو هريرةَ ﵁: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ هل عندكم من شيءٍ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»)[1].

وأنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

فَتَأَسَّوا يا عباد الله بالصحابة ﵃ فإنهم قومٌ بادروا بالأعمال الصالحة فرضي الله عنهم، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

الصحابةُ ﵃ جيلٌ فريد، اختارَهُم اللهُ لصحبةِ نبيِّهِ، وإقامةِ دينِهِ فضربوا للبشرية أَروعَ الأمثلة في كلِّ مجالاتِ الخير.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

وهذا موقفُهم في طلبِ الشهادة في سبيل الله.

عن شدَّادِ بنِ الهادِ ﵁: (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ؟ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزَاةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ شيئًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ-أي: الأعرابيُّ- دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**». قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ، بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ إلى النَّبِيِّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّته التي عليه، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وكَانَ مما ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»)[1].

نعم واللهِ! إنهُم همُ الرجالُ، قال تعالى في وصفهم: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى في وصفهم أيضًا: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٩٥٣)، والطبراني في «الكبير» ٧/ ٢٧١/ ٧١٠٨)، والحاكم (٦٥٢٧)، [«صحيح الترغيب» (١٣٣٦)].

فتشبهوا يا عبادَ اللهِ بهؤلاءِ الرجالِ الذين ضربوا للأمةِ أروعَ الأمثلة في المبادرةِ إلى فعل الخيرات في كلِّ مجالات الخير.

فإن التشبُهَ بالرجالِ فلاحُ، جعلني الله وإياكم من المتشبهين بهم والمتبعين لسبيلهم إنه ولي ذلك والقادرُ عليه.

عبادَ الله! ما هي وصيةُ النبيِّ ﷺ للمسلمين بعد ذلك؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية(١).

(١) وكانت هذه آخر وصية خطب بها، ثم اشتدَّ به المرضُ، وذهبَ إلى الحجِّ وهو يُعاني أشدَّ المعاناةَ، ثم عاد بعد أن خَتَمَ حياتَه بهذهِ الطاعةِ العظيمةِ، رحمَ اللهُ الشيخَ -أبا إسلام- وجزاهُ اللهَ عنِ المسلمينَ خيرَ الجزاء.

٣٩

## وصيتُهُ ﷺ لأصحابِه وأمتِه بتقوى اللهِ تعالى

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنينَ بالتقوى، ووَصَّى النبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه بتقوى الله ﷻ فمع **الوصيةِ التاسعةِ والثلاثين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأصحابه وأمتِه بتقوى الله تعالى.**

يقولُ ﷺ لأبي ذرٍ رضي الله عنه: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ**»[1].

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد (٥/ ١٨١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٣١٦١)].

وقال له أيضـًا: «**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[1].

التقوى هي وصيةُ اللهِ تعالى لعبادِهِ الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

التقوى عَرَّفَها السلفُ بعِدة تعاريفَ، عَرَّفها الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ مسعود رضي الله عنه فقال: (أَنْ يُطَاعَ اللهُ وَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ وَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ وَلَا يُكْفَرَ)[2].

وقال طَلْقُ بنُ حبيبٍ عن التقوى: (أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَأن تَتْرُكُ مَعَاصِي اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ تخَافُ عِقَابَ اللهِ)[3].

لأن اللهَ عز وجل أهلٌ لأن يُتَّقى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدَّثر].

لذلك بعثَ اللهُ الرسلَ يدعون أقوامَهم، ويأمرونهم بتقوى الله.

فهذا نوحٌ عليه السلام يأمرُ قومَه بتقوى اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

وهذا صالحٌ عليه السلام يأمرُ قومَه بتقوى اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ

---

(١) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والحاكم (١٧٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٥٥)].

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٩٢/ ٨٥٠١).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٤).

﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [الشعراء].

وهذا لوطٌ عليه السلام يأمرُ قومَه بتقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الشعراء].

وهذا شعيبٌ عليه السلام يأمر قومَه بتقوى الله، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾ [الشعراء].

وهذا إبراهيمُ عليه السلام يأمرُ قومَه بتقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت].

وهذا عيسى عليه السلام يأمرُ بني إسرائيل بتقوى الله تعالى، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [الزُّخرُف].

وهذا نبيُّنا ﷺ يأمرُ أصحابَه وامتَه ويوصيهم بتقوى الله ففي هذه الوصيةِ التي معنا يقولُ لأبي ذرٍ رضي الله عنه: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ**»(١)، وفي وصيته المشهورةِ التي وَجلت منها القلوبُ، وذَرَفت منها العيون، حتى قال الصحابة يا

(١) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد (٥/ ١٨١)، [«صحيح الترغيب» (٣١٦١)].

رسول الله كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ، فَأَوْصِنَا قال ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ** ﷻ»[1].

وفي حَجَّةِ الوَداعِ يقول ﷺ لأمته: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»[2].

أي: اتق اللهَ في سرِّك وعلانيتِك، في خَلْوتِك واختلاطك، حيث يراكَ الناسُ، وحيثُ لا يرونك، فكفى بالله رقيباً كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

كيف يتحصلُ المسلمُ على تقوى الله تعالى؟

**أولاً: بعبادةِ الله ﷻ:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة].

والعبادةُ هي: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّ اللهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالمتقون هم أصحابُ العقيدةِ السليمةِ، والعملِ الصالح.

كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان (٤٥٦٣)، والحاكم (١٩)، [«الصحيحة» (٨٦٧)].

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

فمن العباداتِ التي نتحصلُ بها على التقوى:

١- **الصلاةُ:** قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام].

٢- **الصيامُ:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

٣- **الحجُّ:** قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

## ثانياً: تلاوةُ القرآن والتمسكُ به وبالسنة:

قراءةً وحفظاً وتدبراً وعملاً بما فيه.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة].

## ثالثاً: نتحصلُ على التقوى بتعَلُّمِ العلمِ الشرعي:

العلمُ بأسماءِ اللهِ وصفاته سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة].

**رابعاً: بالصحبةِ الصالحة:**

الصحبةُ التي تُعين على ذكرِ اللهِ وطاعته، قال ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(١).

**خامساً: تتحصل على التقوى بمراقبتِك لله ﷻ:**

تعلمُ بأن اللهَ يراك، مُطَّلع عليك، ناظرٌ إليك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

وكما قال ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»(٢)، أي: في سرك وعلانيتك، فإذا اتقى الإنسانُ ربَّه وصل لمنزلةٍ عاليةٍ بل هي أعظمُ وأعلى مراتبِ الدينِ؛ وهي منزلةُ الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣).

**سادساً: تتحصل على التقوى بالدعاء:**

التوجُّهُ إلى اللهِ ﷻ بالدعاءِ وسؤالِهِ التقوى، فقد كان سيدُ المرسلين، وإمامُ المتقين

(١) **حسن:** رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٣٦)].

(٢) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٥٥)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

يسألُ ربَّه أن يرزقَه التقوى؛ فيقولُ في دعائه: **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»**(١).

وكان يقولُ ﷺ: « **اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا**»(٢).

**سابعاً: تتحصلُ على التقوى بتذكرِك الوقوفِ بين يدي الله ﷻ:**

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر].

فما دمت تعلمُ أنَّ الكُلَّ راجعٌ إلى الله ﷻ، موقوفٌ بين يَدَيه يسأله عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ فَلْتُعِدَّ للسؤالِ جوابًا.

فيا أيها المسلم! اتق الله في نفسِكَ، وفي أَهل بيتك وأولادك، واتق اللهَ في عبادة ربِّك فأدِّها كما أوجبَها عليك، واتق الله في معاملتكَ ومَتجَرِكَ، فاحْرِصْ على الحلال وابْتَعِدْ عَنِ الحرام، اتق الله في وظيفتك، فأدِّ العملَ الذي كُلِّفتَ به على الوجه المطلوب.

وأمرَ الله ﷻ عباده بالتقوى، ووصَّاهم بها وأمرَ النبيُّ ﷺ أمتَه بالتقوى ووصاهم بها.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٢١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٢٢).

فما هي الثمراتُ التي يجنيها العبدُ إذا اتقى الله تعالى؟

**أولاً: التقيُّ حبيبُ اللهِ ووَليُّه:**

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»[1].

فكلُّ مؤمنٍ تقيٍّ فهوُ لله ولي.

وإذا أحبَّكَ اللهُ أيها التقيُّ فلا يُعذبُك في النار أبداً، وإذا أحبك الله فسيُلقي محبتَك في قلوبِ العباد.

وإذا أحبك اللهُ استجابَ دعاءَك، وأَعطاك ما تسألُ وتطلبُ.

**ثانياً: التقيُّ في مَعيةِ الله ﷻ:**

وهي المعيةُ الخاصةُ التي خصَّ اللهُ بها أولياءَه، وأهلَ طاعته فيحيطُهم ويحفظُهم ويؤيدُهم بنصره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة:١٩٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود:٤٩].

**ثالثاً: التقوى سببٌ للفلاحِ في الدنيا والآخرة:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة].

**رابعاً: التقوى سَببٌ لرحمةِ الله تعالى:**

قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد].

**خامساً: التقوى سببٌ لصلاحِ الأعمالِ ومغفرةِ الذنوب:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

وقَبولُ صالحِ الأَعمال سببُه التقوى، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة].

**سادساً: التقوى سببٌ لِسَعةِ الرزقِ وتيسيرِ الأمور:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق:٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف].

**سابعاً: التقوى سببٌ للتمكنِ في الأرضِ والنصرِ على الأعداء:**

قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ [يوسف].

ولما أخبرَ يوسفُ إخوتَه عن نفسِه قال لهم: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

**ثامناً: التقوى سببٌ للحصولِ على الأجرِ العظيمِ يومَ القيامة:**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧].

**تاسعاً: التقوى تجعلُك من أكرمِ الناسِ عندَ الله:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: **«أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ»**(١).

**عاشراً: التأمينُ على حياةِ الأهلِ والأولادِ والطمأنينةِ على مستقبلهم لا يكونُ إلا بالتقوى:**

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء].

**الحادي عشر: التقوى تحول بينك وبين الوقوع في المعاصي:**

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

فالتقيُّ إذا هَمَّ بالمعصيةِ منعتهُ التقوى من فعلها.

فهذ الرجلُ الذي همَّ أن يزنيَ بابنةِ عمِّه، فلما قالت له: «**اتق الله ولا تفضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه تركَها ولم يزنِ بها**». فالذي منعه من الزنا تقوى الله.

ولما دخلَ جبريلُ عليه السلام على مريمَ في خَلوتِها في صورةِ رجلٍ، فخافت منه ذَكَّرتْه بتقوى الله، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم].

**الثاني عشر: التقوى سببٌ للنجاةِ من عذابِ النار:**

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزُّمَر].

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل].

**الثالث عشر: التقوى سببٌ للفوزِ بالجنةِ:**

وهل أُعِدَّتِ الجنةُ إلا للمتقين:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

ثم قال ﷺ: «**وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ**»(١).

وهذا من خصال التقوى التي لا تتم إلا به، ولكن أفرده ﷺ في الوصية للحاجة إلى بيانه، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحقِّ اللهِ دون حقوقِ عبادِه، فيُحسنُ فيما بينَه وبينَ الله، ثم يسيء فيما بينه وبين الناس، فمن صفات المتقين الخلقُ الحسن.

قال تعالى عنهم: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، من صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

هذه صفات تدلُّ على إحسانهم فيما بينهم وبين الناس، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ -فهذا دليلٌ على إحسانهم فيما بينهم وبينَ الله- ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ -هذا دليل على إحسانهم فيما بينهم وبينَ الناس- ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٥/ ١٨١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٣١٦١)].

ﭐلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ [لقمان].

فالرسولُ ﷺ يوصي ويحثُّ على تقوى الله وحسنِ الخلق لأنهما طريقٌ إلى الجنة.

سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: **«تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»**(١).

بل حسنُ الخلق يرفعُ صاحبَه درجاتٍ في الجنة.

قال ﷺ: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»**(٢).

حسنُ الخلقِ يدني صاحبَه منَ النبيِّ ﷺ يومَ القيامةِ.

قال ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»**(٣).

حسنُ الخلق يجعلُك من أحبابِ اللهِ ﷻ: جاء ناسٌ من الأعرابِ إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**(٤).

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاقِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٠٠٤)، والبزار (٩٦٥٨)، وابن حبان (٤٧٦)، والحاكم (١٧٢٣)، [«صحيح الترغيب» (١٧٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ١٣٣)، وابن حبان (٤٨٠)،[«صحيح الترغيب» (٢٦٤٣)]

(٣) **صحيح** : رواه الترمذي (٢٠١٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٤٩)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٥٢)]



٤٠

# وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بالتوكلِ على اللهِ ﷻ

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧﴾ [الشعراء].

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران].

ويقول سبحانه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل].

ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا ﷻ رسولَه ﷺ وعبادَه المؤمنين بالتوكلِ عليه سبحانه.

ووَصَّى النبيُّ ﷺ أصحابَه وامتَه بالتوكلِ على الله.

فمع **الوصيةِ الأربعين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأصحابِه وأمتِه بالتوكلِ على اللهِ تعالى.**

عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: (سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«لَوْ أَنَّكُمْ تتوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»**)(١).

---

(١) **صحيح: رواه** أحمد (١/ ٣٠)، والطيالسي (٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٣٩)، [«الصحيحة» (٣١٠)].

اللهُ ﷻ أمرَ بالتوكلِ عليه سبحانه والنبيُّ ﷺ حثَّ أصحابَه وأمتَه ووَصَّاهم بالتوكلِ على اللهِ تعالى، قال ابن القيم: (التّوكُّلُ على الله تعالى نصفُ الدينِ، والنصفُ الثاني هو الإنابةُ، فإن الدينَ استعانةٌ وعبادَةٌ)(١).

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

فالتوكل هو: الاستعانةُ بالله، والإنابةُ إليه هي العبادةُ وقيل: التوكلُ هو صدقُ اعتمادِ القلبِ على اللهِ ﷻ في استجلاب المصالحِ، ودفع المضارِّ من أمورِ الدنيا والآخرة.

وقيل التوكلُ على الله ﷻ هو: الثقةُ باللهِ والطمأنينةُ إليه.

**التوكلُ على الله ﷻ من صفاتِ الأنبياءِ، والمرسلين، وعبادِ الله المؤمنين، بل هو عنوانُ الإيمان**

فالمتوكلُ على الله لا يخافُ أحداً إلا اللهَ.

فهذا نوحٌ ﵇ يتحدى قومَه فيقول إني لا أبالي، ولا أكُفُّ عنكم سواءٌ عظُم عليكم الأمر أم لا متوكلاً على الله، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس].

وهذا هودٌ ﵇ يقفُ في وجهِ قومِهِ الكفارِ متوكلاً على الله، معتصماً به، قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١١٣).

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

وهذا شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يبينُ لقومه مدى توكُّله على اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

وهذا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأُ من قومِه الكَفَرةِ الذين عبدوا الأوثانَ فيقولُ سبحانه وتعالى عنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمرُ قومَه بالتوكلِ على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

وهذا رسولُنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضربُ لنا مثلاً أعلى في التوكلِ على الله تعالى يقولُ جابرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ[1]، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لَا**»،

(١) أي: بغزوة ذات الرقاع، سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتِهم، وقيل: لأن اقدامَهم نُقبت فكانوا يلفون عليها الخِرق.

قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللهُ**»[1]. -الشاهد أنّ النبيَّ ﷺ توكلَ على الله ولم يَخَفْ-.

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»: (قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللهُ**»، قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ لَهُ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**». فقالَ -المشرك-: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَني رسولُ اللهِ؟**»، قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتى أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ)[2].

وها هم أصحابُ النبيِّ ﷺ الذين وقفوا في وجهِ الكفارِ وتَحدَّوْهم لما حاولَ الكفارُ إخافتَهم بما جمعوا لهم من عِدَّةٍ وعتادٍ، فلم يَزِدْهم ذلك إلا إيماناً وتوكلاً على الله تعالى فنالوا رضى الله والفضلَ العظيم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

فالتوكلُ عنوانُ الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المُلك:٢٩].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وابن حبان(٢٨٨٣)، والحاكم (٤٣٢٢)، [«محققو المسند»].

وها هيَ هاجرُ أمُّ إسماعيلَ عليها السلام تضربُ لنا مثلاً أعلى في التوكلِ على الله عندما وضعها إبراهيم عليه السلام عند البيت وليس بمكةَ أحدٌ، يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «**أَوَّلُ مَا اتَّخَذ مِنَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ: أُمُّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ. فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا. فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا**»[1]. -وهذا هو الشاهد-

(إذاً لا يضيعنا): توكَّلَت على الله، فوَّضَتْ أمرَها لله احتمت بالله، فحفظها اللهُ عز وجل هي وابنَها في هذا المكانِ البعيدِ الموحِش الذي ليس فيه أنيسٌ ولا ماء، وأَنْبعَ لها الماءَ، وأرسلَ إليها قبيلةً عاشت بجوارِها لتأنس بهم، وجاءها جبريلُ عليه السلام فبشَّرها وقالَ لها: (لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيتُ الله يبنيه هذا الغلامُ وأبوه، وإنَّ اللهَ لا يُضيِّع أهلَه).

وها هي أمُّ موسى عليها السلام تضربُ لنا مثلاً أعلى آخرَ في التوكل على الله قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص].

(١) **صحيح**: البخاري (٣٣٦٤).

وَثِقَتْ واطمأنَّت أمُّ موسى التَّقيةُ بما عندَ اللهِ ﷻ، لقد جرَت العادة أَّن الأمَّ إذا خافَتْ على ابنها ضَمَّتْه إلى صدرِها وحفظته.

يا الله! يا أمَّ موسى أرضعيه، فإذا خِفتِ عليه وهو في حُضْنك وهو في رعايتِك، وهو تحت عينيك فألقيه في اليم!! وثقتْ وهي الأمُّ الخائفةُ القلِقةُ الملهوفةُ؛ وثقت بما عندَ الله، وبإلهام الله، ونزل الإلهامُ على قلبِها بَرداً وسَلاماً، فلما توكلت على الله، وسَلَّمت إليه حَرَّمَ اللهُ على موسى المراضع إلا ثديَ أمِّه، فكانت قبلَ ذلك تُرضعه على خوفٍ من فرعون، وملئِه، فها هي الآنَ تُرضِعُه على عين فرعون بل ويحميه فرعونُ، وترعاه امرأتُه وتأخذُ أُمُّه على إرضاعِه أجراً: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص].

وها همُ السلفُ الصالحُ يتوكلون على الله، عن عونِ بنِ عبدِ الله قالَ: (بَيْنَا رَجُلٌ فِي بُسْتَانٍ بِمِصْرَ فِي زَمَنَ فِتْنَةِ ابنِ الزُّبَيْرِ[١] مُكتَئبًا معه شيءٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ فسنحَ له[٢] صَاحِبُ مِسْحَاةٍ، فَقَالَ له: يا هذا مَالِي أَرَاكَ مُكتَئِبًا حَزِينًا؟ قَالَ: فَكَأَنَّهُ ازْدَرَاهُ[٣]، فَقَالَ: لَا شَيْءَ. قَالَ صاحبُ المسحاةِ[٤] أَللدُّنْيَا -أي: أَلِلدنيا تكتئبُ؟ فَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْآخِرَةُ أَجَلٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فلما سمعَ ذلك منه كأنه أَعْجَبَهُ، قَالَ: فَقَالَ: لِما فِيهِ

---

(١) فتنة ابن الزبير: قتاله مع الحجاج.

(٢) فسنح له: عرض له.

(٣) ازدراه: استصغر شأنه.

(٤) مسحاة: مجراف من الحديد.

الْمُسْلِمُونَ. قَالَ: فَإِنَّ اللهَ سَيُنْجِيكَ بِشَفَقَتِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَسَلْ فَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَ اللهَ فَلَمْ يُعْطِهِ، وَ دَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكْفِهِ، أَوْ وَثِقَ بِهِ فَلَمْ يُنْجِهِ؟ قَالَ: فَعَلِقْتُ لدُعَاءٍ[1]، اللهُمَّ سَلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي فَتَمَحَّلَتْ[2] وَلَمْ تُصِبْ مِنْهُ أحدًا)[3].

والله ﷻ أمرَ عبادَه بالتوكل، والتوكلُ من صفاتِ الأنبياء، فالتوكلُ على الله مقامٌ كريمٌ، وأصلٌ عظيمٌ في دينِ الإسلامِ فهو سببٌ لسعادةِ الإنسانِ في الدنيا والآخرة.

فما هي ثمراتُ التوكلِ على الله تعالى؟

**أولاً: مَن توكلَ على الله تعالى كفاهُ اللهُ وحماهُ من أعدائه:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر:٣٦].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)[4]، فأنجاهُ اللهُ من النارِ وقال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال ابنُ عباسٍ أيضـًا: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا

(١) فعلقت لدعاء: فاغتنمته.

(٢) فتمحلت: فانكشفت الفتنة.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٦٤).

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران])[1].

**ثانياً: من توكَّلَ على اللهِ ﷻ حفظَه من كيدِ الشيطان:**

فالشيطانُ عدوٌّ مبينٌ للإنسانِ، يعملُ جاهداً بالليلِ والنهارِ لا يكلُّ ولا يَمِلُّ ليصدَّ الإنسانَ عن دينه، ويجعلَه يسلكُ سبيلَ المجرمين. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥﴾ [الإسراء].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: (قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ -يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ-: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: هُديتَ وكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**»)[2].

وزاد أبو داودَ: «**فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟**»[3].

**ثالثاً: مَن توكَّلَ على الله ﷻ أحبَّهُ اللهُ:**

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران].

وإذا أحبَّ الله عبدَه لا يُعذِّبهُ في النار أبداً.

وإذا أحبَّ الله عبدَاً ألقى محبتَه في قلوبِ خلقهِ.

وإذا أحبَّ الله عبدَاً استجابَ دعوتَه وأعطاهُ سُؤْلَهُ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٢٦)، وأبو داود (٥٠٩٥)، وابن حبان (٨٢٢)، [«صحيح الترغيب» (١٦٠٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٩٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٠٥)].

**رابعاً: من توكل على الله تعالى رَزَقَه من حيث لا يحتسب:**

يقول ﷺ في الوصيةِ التي معنا: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(1).

فانظروا إلى حالنا نحنُ المسلمين الآنَ لما توكلنا على الشرقِ والغربِ وعلى الوظيفةِ والراتبِ والتجارةِ ضَعُفَ التوكلُ عندنا فنزلَ بنا ما نزل من قتلٍ وضياعٍ وشَتات.

والتوكلُ على الله لا ينافي الأَخذَ بالأسبابِ.

فالتوكلُ على اللهِ واجبٌ، والأخذُ بالأسباب واجبٌ كذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات].

ثم أمر ربُّنا جل وعلا بالسعي على الرزق، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

فالأخذُ بالأسبابِ لا ينافي التوكلَ، وإنما المرادُ من التوكلِ بعد الأخذِ بالأسبابِ عدمُ الالتفاتِ إليها أو الاعتمادِ عليها.

---

(1) **صحيح**: رواه أحمد (1/ 30)، والطيالسي (51)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (1139)، [«الصحيحة» (310)].

**خامساً: المتوكلُ على الله ﷻ يدخل الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذاب:**

عن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟**» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكتوونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[1].

اللهمَّ اجعلنا ممن يتوكلون على اللهِ تعالى حقَّ تَوَكُّله.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له

٤١

# وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في وصفِ النبيِّ ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويقول سبحانه عن إسماعيلَ عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم].

ويقولُ سبحانه عن عبادِه المؤمنين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة].

فبينَ لنا ربُّنا جلَّ وعلا في هذه الآياتِ بأن الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكرِ من صفاتِ الأنبياءِ والمرسلينَ وعبادِه المؤمنين.

ولذلك وَصَّى النبيُّ ﷺ أمتَه وحَثَّهم على الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكر.

فمعَ **الوصيةِ الحاديةِ والأربعين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمتِهِ بالأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكر.**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ»**)[١].

---

(١) **حسن لغيره:** رواه ابن ماجه (٤٠٠٤)، وأحمد (٦/ ١٥٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٢٥)].

وعن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[1].

**والمعروفُ:** اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه من الإيمان والأعمالِ الصالحةِ، وهو كلُّ فعلٍ يُعْرفُ بالعقلِ والشرعِ حُسْنُه.

**والمنكرُ:** اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يكرههُ اللهُ وينهى عنه، وهو كلُّ فعلٍ حَرَّمه الشرعُ واستَقْبَحَتْه العقولُ السليمةُ.

فلذلكَ يجبُ على المسلمِ أن يأمرَ بالمعروفِ، وينهى عن المنكر استجابة لله ولرسوله حسَبَ استطاعته ومقدرته.

قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[2].

فمن رأى منكراً تَعَيَّن عليه تغييرُه بيدِه، فإنْ عَجَزَ فبلسانِه، فإن عَجَزَ فبقلبه، فإن لم يتغيرْ قلبُه لرؤيةِ المنكر، ولم يغضبْ لغضبِ اللهِ تعالى لم يكن في قلبه إيمان.

فالمسلمُ في بيتِهِ واعظٌ، آمرٌ، ناهٍ، يأمرُ أهلَ بيتِه بالمعروفِ، وينهاهم عن المنكر، ويدعوهم إلى الخيرِ، ولا يُقِرُّهم على السوءِ.

كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢].

(١) **حسن:** رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، [«صحيح الجامع» (٧٠٧٠)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤٩).

وقـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

وقال ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

وقال ﷺ: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢).

فيجبُ على صاحبِ البيتِ أن يأمرَ مَنْ تحتَ يدِه بطاعةِ اللهِ تعالى، ويُلزِمُهم بأداءِ الواجباتِ، وتركِ المنكرات.

ومن لم يكنْ له قدرةٌ على إزالةِ المنكر بيدِه، وجبَ عليه أن يُنكرَه بلسانه بأن ينهى العاصيَ، ويُخوِّفَه عقابَ الله، ويبينَ له حُرمةَ الفعلِ الذي ارتكبه.

فإن لم يستطع الإنسانُ إنكارَ المنكرِ بلسانِه وجبَ عليه أن يكرَهَ ذلك المنكرَ بقلبِه، فإنكارُ القلبِ الجميعُ يَقدرُ عليه، فمن لم ينكرْ قلبُه المنكرَ دَلَّ على ذهابِ الإيمان منه.

كما قالَ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،**

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ١٨٠)، والحاكم (٧٠٨)،[«صحيح الجامع» (٥٨٦٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

**وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِذَا عَمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا** -وَقَالَ مَرَّةً: «**أَنْكَرَهَا**»- **كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا**»(٢).

فتغييرُ المنكرِ يدعو إلى هجرِ المنكَرِ وأهلِه لا إلى مخالطتهم.

عبادَ الله! ولكنْ إذا تَركنا الأَمرَ بالمعروف، والنهيَ عن المنكر بمراتبه الثلاثةَ كثرَتِ الذنوبُ والمعاصي، وظهرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ، ظهر النفاقُ وانتشرَ وعمل المنافقون والمنافقاتُ فَأمروا بالمنكر، ونهوا عن المعروف.

كما أخبر ربُّنا جل وعلا فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧].

فالمنافقُ ينهى ابنَه عن الصلاةِ في المسجدِ، وينهاهُ عن إعفاءِ لحيتِه، وحضورِ مجالسِ العلمِ، بل يرى امرأتَه وابنتَه متبرجاتٍ ويُقِرُّهنَ على هذا المنكر، ولم يأمرْهُنَّ بالحجاب بل ويأمرُ امرأتَه بمخالطةِ الرِّجال الأَجانبِ والجلوسِ معهم ويَدّعي أنه مؤمن.

والله ﷻ يصف لنا المؤمنين فيقول سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٠).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٩/ ٣٤٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٢٣)]

فإذا تركت الأمة الأمر بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر، فقد أَحَلَّت بنفسِها لعنةَ الله، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أنه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وهو على حاله، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]». ثُمَّ قَالَ: «**كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**»(١).

وهذا واقعٌ فينا الآنَ أم أننا لا نرى الرجلَ في بيته، يرى ابنَه لا يصلي، وامرأتَه متبرجةً، ولا يأمرهم بالمعروف، ولا ينهاهم عن المنكر؟ بل يعملُ بالليلِ والنهارِ، ويأتيهم بالمالِ والطعامِ وَيُؤَاكلُهم ويشاربُهم ويجالسُهم.

إذا تركتِ الأمةُ الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكرِ نزل بها العذابُ والهلاكُ والعقابُ فأخذَ الصالحَ والطالحَ.

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٣١٣)].

كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال:٢٥].

عن زينبَ بنتِ جحشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ دخلَ عليها فَزِعـًا يقـول: **«لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَـذِهِ»** وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»**(١).

الشاهدُ قولُه: (أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»**).

فإذا كَثَرتِ المعاصي والذنوبُ، وتُركَ الأَمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر نزلَ العذابُ فأخذ الصالحَ والطالحَ.

ويقولُ ﷺ: **«مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»**(٢).

فالشاهدُ: أنهم إذا تركوا العصاة يفعلونَ بالسفينة ما أرادوا هلكوا جميعـًا، وإذا أخذوا على أيدي العصاةِ الذين هَمُّوا بخرقِ السفينة نجوا جميعـًا.

ويقول ﷺ: **« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ»**(٣).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٢٤٩٣).

(٣) **حسن:** رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، [«صحيح الجامع» (٧٠٧٠)].

وقلنا بأنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ من صفاتِ الأنبياءِ والمرسلين وعبادِ الله المؤمنين.

وقلنا بأننا إذا تركنا الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكر ماذا يَحِلُّ بنا؛ فالواجبُ علينا أن نأمرَ بالمعروفِ، وننهى عن المنكر، كلٌّ حسَبَ استطاعته كما أَمَرنا ووصانا النبيُّ ﷺ، فإذا فعلنا ذلك فما هي الثمراتُ التي نتحصلُ عليها إذا قمنا بالأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر؟

**أولاً: تنزلُ علينا الرحمةُ من اللهِ ﷻ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

فمن قامَ بالأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر فهو مرحوم بإذن الله.

**ثانياً: نَصَرَنا الله على أعدائِنا، ومَكَّنَّا في الأرض:**

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

**ثالثاً: تَحَصَّلنا على الفلاحِ في الدنيا والآخرة:**

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

**رابعاً: إذا أَمَرْنا بالمعروفِ ونَهينا عن المنكر كنا خيرَ أمة:**

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فَقَدَّم ربُّنا جلَّ وعلا في هذه الآيةِ الأَمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر على الإيمان، لأنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكر سياجُ الإيمانِ، ومن المعهودِ عند كلِّ الناسِ أن سياجَ الشيءِ هوَ الذي يحفظه.

**خامساً: النجاةُ من العذابِ الذي ينزلُ بالمجرمين المنافقين:**

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف].

**سادساً: إذا أَمَرْنا بالمعروفِ ونَهينا عن المنكرِ تَحَصَّلنا على الأجرِ العظيم:**

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

ويجبُ على الآمرِ بالمعروفِ، والناهي عن المنكرِ أن يتحلّى بهذه الصفاتِ حتى ينجحَ في دعوته.

**الصفة الأولى: الإخلاصُ لله ﷻ أي أنْ يبتغيَ بدعوته وجهَ الله:**

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فُصِّلت:٣٣].

فعلى الآمرِ بالمعروفِ، والناهيَ عن المنكرِ ان يفعلَ ذلك ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ ﷻ، ولا يطلبُ على دعوته أجراً.

فما من نبيٍّ جاءَ إلى قومِه إلا وهو يقولُ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ﴾ [هود:٥١].

ويقول نوح لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

**الصفة الثانية: العلمُ:**

على الآمرِ بالمعروفِ، والناهيَ عن المنكرِ أن يكونَ على علم بحالِ المأمورِ والمنهيِ، وعلى علمٍ بالمعروفِ والمنكر والتمييزِ بينهما، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]. أي: على علمٍ وعلى بيّنة.

وهذا شعيبٌ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [هود:٢٨]. أي: على علم.

**الصفة الثالثة: الحكمةُ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر.**

استجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل:١٢٥].

**الصفة الرابعة: الرفقُ واللينُ في الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر:**

لقوله ﷺ: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

ولما أرسلَ اللهُ ﷻ موسى وهارون إلى فرعونَ الذي علا وتجبرَ وقال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

وقال لهم: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزُّخرُف:٥١].

أمرَ اللهُ موسى وهارونَ أن يقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى.

قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

وقال سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: رَفِيقٌ بِمَا يَأْمُرُ، رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى، عَدْلٌ بِمَا يَأْمُرُ، عَدْلٌ بِمَا يَنْهَى، عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ، عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى)(١).

**الصفةُ الخامسة: على الآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المنكر أن يكونَ صبوراً حليماً:**

يصبرُ على أذى مَن امرَه ونهاه.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه].

وقال تعالى على لسان لقمانَ وهو يعظُ ابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

---

(١) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٢٤).

وأقسم ربُّنا جلَّ وعلا أن بني الإنسانِ لفي خسرٍ إلا الذين آمنوا -والإيمان يحتاجُ إلى علمٍ، وعملوا الصالحات أي عملوا بما تعلَّموا، وتواصوا بالحق أي أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتواصوا بالصبرِ أي: صبروا على ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

**الصفة السادسة: على الآمر بالمعروفِ والناهي عن المنكر أن لا يخالفَ قولُه فعله**

قال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود:٨٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[1].

فإذا فعلَ الآمرُ بالمعروفِ، والنَّاهي عن المنكر بهذه الصفات وُفِّقَ في دعوتِه، واستجابَ الناسُ له.

اللهمَّ رُدَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلا.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

٤٢

# وصيتهُ ﷺ لأمته بالإخلاص

**عبادَ الله!** يقولُ الله ﷻ في كتابه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

ويقولُ سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزُّمر].

ويقولُ سبحانه: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزُّمر].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جل وعلا رسولَه ﷺ، وعبادَه الأولين والآخرين بالإخلاص له في العبادةِ؛ لأن الإخلاصَ سرُّ النجاح، وسببٌ للفوزِ في الدارَين.

والإخلاصُ صدقُ النيةِ معَ الله ﷻ، ولذلك وَصَّى النبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه بالإخلاص لله ﷻ، فمعَ **الوصيةِ الثانيةِ والأربعين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بالإخلاص.**

عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ؛ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا شَيْءَ لَهُ»** فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا شَيْءَ لَهُ»** ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»**)[1].

---

(١) **حسن:** رواه النسائي (٣١٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٨)].

فجعلَ النبيُّ ﷺ شرطَ قَبول العملِ عندَ الله أن يكونَ خالصاً لله وابْتُغيَ به وجهُه.

فالعملُ لا يقبلُه اللهُ ﷻ يومَ القيامةِ إلا بشرطين:

**الشرط الأول: الإخلاصُ لله ﷻ فيه:**

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[1].

**الشرطُ الثاني: أن يكونَ موافقاً للشرع:**

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[3].

وقد جمعَ اللهُ ﷻ بينَ هذين الشرطين في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

وجمعَ النبيُّ ﷺ بينَ هذين الشرطين في سنّته، فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١) واللفظ له.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٧١٨).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

**أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعمالِكم»**[1].

كيف لا؟ واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

أي: إنّما يتقبلُ اللهُ من المخلصين الذين وَحَّدوا وأطاعوا رسولَه ﷺ.

ومن الأعمال التي تَسْتَلْزِمُ الإخلاصَ:

### ١- الإخلاصُ في الدّعاء:

قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر].

فالإنسانُ إذا دعا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بإخلاصٍ استجابَ اللهُ له دعاءَه ولو كانَ مشركًا، فبعضُ المشركينَ عندما ركبوا في السفينةِ واضطربَت بهم وتلاطَمتِ الأمواجُ، وأيقنوا الهلاكَ دَعَوا اللهَ مخلصين.

وقد أخبرَنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنهم في كتابه فقالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

أَنفُسِكُمۖ مَّتَـٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: «**اقْتُلُوهُمْ! وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ**».

أَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفَةٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ! لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ)[1].

ويخبرُنا ﷺ عن هؤلاءِ الثلاثةِ الذين دخلوا الغارَ وانحدَرَتْ صخرةٌ من الجبل فَسَدَّت عليهم الغارَ، وأيقنوا الهلاكَ فالتجأوا إلى الله تعالى بالدعاء.

قال ﷺ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَاهُمُ المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ** -وهذا هو الشاهد- **فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي طَلَبِ**

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤٠٦٧)، والبزار(١١٥١)، وأبو يعلى(٧٥٧)، [«الصحيحة» (١٧٢٣)].

الشَّجَر يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منه .

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: اتق الله! ولَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا .

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا.

اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (١٠٠).

**٢- الإخلاصُ في إطعام الطعام:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

يقولُ أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»)(١).

**٣- الإخلاصُ في الصدقة:**

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل].

ومن صفاتِ السبعةِ الذين يُظلُّهمُ اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ**

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

**بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُهُ يَمِينُهُ**»[1].

انظر لشِدَّة الاجتهادِ في إخفاءِ الصدقة، كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[2].

وقال ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ! فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ. قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى غَنِيٍّ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى زَانِيَةٍ؟ وَعَلَى غَنِيٍّ؟ وَعَلَى سَارِقٍ؟ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ؛ أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**»[3].

فبالإخلاصِ قُبِلَتْ صدقتُهُ ونفعَ اللهُ بها ولو أنها كانت في غير مكانها.

### ٤- الإخلاصُ في طلب الشهادة:

هذه الوصيةُ التي معنا، عن أبي أمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٨٥) واللفظ له.

(٢) **حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٣)، وفي «الكبير» (١٩/ ٤٢١/ ١٠١٨)، [«صحيح الترغيب» (٨٨٨)].

(٣) **متفق عليه:** البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) واللفظ له.

أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ؛ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا شَيْءَ لَهُ»** فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا شَيْءَ لَهُ»**. ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»**[1].

وسُئِلَ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قال ﷺ: **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»**[2].

وقَالَ ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»**[3].

### ٥- الإخلاصُ في الدعوة إلى الله ﷻ:

أنْ تكونَ الغايةُ من الدعوةِ مرضاتِ الله، ورجوعَ الناسِ إلى عبادةِ الله وحدَه لا شريكَ له.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت].

وأمرَ الله ﷻ عبادَه بالإخلاصِ، ووصَّى النبيُّ ﷺ أمتَه بالإخلاصِ وحَثهم عليه لما

---

(١) **حسن:** رواه النسائي (٣١٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٠٩).

فيه من سعادةِ الدنيا والآخرة.

فما هي الثمراتُ التي يتحصلُ عليها الإنسانُ بسببِ إخلاصِه لله ﷻ؟

**أولاً: الإيمانُ والعقيدةُ الصحيحة:**

نَادَى رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الْإِخْلَاصُ**»(١).

**ثانياً: النجاةُ من كيدِ الشيطان:**

فيكونُ الإنسانُ في حصنٍ حصينٍ من كيدِ الشيطانِ بإخلاصه لله ﷻ لأنَّه لما أقسمَ إبليسُ عليه لعنة الله، فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]. استثنى منهم عبادَ الله المخلصين، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

**ثالثاً: طهارةُ القلبِ من الحقدِ والخيانة:**

فإذا صلحَ القلبُ صلَحَ الجسدُ كلُّه وإذا فسدَ القلبُ فسدَ الجسدُ كُلُّه كما قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ،**

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشعب» (٦٤٤١)، [«صحيح الترغيب» (٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)

**وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»**(١).

**رابعاً: من ثمراتِ الإخلاصِ النصرُ على الأعداءِ والتمكينُ في الأرض:**

فإذا أخلصَتِ الأمةُ لله ﷻ في أعمالها فقد نَصَرَتِ اللهَ في نفسها، وإذا نَصَرْنا اللهَ في أنفسِنا بالإخلاصِ له سبحانه نَصَرَنا على أعدائنا ومكَّننا في الأرض.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور].

وقال ﷺ: **«إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»**(٢).

**خامساً: الإنقاذ من الوقوع في الفاحشة:**

هذا يوسفُ نبي الله عليه السلام، أتدرون ما الذي أنقذه من الوقوع في فاحشة الزنى؟ إنه الإخلاصُ لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف].

**سادساً: قَبولُ العملِ وتحققُ الأجرِ عليه وإن لم يعمله:**

قال ﷺ: **«مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى**

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٠٥٦)، وأحمد (٤/ ٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٦)].

**أَصْبَح، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ»**[1].

## سابعاً: الثوابُ والأجرُ العظيم:

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

## ثامناً: من ثمرات الإخلاص أن ينالَ المخلصُ شفاعةَ النبيِّ ﷺ يومَ القيامة:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**»)[2].

## تاسعاً: تفريج الكرُبات:

فالإخلاص سببٌ لتنفيس الكَروب، فهاهم الثلاثة الذين حبستهم صخرة ففرج الله همهم، فالأول أَخلص في برِّ والديه، والثاني أخلص لله تعالى في تركه الفاحشة، والثالث أخلص لله تعالى في إعطائه للأجيرِ أجره كاملاً ،فقد كان يقول كل واحد منهم: اللهم إن كنتَ تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون فنجوا بالإخلاص.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤)، [«صحيح الترغيب» (٢١)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٧٠).

ما هي طريقةُ الوصول إلى الإخلاص؟

**١- بمعرفةِ عظمةِ الله تعالى:**

أي بتوحيدِ اللهِ في ربوبيته وألوهيتِه وأَسمائِه وصفاته، فمن عرفَ عظمةَ مَن يعبدُ، امتلأَ قلبُه بتوحيدِ الله، وذلك بأَنْ تكونَ حركتُه وسكونُه في سرِّه وعلانيتِه لله ﷻ، لا يخالطُه شيءٌ؛ لا نفسٌ، ولا هوىً، ولا دنيا.

**٢- بالدعاءِ والتضرعِ إلى الله أن يرزقَنا الإخلاص:**

فعلى العبدِ أن يدعوَ اللهَ ﷻ ليلَ نهارَ أن يرزقَه الإخلاصَ في القول والعمل وأن يصرفَ عنه الرياء.

**٣- بمجاهدةِ النفس:**

وذلك محاولةُ البعدِ بعبادةِ التطوعِ والنوافلِ عن نظرِ المخلوقين لتدريبِ النفسِ والقلبِ على الإخلاص، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

**٤- مصاحبةُ الأَخيارِ من الناس كالعلماء والصالحين:**

فالقلبُ ينتفعُ برؤيةِ الصالحينَ ومجالستِهم، ويستفيدُ من العلماءِ العاملين وحديثهم.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً**»(١).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، وأبو يعلى (٧٣٠٧) واللفظ له.

وقال ﷺ: **«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»**(١).

ولذلك كان لقمانُ الحكيمُ يقولُ لابنه وهو يعظُهُ: (يَا بُنَيَّ، اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِمًا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلًا يُعَلِّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ، فَيُصِيبَكَ بِهَا مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِمًا لَا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلًا زَادُوكَ غَيًّا، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِعَذَابٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ)(٢).

اللهمَّ ارزقنا الإخلاصَ في القولِ والعملِ والسِّرِّ والعلنِ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٣٦)].

(٢) رواه الدارمي (٣٨٩).

٤٣

# وصيتهُ ﷺ لأمته بالاستغفار

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد].

ويقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر].

ويقول سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فُصِّلَت:٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزَّمل].

ففي هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جل وعلا رسولَه ﷺ وعبادَه المؤمنين بالاستغفار، فاستجابَ ﷺ لأمرِ ربِّهِ وقامَ بهذا الأمرِ خيرَ قيام، فكان دائمًا لسانُه مشغولاً بالاستغفار.

حتى قال عنه عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**[1].

ويقولُ ﷺ عن نفسِه: **«وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، [«صحيح الجامع» (٣٤٨٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٧).

ويقول ﷺ: **«مَا أَصْبَحْتُ غَدَاةً قَطُّ إِلَّا اسْتَغْفَرْتُ اللهَ فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ»**(1).

وكان ﷺ إذا قامَ إلى الصلاة استفتحها بالاستغفار ويستغفرُ إذا ركعَ وإذا سجدَ.

تقول عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(2) يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وكان ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»(3).

وكان ﷺ يقولُ قبلَ التسليمِ من صلاتِه: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**(4).

فهذا رسولُنا الذي غفرَ اللهُ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ يُكثر من الاستغفارِ استجابةً لأمرِ ربِّه.

ولذلك وَصَّى رسولُنا ﷺ أصحابَه وأمتَه وأمرهم بالاستغفار، **فمع الوصية الثالثةِ والأربعين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بالاستغفار.**

عن الأَغرِّ بن يَسَار المُزَنيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى**

---

(1) **صحيح** : رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٠٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٧٣٧)، [«صحيح الجامع» (٥٥٣٤)].

(2) **متفق عليه:** رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(3) **صحيح** : رواه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥)، وابن ماجه (٨٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٩٨)، [«مشكاة المصابيح» (٩٠١)].

(4) **صحيح:** رواه مسلم (٧٧١).

**اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**(١).

وعلَّمَ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢).

**والاستغفارُ** هو: طلبُ المغفرةِ من اللهِ تعالى محواً للذنوب وستراً للعيوب.

**والمغفرةُ** هي: الوقاية من شرِّ الذنوبِ بعد تركِها.

فمن غفرَ اللهُ له ورحمه فهو السعيدُ الفائزُ، ومن لم يغفر اللهُ له فهو الشقيُّ الخاسرُ، بل الاستغفارُ وطلبُ المغفرة من صفاتِ الأَنبياءِ:

قال تعالى عن آدمَ وحواءَ: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾**﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن نوح: ﴿**وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾**﴾ [هود].

وقال أيضًا: ﴿**رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ**﴾ [نوح:٢٨].

وهذا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في دعائه: ﴿**رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾**﴾ [إبراهيم].

---

(١) **صحيح:** رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٠٧)، وأحمد (٤/ ٢٦١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٢١)، [«الصحيحة»(١٤٥٢)]

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

وهذا موسى عليه السلام يقول في دعائه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦].

وهذا داودُ عليه السلام يطلبُ المغفرةَ من اللهِ تعالى، فقال تعالى عنه: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص].

وورِثَهُ ولدُه سليمانُ عليه السلام فطلبَ المغفرةَ من الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص].

فلِلاِستغفار أهميةٌ عظيمةٌ فهو من صفاتِ الأَنبياء؛ ولذلك حثَّ الأنبياءُ أقوامَهم على الاستغفارِ.

فهذا هودٌ يأمرُ قومَه بالاستغفار فيقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٥٢].

وهذا صالحٌ يأمرُ قومَه بالاستغفار فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود].

وهذا شعيبٌ عليه السلام يأمر قومَه بالاستغفار فيقول لهم: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

وهذا نوحٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح].

وكذلك عبادُ اللهِ الصالحون يطلبونَ المغفرةَ من اللهِ تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

ولذلك قالَ ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[1].

ووصفَ اللهُ عبادَه الصالحينَ بأنهم يَبيتون له بالليلِ سُجَّداً وقِياماً، فإذا ما جاءَ السحرُ استغفروا اللهَ وهم قد باتوا على طاعةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

لماذا يستغفرون في وقتِ السَّحر؟

لأنهم علموا وأيقنوا بأنَّ اللهَ ﷻ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا في هذا الوقت، يقول ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[2].

فهم بعدَ الطاعةِ يستغفرونَ اللهَ، وكذلك إذا فعلوا معصية يستغفرون الله لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا الله.

والله ﷻ لما أمرهم بالاستغفارِ وعدهم بأن يغفرَ لمن استغفره، وتاب إليه مهما كان ذنبه إلا الشركَ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، والبزار (٣٥٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٣٨)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له.

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

فالله ﷻ بعد أن أمرَ عبادَه بالأعمالِ الصالحةِ أمرهم بالاستغفار فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزَّمل].

وذلك لأن العبدَ لا يمكنُ أن يؤديَ العبادةَ على الوجهِ الذي يرضاه الله تعالى، فجعلَ اللهُ ﷻ للعبدِ مخرَجًا بأن يستغفرَ بعد كلِّ طاعةٍ، فالوُضوء طاعةٌ وعملٌ صالحٌ، فعلَّمَنا رسولُ الله ﷺ أن نقولَ بعده: **«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»**(1).

**«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»**(2).

كما شرع بعد الفراغ من الصلوات الخمس أن نستغفرَ الله، لأن العبدَ عُرضةٌ لأنْ يقعَ منه نقصٌ في صلاته بسببِ غفلةٍ أو سهوٍ.

عن ثوبانَ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: **«اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»**.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٥٥)، [صحيح الجامع (٦١٦٧)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٥٩)، والترمذي (٣٤٣٣)، وأحمد (٤/ ٤٢٥)، [«صحيح الترغيب» (١٥١٧)].

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ -وهو أحدُ رواته-: (كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ)[1].

وشرع لنا بعد الإفاضة من عرفاتٍ ونحن في مناسِك الحجِّ أن نستغفِرَ الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [البقرة:١٩٩].

وشرعَ الاستغفارَ عند ختامِ المجالسِ، حيثُ أمرَ النبيُّ ﷺ عندما يقومُ الإنسانُ من المجلسِ أن يقولَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[2].

وكذلكَ إذا وقعَ العبدُ في المعصيةِ فعليه أن يستغفرَ اللهَ ويتوبَ إليه، فاللهُ هو الذي يغفرُ الذنوبَ جميعًا.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر].

ويقولُ ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسِيِّ: «**يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٩١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٥٩)، والترمذي (٣٤٣٣)، وأحمد (٤/ ٤٢٥)، [«صحيح الترغيب» (١٥١٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

ويقولُ ربُّ العزة في الحديثِ الآخر: «**يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي**»[1].

نداءٌ عليكَ من ربِّ العالمين أيها العاصي بان ترجعَ إلى اللهِ وتستغفرَه حتى يغفرَ لك.

فيا تاركَ الصلاةِ أما آن الأَوانُ أن تستغفرَ وترجعَ إلى اللهِ وتصلي.

ويا آكلَ الربا أما آنَ الأوان أن تسغفرَ وتتركَ الربا؟

ويا أيها الكذابُ أما آن الأوان أن تستغفرَ وتتركَ الكذب؟

ويا أيتها المتبرجةُ أما آن الأوانُ أن تستغفري وترتدي الحجاب؟

فكلُّنا يعصي، وكلنا يذنب، ولكنَّ العاقلَ الذي إذا وقعَ في الذنب رجعَ واستغفرَ وتابَ وأنابَ إلى اللهِ، فمَن استغفرَ غفرَ اللهُ له، ومن تابَ تابَ الله عليه، والتائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له وإياكَ إياكَ أن تستغفرَ ربَّك وأنتَ قائمٌ على الذنبِ، فإنَّ هذه توبةُ الكذابين، فلا بدَّ منَ الإقلاع عن الذنبِ والندمِ على فعله، قال ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ فغَفَرَ له، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخرَ، فَقَالَ: أَذْنَبْتُ ذَنبًا، فَاغْفِرْهُ لي؟ قَالَ: قَالَ رَبُّهُ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ فغفَرَ لَهُ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخر، فَقَالَ أَذْنَبْتُ ذنبًا آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: قَالَ ربُّه: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ**»[2].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٦)]

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

وذلك أن العبدَ إذا فعلَ الذنبَ بدون قصدٍ، أو بجهلٍ ثم استغفرَ الله صادقًا من قلبه فإن اللهَ يغفِرُ له.

أما الذي يقولُ أَستغفرُ الله بلسانِه وهو مقيمٌ على المعاصي بأَفعالِه فهو كذابٌ لا ينفعُه الاستغفارُ.

قال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ رَحِمَهُ اللهُ: (استغفارٌ بلا إقلاعٍ توبةُ الكذابين)[1].

وقال آخرُ: (استغفارُنا يحتاجُ إلى استغفار!)[2]

يعني أنَّ مَنِ استغفرَ وهو قائمٌ على المعصيةِ فاستغفارُه ذنبٌ يحتاجُ إلى استغفارٍ.

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أمرَ رسولَه ﷺ وعبادَه المؤمنين بالاستغفار، والنبيُّ ﷺ وَصَّى أمتَه بالاستغفار لما فيه من الفضلِ العظيم الذي يعودُ على الإنسانِ في الدنيا والآخرة.

فما هي ثمراتُ الاستغفار وفوائدُه على الإنسان؟

## أولاً: سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ وتكفيرِ السيئات:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء].

وكما قال تعالى في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ**»[3].

---

(١) «الأذكار» للنووي (٤٠٤).

(٢) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (١٠٨).

(٣) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٦)].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾** [آل عمران]»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (ثلاثًا) غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»[3].

### ثانياً: سببٌ لدفعِ العذابِ ودفعِ العقوبةِ:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

فبالاستغفار والرجوعِ إلى اللهِ، يرفعُ اللهَ عنا الذلَّ والعذابَ وننتصرُ على أعدائنا.

### ثالثاً: سببٌ لنزولِ الغيثِ والإمداد بالأموالِ والبنين والصحةِ والقوة:

قال تعالى عن نبيِّه نوحٍ عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٢١)، وأحمد (١/ ١٠)، [«صحيح الترغيب» (١٦٢١)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، [«صحيح الترغيب» (١٦٢٢)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، وأبو يعلى (١٣٩٩)، والحاكم (٧٦٧٢)، [«الصحيحة» (١٠٤)].

وقال تعالى عن نبيه هودٍ أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ [هود].

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنّ رجلاً شكا إليه الجدبَ فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخرُ الفقرَ وقلّةَ النسل، وآخرُ قلةَ رَيْعِ أرضِه، فأمرهم كلَّهم بالاستغفار.

فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبوابًا فأمرتهم كلَّهم بالاستغفار، فتلا الآيات السابقة)[1].

## رابعاً: الاستغفار سببٌ للرحمةِ من الله تعالى:

قال تعالى عن نبيِّه صالحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾ [النمل].

## خامساً: الاستغفارُ طريقٌ إلى الجنة:

الاستغفارُ طريقٌ موصلٌ إلى الجنةِ، فأَهلُ الجنةِ وهم في الدنيا كانوا يكثرونَ من الاستغفارِ، وكانوا إذا اقترفوا ذنبًا استغفروا الله، وإذا فعلوا طاعةً استغفَروا اللهَ.

يقول ﷺ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا**

(١) النسفي في «تفسيره» (٣/ ٥٤٣).

مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[1].

ربِّ اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يومَ يقومُ الحساب.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٦).

٤٤

# وصيتهُ ﷺ لأمتهِ «إياكم والظُّلمَ»

**عبادَ الله!** يقولُ الله ﷻ في كتابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

في هذه الآيات يحذّرُ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ من الظلم، ويبينُ لهم كيف كان عاقبةُ الظالمين ومآلُهم في الدنيا والآخرةَ، فكم تسمعون وتشاهدون بأعينكم ما حلَّ بهم من العقوباتِ العاجلةِ التي أهلكتهم، ودمَّرتْ ديارَهم، ومَحَتْ آثارَهم.

فمعَ **الوصيةِ الرابعةِ والأربعين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: «إياكُم والظُّلم»**.

قال ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَ**

**أَمَرَهُمْ بالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَ أَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»**[1].

وقال ﷺ: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»**[2].

وحديثُنا عن الظلمِ سيكونُ حولَ الإجابةِ على الأَسئلةِ التاليةِ: ما هو الظلمُ؟ وما هي أنواعُه؟ وما هي عاقبةُ الظلمِ والظالمين؟ وكيف ننصرُ الظالمَ؟

**الظلمُ:** هو وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه.

فيلين في موضعِ الشدَّةِ، ويَشتدُّ في موضعِ اللين، ويغضبُ في موضعِ الرضا، ويرضى في موضعِ الغضبِ.

وقيل: أصلُ الظلمِ: الجَوْرُ ومجاوزةُ الحدِّ.

أنواعُ الظلم ثلاثةٌ:

**الأولُ: ظلمٌ بينَ الإنسانِ وبينَ الله تعالى، وأعظمُه الكفرُ والشركُ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]، وهذا النوع لا يغفرهُ الله تعالى إلا بالتوبة منه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح:** رواه الحاكم (٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٤)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٨).

ولكن إذا تابَ الظالمُ تابَ اللهُ عليه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال].

وكذلكَ الشركُ باللهِ ظلمٌ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان].

فإذا ماتَ الإنسانُ مشركـًا لا يغفرُ اللهُ له أبداً.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة].

فهذا النوعُ من الظلمِ وهو ظلمُ الإنسانِ نفسَه بالكفرِ والشركِ لا يغفرُهُ اللهُ أبداً، بل يُخَلَّدُ صاحبُه في النارِ ولا يخرجُ منها أبداً.

## النوع الثاني: ظلمُ الإنسانِ نفسَه:

وذلك باتباعِ الشهواتِ، وتركِ الواجباتِ، واقترافِ المعاصي دونَ الشركِ والكفرِ، ولكن من مات على التوحيد فأمرُهُ إلى الله إن شاءَ عفا عنه بفضلِه، وإن شاءَ عذبه بعدلِه بِقَدْرِ مظلمَتَه ثم يُخرجُه برحمتِه إلى جنته.

كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر:٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل].

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص:١٦].

وقال تعالى عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى عن آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف].

ومع ذلك من تاب من ظلمه تابَ اللهُ عليه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء].

**النوعُ الثالثُ: وهو ظلمُ الإنسانِ للناسِ:**

وذلك بالتَّعَدي على دمائِهم وأعراضِهم وأموالِهم.

وهذا النوعُ لا يغفرُه اللهُ تعالى إلا إذا سمحَ المظلومُ للظالم، وإن لم يسمحُ فإنه يُمَكَّنُ من الاقتصاص منه في الدنيا والآخرة وهناكَ يومَ القيامة تُرَدُّ المظالمُ إلى أصحابِها.

قال ﷺ: **«لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»**[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ، مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ منه يومَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عمل، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

فيا عبدَ الله! إذا كان عندك مظلمةٌ لأخيكَ فتحلَّلْ منها اليومَ قَبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إنما هي الحسناتُ والسيئاتُ، يأخذُ المظلومُ من حسناتِ الظالمِ حتى يرضى، فإنْ لم يبقَ معه حسناتٌ أُخِذَ من سِيئاتِ المظلومِ فوُضعت عليك أيها الظالم، فَخِبْتَ وخسرت.

كما قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه].

ولذلك هذا النوعُ من الظلمِ حَرَّمه اللهُ علينا.

فقال تعالى: في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٥٠٦)، وابن حبان (٧٣٦١)، [«صحيح الجامع» (٦٥١١)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

وما هي عاقبةُ الظلمِ والظالمين؟

**أولاً: الظلمُ سببٌ لِلَّعنة:**

لقد توعَّدَ اللهُ الظالمينَ باللعنةِ، وهي الطردُ من رحمةِ اللهِ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر].

فالظالمُ ملعونٌ لأنه يُفسدُ في الأرضِ بظلمِه.

**ثانياً: الظلمُ سببٌ للهلاكِ والدَّمار:**

قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص].

فانظر كيفَ أهلَكَ اللهُ ﷻ كثيراً من الأممِ والشعوب والقرى لأنّهم ظلموا، فمنهم من ظلموا أنفسَهم بالكفرِ والشركِ، ومنهم من ظلموا أنفسَهم بالمعاصي، فكانَ اللهُ لهم بالمرصاد.

كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر].

فلا يَغترَّ الإنسانُ بنفسِه بأنه إذا ظلم ازدادَ قوةً وجاهـًا وسلطانـًا؛ لا، بل ليَعلَمْ ان هذا استدراجٌ منَ اللهِ تعالى له.

كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]»(١).

## ثالثاً: اللهُ ﷻ يبغضُ الظالمينَ ولا يحبُّهم ولا يهديهم:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

## رابعاً: عاقبةُ الظلمِ والظالمينَ عذابُ الهونِ عندَ الموت:

فإذا نامَ الظالمُ في فراشِ الموتِ نزلت عليه الملائكةُ تُبَشِّرُهُ بالعذابِ الأليم، وتضربُه على وجهه ودُبُرِه، فإذا علمَ الظالمُ الذي ظلمَ الناسَ بقوتِه وعشيرتِه، ومالِه أنَّ هذا مآلُه انتهى عن الظلم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٨٦).

**خامساً: أما يومُ القيامةِ فعاقبةُ الظالمين أنهم يندمون في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ:**

في هذا اليوم يَعَضُّ الظالمُ على يديه من شدةِ الحسرةِ والندامةِ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].

وعند وضعِ الميزانِ لا يُظلمُ أحدٌ، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

**سادساً: عاقبةُ الظلمِ والظالمين النارُ والعذابُ الأليم:**

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّخرُف].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

كيف ننصرُ الظالمَ؟

قال ﷺ: **«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»** فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **«تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»**(١).

فالواجبُ علينا أن ننصرَ الظالم بأن نمنعَه ونحجزَه عن الظلمِ، وإذا مَنَعْنا الظالمَ عن ظلمه نَصَرْنا المظلومَ.

وكيف نمنعُه من الظلم؟

**١- نُذكِّرُه بأن اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ:**

فيا أيها الظالم! إذا دعتك قدرتُك وقوتُك إلى ظلمِ الناسِ فتذكَّرْ قدرةَ اللهِ عليكَ، فاللهُ ﷻ ينتقمُ من الظالمِ.

ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّك بعادٍ الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥].

فأهلكَهم اللهُ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ، وهكذا يفعلُ اللهُ بالظالمين يذيقُهمُ العذابَ الأليمَ.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان].

**٢- نُذكِّرُهُ بأن الظلمَ حرامٌ، حَرَّمه اللهُ ورسولُه ﷺ:**

قال ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسيِّ: **«يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»**(٢).

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٧).

وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ! فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

**٣- نُذَكِّرُهُ بأن المظلومَ يدعو عليه، وأن اللهَ ﷻ يستجيبُ له:**

قال ﷺ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**»[2].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا دَعوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارة**»[3].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[4].

ابنَ آدمَ!

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقتدراً    فالظُّلمُ يرجعُ عقباهُ إلى الندمِ

تنامُ عيناكَ والمظلومُ مُنتبهٌ    يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنَمِ[5]

فيستجيبُ له اللهُ الذي لا يغفلُ ولا ينامُ، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ١٠٥)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٥٠)، والحاكم (٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٤)].

(٢) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، والطيالسي (٢٤٥٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٢٩)].

(٣) **صحيح:** رواه الحاكم (٨١)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٢٨)].

(٤) **حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٤/ ٣٧١٨)، وفي «الدعاء» (١٣١٧)،[«صحيح الترغيب» (٢٢٣٠)].

(٥) «التبصرة» لابن الجوزي (٩٢).

**٤- نُخَوِّفه بدقَّةِ الحسابِ عندَ الوقوفِ بينَ يدي الله يومَ القيامة:**

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحِجر].

وقال ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيه، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[1].

فالذي ظلمَ الناسَ بمالـه، الـذي ظلـمَ النـاسَ بجاهِـهِ وسـلطانِه، الـذي ظلـمَ النـاسَ بقوته، والاعتداءِ عليهم بالضرب، سوفَ يُسأَلُ يومَ القيامة ولن ينفعَهُ أحدٌ.

كما قال تعـالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر].

وقال ﷺ: «**مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ سَوْطاً ظلماً اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

وقال ﷺ: «**يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**» قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ ومَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ! لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ**»، قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عُرَاةً بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»[3].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤١٧)، و«صحيح الجامع» (١٢٦).

(٢) **حسن صحيح:** رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٦٠٧)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٣١)، وابن ابي شيبة (٨٥١)، والحاكم (٣٦٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٦٠٨)].

كيف لا؟

والله ﷻ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧].

«**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ! فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

واستعِدَّ يا عبدَ الله لملاقاةِ ربِّك الذي لا يخفى عليه خافيةٌ في الأَرضِ ولا في السماءِ، واعلم أن كتابكَ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فاحذَرْ من الظلمِ، ورُدَّ المظالمَ إلى أهلها قبل أن تندمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

ثم قالَ ﷺ في وصيته: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**» الفحشُ والتفحشُ هو: كلُّ ما يشتدُّ قُبْحُهُ من الذنوبِ والمعاصي، وهو: كلُّ خصلةٍ قبيحةٍ من الأقوالِ والأفعالِ.

ولذلك نهى النبيُّ ﷺ عن الفحشِ والتفحشِ وحَذَّرَ منه.

**١- لأنه حرام حرَّمه الله في كتابه:**

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

**٢- لأن الله ﷻ لا يحبُّ الفحشَ والتفحشَ:**

قال ﷺ: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ،**

**وَلَا التَّفَحُّشَ**»[1].

**٣- لأن النبي ﷺ نفى الإيمانَ عن صاحبِ الفحشِ والتفحش:**

قال ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»[2]، والبذيء: الذي يتكلم الكلامَ الفاحشَ.

**٤- لأن الفحشَ ما كان في شيءٍ إلا شانَه:**

قال ﷺ: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ**»[3].

وعن عائشةَ رضي الله عنها أن يهودَ أتَوا النبيَّ ﷺ فقالوا: (السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»)[4].

**٥- لأنه من عملِ الشيطانِ:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢/ ١٥٩)، والطيالسي (٢٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٥٠)، وابن حبان (٥١٧٦)، [«الصحيحة»،(٨٥٨)].

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢)، [«صحيح الجامع» (٥٣٨١)].

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠١)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٣٥)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٣٠) ، ومسلم (٢١٦٥) واللفظ للبخاري.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور:٢١].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة].

قال العلماءُ كلُّ فحشاءَ ذُكِرَتْ في القرآنِ فالمرادُ بها الزنا والكلامُ البذيءُ إلا قولَه تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ فالمراد بها البخل.

ولذلكَ قالَ ﷺ: في الوصيةِ التي معنا بعد أن ذكرَ الفحشَ والتفحشَ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**»(١).

فالشح هو أعلى درجاتِ البخلِ، وهو مرضٌ خطيرٌ أصابَ كثيراً من الناس فحملهم على أن سفكوا دماءَهم، واسْتَحَلُّوا محارِمَهم.

وذلك نهى النبي ﷺ عن الشح وحذَّر منه:

### ١- لأنه سببٌ لزوالِ النعم:

فإذا بخلَ الإنسانُ وابتُلِي بمرضِ الشحِّ والبخلِ فحرمَ الفقراءَ والمساكين عاقبة الله بأن حرمه هذا المال.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والطيالسي (٢٣٨٦)، والحاكم (١٥١٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٤)].

فها هم أصحابِ الجنة علموا بأن للفقراءِ والمساكينِ حَقًّا في بستانهم فاجتمعوا ذاتَ ليلةٍ وقرروا وعزموا أن يحرموهم فعاقبهم اللهُ ﷻ وحَرَمهم جنتَهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم].

كيف لا؟ والملائكةُ كلَّ صباحٍ تدعو على من حَرَمَ الفقراءَ والمساكين من مالِهِ بالتلفِ، قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[1].

**٢- لأن الشُّحَّ شرٌّ على صاحبِه في الدنيا والآخرة:**

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «**شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ**»[2].

**٣- لأنَّ الشحَّ مرضٌ يجرُّ صاحبه إلى النفاقِ:**

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢)، وابن حبان (٣٢٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٥)].

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة].

**٤- لأن الشُّحَّ سببٌ للهلاكِ والدمارِ وقطيعةِ الرحم:**

قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(١).

وقال ﷺ في الوصيةِ التي معنا: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**»(٢).

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ كَفَّارَاتٌ وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ... وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»(٣).

**٥- لأن الشحَّ سببٌ لحياةِ الضَّنْك:**

لأن البخيل لا همَّ له إلا جمعُ المالِ، ويبخلُ على نفسِه وأولادِه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل].

**٦- لأن الشحَّ سببٌ لعذابِ صاحبِه في النار:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٨)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣٤١) واللفظ له.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والطيالسي (٢٣٨٦)، والحاكم (١٥١٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٤)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه البزار (٦٤٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٨)، [«صحيح الترغيب» (٤٥٣)].

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة].

**٧- لأن الشحَّ والإيمانَ لا يجتمعان في قلبِ المؤمن:**

قال ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا**»(١).

من أجل ذلك كان النبيُّ ﷺ يستعيذ من هذا المرض، يقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ**»(٢).

ولذلك عَلَّق ربنا جل وعلا فلاحَ الدنيا والآخرة على وقايةِ النفسِ من مرض الشح، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن].

نسأل الله العظيم أن يُنَجِّينا من الظلم، وَيُطَهِّرَنا من الشح والبخل.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣١١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨١)، والطيالسي (٢٥٨٣)، (صحيح الجامع (٧٦١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٧٤).

٤٥

# وصيتُهُ ﷺ لأمته بمجاهدةِ أنفسِهم

**عبادَ الله!** يقولُ اللهُ ﷻ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت].

ويقول سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨].

في هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا جَلَّ وعلا عبادَه بمجاهدةِ أنفسِهم، ووعدهم عليها بالمَثوبَةِ الحُسنى، وقد أمرهم أن يجاهدوا فيه حقَّ جهاده، كما أمرهم أن يَتَّقوهُ حقَّ تقاتِه.

والجهادُ أربعُ مراتب: أوَّلُها جهادُ النفس، وثانيها: جهادُ الشيطان. وثالثها: جهادُ الكفار، ورابعُها: جهادُ المنافقين.

والأصلُ والأَساسُ الذي نتكلم عنه هو جهاد النفس.

فمع **الوصيةِ الخامسةِ والأربعين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمتِه بمجاهدةِ أنفسِهم.**

يقول ﷺ: «**وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٤١)، والحاكم (٢٤)، [ «الصحيحة» (٥٤٩)].

فبيَّنَ لنا النبيُّ ﷺ في هذهِ الوصيةِ بأنَّ العبدَ إذا لم يجاهدْ نفسَهُ أولاً لتفعلَ ما أُمِرَت به، وتتركَ ما نُهيتْ عنه، لم يُمْكنْه جهادُ العدوِّ الخارجيِّ وهو الشيطانُ، فجهادُ النفسِ هو الأصلُ وهو المقدَّمُ.

ولذلك يقولُ الإمامُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: (جهادُ النفس أربع مراتب:

**إحداها:** أَنْ يُجاهِدَها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين.

**الثانية:** أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعْها.

**الثالثة:** أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمهُ، وإلا كان مِن الذين يكتُمون ما أنزل الله مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه مِن عذاب الله.

**الرابعة:** أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربَّانِيينَ، فإن السلفَ مُجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يَستحِقُّ أن يُسمى ربَّانياً حتى يعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، فمَن علم وَعَمِلَ وعَلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيماً في ملكوتِ السموات.

وجهادُ الشيطان على مرتبتين:

**إحداهما:** جهادُه على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشُّبُهاتِ والشكوكِ القادحةِ في الإيمان.

**والثانية:** جهادُهُ على دفع ما يُلقي من الإرادات الفاسدةِ والشهوات، فبالجهادِ الأولِ يكونُ اليقين، وبالثاني يكون الصبر.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة].

فأخبر أن إمامةَ الدين، إنما تُنالُ بالصبرِ واليقين، فالصبرُ يدفعُ الشهواتِ والإراداتِ الفاسدةِ، واليقينُ يدفعُ الشكوكَ والشبهاتِ)[1] .

فقبل أن نتكلمَ عن مجاهدةِ النفس لابدَّ أن نعرفَ: ما هي النفسُ؟ وما هي أنواع النفس؟

**النفس** قيل: هي الروح.

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٣]. أي: أرواحكم.

وقيلَ **النفسُ**: هو شيءٌ داخليٌ في كيانِ الإنسانِ، لا تُدرَكُ ماهِيَّتُه، قابلٌ للتوجيه إلى الخير أو الشر، وجامعٌ لكثيرٍ من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آثارٌ ظاهرةٌ في السلوك الإنسانيِّ[2].

فهذهِ النفسُ لها صفاتٌ وخصائصُ كثيرةٌ، فهي تُحِبُّ وتكرهُ، وتسوِّلُ وتُوسوسُ، وتنوي وتعزم، فهي قابلة للتوجه إلى الخير أو الشر.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ [ق].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٠).

(٢) «الأخلاق الإسلامية» للشيخ عبد الرحمن حبنكة (١/ ٢١٥).

**أنواع النفس:**

**١- النفسُ الأمَّارةُ بالسوءِ:**

هي التي تميلُ عن طبيعةِ الفطرةِ التي فَطَرها اللهُ عليها، وتأمرُ باللذاتِ والشهواتِ وارتكابِ المحرماتِ، فهي مأوى الشرور، ومنبعُ الأخلاقِ الذميمة.

وهذه هي النفسُ التي يجبُ مجاهدتُها.

قال تعالى عنها: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف].

فهذه النفسُ تأْمرُ صاحبَها بكلِّ سوءٍ؛ تُزينه له، وتحُثُّه عليه.

ولذلك استعاذَ النبيُّ ﷺ من شرور النفس.

قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»**[1].

كان يقولها في الصباح والمساءِ، وإذا أوى إلى فراشه.

وكما عَلَّمَنا في خطبة الحاجة فقالَ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا**»[2].

---

(١) **حسن صحيح:** رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢)، وأحمد (١/ ١٤)، [«تخريج الكلم الطيب» (٢٢)].

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، والنسائي (٣٢٧٧)، وأحمد (١/ ٤٣٢)، [للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ رسالة مستقلة في تصحيح هذا الحديث].

ويُبينُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ خطرَ النفسِ الأمَّارةِ، واستغلالِ الشيطان لها فيقول: (أما النفسُ الأمَّارَةُ: فالشيطانُ قرينُها وصاحبُها، فهو يَعِدُها ويُمَنِّيها، ويقذفُ فيها الباطلَ ويأمرُها بالسوءِ ويُزينُه لها .. في صورةِ تقْبَلُها وتستحسِنُها، ويُمدُّها بأنواع الإمدادِ والباطلِ منَ الأمانيِّ الكاذبةِ، والشهواتِ المهلكةِ، ويستعينُ عليها بهواها وإرادتِها، فمنه يُدخِلُ عليها كُلَّ مكروه)[1].

**٢- النفسُ اللوَّامةُ:**

هي التي تلومُ صاحبَها على تقصيرهِ في طاعةِ اللهِ، وتلومُه على فعلِ المعصية، وتدعوه للتوبة منها.

قال تعالى عنها: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة].

قال الحسن البصري: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ، يَقُولُ مَا أَرَدْتُ بِأَكْلِي، مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي، مَا أَرَدْتُ بِحَدِيثِي نَفْسِي، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا يُعَاتِبُهَا)[2].

وقال: (هي نفسُ المؤمنِ تُوقِعه في الذنبِ، ثُمّ تلومُ عليه، فهذا اللّومُ من الإيمان بخلافِ الشّقي، فإنّه لا يلومُ نفسَه على ذنبٍ، بل يلومها وتلومه على فواتِه)[3].

وقال مجاهدٌ: (هِيَ الَّتِي تَلُومُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَنْدَمُ، فَتَلُومُ نَفْسَهَا عَلَى الشَّرِّ لِمَ فَعَلَتْهُ، وَعَلَى الْخَيْرِ لِمَ لَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهُ)[4].

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٧).

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٢٨١)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٤).

(٣) «البحور الزاخرة»، للسفاريني (١/ ١٢١).

(٤) القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٩٣).

**٣- النفسُ المطمئنةُ:**

هي أعلى درجاتِ النفس، فهي نفسٌ اطمأنت بإقامتها على طاعة اللهِ، ومحبتِه وذكرِه، فسَلَّمت بوعدِه، ورضِيَتْ بقضائه، وتوكلتْ عليه، وذاقتْ حلاوةَ الإيمان، فلم تَعُدْ ترضى به بديلاً، واستشعرت لذةَ المناجاةِ بين يدَي الله سبحانه، فلم تعُدْ تشْغَلُها عن طاعةِ ربِّها مغريات الحياة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

قال ابن عباس: (والمطمئنَّةُ: المصدِّقةَ)[١].

وقال مجاهد عن النفس الراضية : (الرَّاضِيَةُ بِقَضَاءِ اللهِ الَّتِي عَلِمَتْ أَنَّ مَا أَصَابَهَا لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهَا وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهَا)[٢].

وقال ابن زيد: (المطمئنةُ مُطْمَئِنَّةٌ لِأَنَّهَا بُشِّرَتْ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ، وَيَوْمَ الْجَمْعِ)[٣].

فالعاقل هو الذي يعملُ بالليلِ والنهارِ في مجاهدةِ نفسه، ليرتقيَ بها من النفس الأمَّارةِ بالسوءِ إلى النفسِ المطمئنة.

وتكلمنا عن الأَنفسِ الثلاثة وقلنا أن النفسَ المطمئنةَ لا يَصْدُرُ عنها إلا الأخلاقُ الحميدةُ، فيكونُ اليقينُ والطمأنينةُ والخشوعُ.

(١) الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣).

(٢) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٥١٥).

(٣) القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨).

وأما النفسُ اللوامةُ فإنها مَبْعَثُ التوبةِ والاستغفار والإنابة.

وأما النفسُ الأمارةُ فهي منبعُ الشرورِ، وأساسُ الأخلاقِ الذميمة، وهي النفسُ التي يجبُ علينا مجاهدتُها.

فكيف نجاهدُ هذه النفسَ -وهي الأَمَّارَةُ بالسوءِ-؟

**أولاً: يكونُ جهادُها بمحاسبتِها ومخالفتِها:**

فالكيِّسُ من دانَ نفسَه -أي: حاسبها- وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أَتبَعَ نفسَه هواها، وتَمَنَّى على اللهِ الأماني.

يقول انسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: (سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، بَخٍ بَخٍ، وَاللهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللهَ أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ)[1].

ولذلك كان عمرُ رضي الله عنه يوصي فيقول: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة])[2].

وقال ميمونُ بنُ مهران: (لَا يَكُونُ العَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ)[3].

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (١٨٠٠).

(٢) رواه ابن أبي «شيبة» (٣٥٦٠٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٩).

وقال الحسن: (وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الأَمْرَ عن غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ)(1).

ويقول أبو حامد الغزالي: (وإنّما يهتمُّ بمحاسبةِ نفسِه مَنْ أيقنَ بمحاسبة ربِّه له، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

فعلى العاقلِ المؤمنِ باللهِ واليومِ الآخر أن لا يغفلَ عن محاسبة نفسِه في حركاتها وخُطواتها وخطَراتها، فمنْ حاسبَ نفسَه قبل أن يُحاسَبَ خفَّ في القيامة حسابُه، وحضر عند السؤال جوابُه، وحَسُنَ مُنْقَلَبُه ومآبُه، ومن لم يحاسبْ نفسَه دامتْ حسراتُه، وطالت في عرصاتِ القيامةِ وقفاتُه، وقادتْهُ إلى الخزيِ والمَقتِ سيئاتُه، ويظهر التغابنُ بين مَن حاسبَ نفسَه اليومَ، ومَن أَهملها في يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران].

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٦٣٥٧).

**ثانياً: أن يجاهدَها على طاعة الله تعالى واتباعِ أوامرِه، واجتنابِ معصيتِه ونواهيه:**

فالنفسُ تدعو إلى الطغيانِ وإيثارِ الحياةِ الدنيا، واللهُ يأْمرُ عبدَه بالخوفِ منه ونهيِ النفسِ عن الهوى.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ [النازعات].

والإنسانُ إما أنْ يجيبَ داعيَ الربِّ فينجو، وإما أن يجيبَ داعيَ النفس فيهلِكَ.

الله ﷻ يدعو إلى الإنفاق في سبيله، والنفسُ تأمرُ بالبخلِ والشُّحِّ، فيقول ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾ [التغابن].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد:٣٨].

والمفلحُ هو الذي يجاهدُ نفسَهُ ويزكيها من الشُّحِّ ومن المعاصي.

فَعَلَّق ربُّ العزةِ الفلاحَ على من زَكَّى نفسَه، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)﴾ [الشمس].

فالعاقلُ هو الذي يعملُ بالليلِ والنهار لمجاهدةِ نفسِه وتزكيتها؛ وذلك بالإكثار من الطاعاتِ والأَعمالِ الصالحةِ والدعاء، والبعدِ عن المعاصي.

قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [فُصِّلَت].

وقال تعالى: ﴿وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت:٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء:١١١].

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»(١).

وهذا رسولُنا ﷺ يضربُ لنا مثلاً أعلى في مجاهدةِ النفسِ على طاعة الله، عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»)(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ)(٣).

وكان ﷺ يُطيلُ صلاةَ الليلِ حتى يعجَزَ مَن وراءَه عن الاقتداء به: عن حذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ)[1].

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قَالَ: قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ)[2].

وها همُ الصحابةُ رضوان الله عليهم يضربوا لنا مثلاً أعلى في مجاهدة النفس:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: (لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩])[3].

وعن أبي ربيعةَ بنِ كعبِ الأسلميِّ قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «**سَلْنِي**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فقَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[4].

وهذا لقمانُ يوصي ابنَه فيقولُ: (يَا بُنَيَّ إِنَّ الإِيمَانَ قَائِدٌ وَالْعَمَلَ سَائِقٌ وَالنَّفْسَ حَرُونٌ فَإِنْ فَتَرَ سَائِقُهَا ضَلَّتْ عَنِ الطَّرِيقِ وَإِنْ فَتَرَ قَائِدُهَا حَرَنَتْ فَإِذَا اجْتَمَعَا اسْتَقَامَتْ)[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٩).

(٥) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (٤٢).

وكما أن الطاعة ثقيلةٌ وشاقَّةٌ على النفس، فكذلك تركُ المعاصي ثقيلٌ وشاقٌّ على النفس، فمَن أراد النجاةَ فعليه أن يجاهدَ نفسَه على ترك المحرماتِ كما يجاهدُها على فعلِ الطاعات.

ومن المحرمات: الغيبةُ، التبرجُ، الاختلاطُ، أكلُ الربا، التدخينُ، الحَلفُ بغيرِ اللهِ، الغناءُ والمعازفُ وغيرُ ذلك من المحرمات.

**ثالثاً: أن يُجاهدَها على الاستقامةِ على الطاعاتِ حتى يَقيهَا من عذاب النار:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

فعلى الإنسانِ أن يجاهدَ نفسَهُ ويُلْزِمَها بالاستقامةِ على الإيمان والأعمالِ الصالحةِ حتى الموت، فإذا لم يُجاهدْ نفسَه على الاستقامة على طاعةِ اللهِ وعلى الإيمان بالله فسيندم في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ، وذلك هو الخسرانُ المبينُ، ويتحسرُ في وقتٍ لا تنفعُ فيه حسرة.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزُّمَر].

فإذا جاهدَ الإنسانُ نفسَه بمحاسبتها، وجاهدَها على فعلِ الطاعاتِ وتَرْكِ

المحرمات، وجاهدَها على الاستقامةِ على الطاعات وعده الله ﷻ على ذلك بالأَجرِ العظيم، والمثوبةِ الحسنى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

اللهمَّ آت نفوسَنا تقواها وزَكِّها أنت خيرُ من زكاها أنت وليها ومولاها.

٤٦

# وصيتُهُ ﷺ لأمتهِ بطلبِ العلم

**عبـــادَ الله!** يقـــول الله ﷻ في كتابـــه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد].

ويقـــول ســـبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة].

أمرَ الله ﷻ رسوله ﷺ وعباده المؤمنين في هذه الآيات بالحثِّ على طلب العلم والحرص عليه بل والسّفر من أجله، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ أي: تعلَّم وافهَمْ معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: اعلم أنه لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، فكم من المسلمين يصلي ويذبح لغير الله، وكم من المسلمين يصلي ويدعو غيرَ الله ولذلك بَوَّبَ الإمامُ البخاريُّ في صحيحه: باب (العلم قبلَ القولِ والعملِ) أي: عليك قبل أن تتكلمَ، وقبل أن تعملَ أن تتعلمَ انطلاقـًا من هذه الآيات.

ولذلك امْتَنَّ اللهُ ﷻ على رسوله بنعمة العلم؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء].

بل أمره أن لا يسألَه المزيدَ من أي شيء إلا من العلم.

فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه].

قال القرطبي: (فلو كان شيءٌ أشرفَ من العلمِ لأمرَ اللهُ تعالى نبيَّه أن يسألَه المزيدَ منه كما أمَرَهُ أن يستزيده من العلم)(١).

وقال ابنُ القيم: (وكفى بهذا شرفاً للعلمِ أنْ أمرَ نبيَّه أن يسألَه المزيد منه)(٢).

وكما امْتَنَّ الله ﷻ على رسولِه ﷺ بالعلم، امتن على عباده المؤمنين بما عَلَّمَهمُ النبيّ ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وأمرهم بشكر هذه النعمة، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

لذلك كان النبيُّ ﷺ يقول في دعائه بعد صلاة الفجر: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»(٣).

ويقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا**»(٤).

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ٤١).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٠).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤٥)، [«صحيح سنن ابن ماجه»].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٢٥١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٦٦)، [«صحيح سنن ابن ماجه»].

فمع الوصيةِ السادسة والأربعين لرسول الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمته بطلب العلم.

يقول ﷺ: «**فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ**»[1].

ويقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2].

ويقول ﷺ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[3].

فرغَّبَ رسولُ الله ﷺ في هذه الوصايا أمَّتَه بالانشغالِ بطلبِ العلمِ تَعَلُّمـًا وتعليمـًا؛ لما له من الفضلِ العظيمِ، وسُمُوِّ منزلةِ أهله في الدنيا والآخرة.

وبيَّن لنا ربُّنا جلّ وعلا في كتابه والنبيُّ ﷺ في سنته فضلَ العلمِ وبيانَ شرفِه، وعلوَّ منزلةِ أهلِه؛ ومنها:

**أولاً: أن اللهَ ﷻ استشهدَ أهلَ العلم على أفضلِ شهادةٍ وهي شهادةُ التوحيد:**

وقرنهـا بـشهادتِه وشـهادةِ الملائكـة، قـال تعـالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران].

فهذا دليلٌ على فضلِ العلمِ وشرفِ العلماءِ، ولذلك قرنهم الله باسمه واسم ملائكته.

(١) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٩٦٠)، والحاكم (٣١٧)، [«صحيح الترغيب» (٦٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) **صحيح** : رواه ابن ماجه (٢٢٤)، والبزار (٦٧٤٦)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٩)، [«صحيح الترغيب» (٧٢)].

**ثانياً: نفى اللهُ ﷻ التسويةَ بينَ أهلِ العلمِ وغيرِهم من الناس:**

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد:١٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ -أي: بالجهل- ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ -أي: بالعلم- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾ [الأنعام].

فالعالِمُ بدينه بصيرٌ، والجاهلُ بدينه أعمى! العالمُ بدينه حيٌّ، والجاهلُ بدينِه ميتٌ! العالمُ بدينه يمشي بنور العلم، والجاهلُ يتخبطُ في ظُلماتِ الجهل.

وبَيَّنَ النبيُّ ﷺ الفرقَ بينهما فقال: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»[1].

وفي رواية: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»[2].

وبالمثال يتضحُ البيان:

يقولُ ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ،**

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٣/ ٧٩١١)، [«صحيح الترغيب» (٨١)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، [«صحيح الجامع» (٦٢٩٧)].

**فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ...»**[1].

فالعابدُ الجاهلُ كان سبباً في قتل نفسه لجهلِه، أما العالِم فقد فتح أمام الرجل التوبة، ونصحَه بالخروج إلى البلدة الطيبةَ فكان الجزاء بأن أحيا نفسَه، وأحيا هذا الرجلَ بأَنْ دَلَّه على طريق الجنة.

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لَمَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ قَائِمِ اللَّيْلَ صَائِمِ النَّهَارَ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ الْعَالِمِ الْبَصِيرِ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ)[2].

وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كفى بالعلم شرفاً أن يَدَّعِيَه من يُحسِنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذَمًّا ان يتبرأ منه مَن هو فيه)[3].

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **«قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ! أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ»**)[4].

فالعلماءُ في الأرضِ كالنجومِ في السماءِ.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٢٧).

(٣) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص١٠).

(٤) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٣٦)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٢)].

فالنجومُ في السماء زينةٌ للسماء، والعلماءُ في الأرض زينةٌ للأَرض.

النجومُ في السماءِ يُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، والعلماء في الأرض يُهتدى بهم في ظلماتِ الجهل والفتن.

النجومُ في السماء جعلها اللهُ رجومـًا للشياطين، والعلماءُ في الأَرضِ جعلهم الله رجومـًا لشياطينِ الإنسِ والجن.

**ثالثاً: ومن فضلِ العلمِ: أنَّ الملائكةَ يُحبون طلابَ العلمِ، ويحبون مجالسَهم، ويَحُفُّونها إلى عَنانِ السماءِ.**

قال ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[1].

وقال ﷺ: «**وإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَصْنَعُ**»[2].

ولذلكَ كانَ لقمانُ يَحُثُّ ابنَه على مجالسِ العلم، فيقولُ له: (يا بُنيّ! اخترْ المجالس على عينكَ، فإذا رأيتَ مجلسـًا يُذكَرُ اللهُ فيهِ، فاجلسْ معهم، فإنّك إن كنتَ عالمـًا نفعَكَ علمُكَ، وإن كُنت جاهلاً عَلَّموك، ولَعَلَّ اللهَ أن يَطَّلعَ عليهم برحمة فتصيبَكَ معهم، وإن وجدتَ قومـًا لا يذكرون اللهَ تعالى فلا تجلسْ معهم، فإنك إن كنت عالمـًا لم يَنفَعْكَ علمُكَ، وإن كنتَ جاهلاً زادوك غَيّـًا، ولعلَّ اللهَ أنْ يطلعَ عليهم بنقمةٍ فتصيبُكَ معهم)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٣٥)، وابن ماجه (٢٢٦)، والنسائي (١٥٨)، [«صحيح الترغيب» (٨٥)].

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٥).

**رابعاً: من فضلِ العلمِ وشرفِه وعلوِّ منزلةِ أهلِه: أنه يُورثُ الخشيةَ في القلوب:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

**خامساً: ومن فضل العلم أنه ميراثُ الأنبياءِ، وجميعُ المخلوقاتِ تدعو لأهله، وهو طريق إلى الجنة:**

قال ﷺ: «**مَنْ سلكَ طريقاً يطلبُ فيه علماً، سلكَ اللهُ به طريقاً من طُرق الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لَتَضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضاً بما يصنع، وإنَّ العالمَ ليسفِرُ له مَن في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإن فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دينارً ولا درهماً إنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[2].

**سادساً: من فضلِ العلمِ: أنَّ الله يرفعُ أهلَه درجاتٍ في الدنيا والآخرة على غيرهم من المؤمنين:**

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(١) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٧٠)].

(٢) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١٢)، [«صحيح الترغيب» (٨١)].

﴿١١﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف].

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»**(١).

وقال ﷺ: **«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»**(٢).

**سابعاً: من فضلِ العلم: أنه تجارةٌ رابحةٌ في الدنيا، وبعدَ الموتِ، ويومَ القيامة:**

قال ﷺ: **«الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاَهُ، وَعَالِماً أَوْ مُتَعَلِّمًا»**(٣).

وقال ﷺ: **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»**(٤).

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: **«فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»**(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٧).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، والحاكم (٢٠٣٠)، [«صحيح الترغيب» (١٤٢٦)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٤٤)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)

وقال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

وقال رجلٌ لابنه: (عليك بالعلم -الشرعي- فإنّك إن افتقرتَ كان لك مالاً، وإن استغنيتَ كان لك جمالاً)(٢).

وقال آخر: (من أرادَ الدنيا فعليه بالعلمِ ومنْ أرادَ الآخرةَ فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرةَ فعليه بالعلم)(٣). والمقصودُ بالعلمِ: العلمُ الشرعيُّ.

**ثامناً: منْ فضلِ العلمِ: أنه جهادٌ في سبيلِ اللهِ، بل هو أفضلُ الجهاد:**

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

فَسَمَّى ربُّنا جل وعلا طلبَ العلمِ والخروجَ له نفيراً كالنفير لملاقاة العدو.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ -أي: بالقرآن وما نزل إليك من الحق أي: بالعلم- ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) «إحياء علوم الدين»، للغزالي (١/ ٨).

(٣) قريباً منه نقل عن الإمام الشافعي كما ذكر ذلك النووي في «تهذيب الأسماء» (١/ ٢٤).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، وأحمد (٣/ ١٢٤)، وابن حبان (٤٧٢٧)، والحاكم (٢٤٢٧)، [«صحيح الجامع» (٣٠٩٠)].

ومعلومٌ أنَّ الجهادَ باللسانِ يكونُ بإقامةِ الحجةِ والبرهانِ، والجهادُ باللسانِ أفضلُ من الجهادِ بالسيفِ والسِّنانِ؛ لأنَّ الجهادَ بالسيفِ والسِّنانِ يقدر عليه الجميع، أمّا الجهادُ باللسانِ فلا يقدرُ عليه إلا العلماءُ.

وقال ﷺ: **«مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»**(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعَلِّمُ فِيهِ الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ وَالسُّنَّةَ)(٢).

وقال ابو الدرداء رضي الله عنه: (مَنْ رَأَى الْغُدُوَّ وَالرَّوَاحَ إِلَى الْعِلْمِ لَيْسَ بِجِهَادٍ فَقَدْ نَقَصَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ)(٣).

وجاء رجلٌ فقال لابنِ عباسٍ: أَرِيدُ الْجِهَادَ فَقَالَ له ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْجِهَادِ؟ (تأتِي مَسْجِدًا فتقرأُ فِيهِ الْقُرْآنَ وَتُعَلِّمُ فِيهِ الْفِقهَ)(٤).

### تاسعاً: من فضلِ العلمِ: أنه أحبُّ إلى الله تعالى من الانشغالِ بنوافلِ العبادةِ:

قال ﷺ: **«فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»**(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، وأبو يعلى (٦٤٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٧٥)، [«صحيح الجامع» (٦١٨٤)].

(٢) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٩٦).

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٦).

(٤) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٩٦).

(٥) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٩٦٠)، والحاكم (٣١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١١)، [«صحيح الترغيب» (٦٨)].

وما كان أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ كان أحبَّ إلى اللهِ، لأنَّ الرسولَ ﷺ لا يُحبُّ إلا ما يُحبُّهُ اللهُ من الأقوالِ والأَفعالِ.

فَلَأَنْ يجلسَ الرجُلُ يُدرسُ العلمَ ويتعلمُهُ ويحفظُه أو يُعلمُهُ غيرَهُ أحبُّ إلى الله تعالى من أن يُصليَ ويصومَ.

قال الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (طلبُ العلمِ افضلُ من صلاةِ النافلةِ)[1].

وقال ابن وهب: (كنتُ بين يديْ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فوضعتُ ألواحي وقمتُ أُصلي فقال: ما الذي قُمتَ إليه بأفضلَ مما قُمتَ عنه -يعني قام لصلاةِ النافلةِ)[2].

وقال إسماعيلُ بن منصور: (قلتُ لأحمدَ بنِ حنبل[3]: قوله: تَذَكُّرِ العلمِ بعضَ ليلةٍ أحبُّ إليَّ من إحيائها، أي علمٍ أرادَ؟ قال: هو العلمُ الذي ينتفعُ به الناسُ في أمرِ دينهم. قلت: يعني في الوضوءِ، والصلاةِ، و الصومِ، والحجِّ، والطلاقِ، ونحوِ ذلكَ؟ قال: نعم)[4].

**عاشراً: من فضلِ العلمِ وشرفِه وعلوِّ منزلةِ أهلِه: أنه أفضلُ منَ المال:**

قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

---

(١) ذكره البيهقي في «المدخل» (١٥٨٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧).

(٣) هذا قول ابن عباس كما في «المدخل» للبيهقي (١٥٦٥).

(٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه» للكوسج (٩/ ٤٦٥٢)

وقال ﷺ: **«أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»**(1).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، الْعِلْمُ يَزْكُو بالنفقة، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ)(2).

وقال رجلٌ لابنهِ: (يَا بُنَيَّ! عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنِ احْتَجْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا، وَإِنِ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ كَانَ جَمَالًا). أي: علمِ الكتابِ والسنة.

**ومن ثمرةِ العلمِ العملُ:**

فعلى الإنسانِ أن يعملَ بما تعلَّمَ؛ لأنه سيُسأَلُ يومَ القيامة عن علمه ماذا عملَ به؟ يقولُ ﷺ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيه، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»**(3).

وقال أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُوَنِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيَقُولُ: يَا عُوَيْمِرُ! فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، فَيَقُولُ: مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟)(4).

**ومن ثمرةِ العلمِ أن نُعلِّمَهُ غيرَنا.**

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٣).

(٢) رواه ابو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٨٤).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الدارمي (٥٥٦)، والبزار (٢٦٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٠/ ١١١)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤٨)، [«صحيح الترغيب» (١٧٢٦)].

(٤) **صحيح لغيره موقوفا**: رواه البيهقي في «الشعب» (١٧١١)، [«صحيح الترغيب» (١٢٩)].

وقال ﷺ: **«إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ»**[1].

وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[3].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[4].

وقال الفُضيلُ بن عِياض: (عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ)[5].

وأما الذي يتعلمُ ويَعلِّمُ الناسَ ولا يعملُ بعلمه لا عقلَ له:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: **«مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وينْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ**

---

(١) **حسن:** رواه ابن ماجه (٢٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣١٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٧٧)].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) **حسن صحيح:** رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٦)، [«صحيح الترغيب» (٨٩)].

(٤) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٤/ ٧٩١٢)، [«صحيح الترغيب» (٨١)].

(٥) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

**لِلنَّاسِ ويَحْرِقُ نَفْسَهُ»**[1].

والذي خالفَ فعلُهُ قولَه يُعرِّضُ نفسَه لمقتِ الله وعذابِهِ.

قال تعالى: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[2].

ولذلك كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ من علمٍ لا ينفع.

قال ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»[3].

فحافظوا على طلبِ العلم، واحرصوا على مجالس العلم، فإنها مجالس مباركة، وأهلها مرحومون.

اللهمَّ إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦٥/ ١٦٨١)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٢٨)]

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٢٢).

٤٧

# وصيتُهُ ﷺ لأمته بعدم الغضب

**عبادَ الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦].

ففي هذه الآيةِ ذَمَّ اللهُ ﷻ الكفارَ بما تظاهروا به من الحميةِ الصادرةِ عن الغضبِ بالباطل، ومدحَ اللهُ ﷻ رسوله والمؤمنين بما أَنزلَ عليهم من السكينة.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى]، أي: قد تَخَلَّقوا بمكارمِ الأخلاقِ، ومحاسنِ الشِّيَم، فصار الحِلمُ لهم سجيةً، وحُسنُ الخلقِ لهم طبيعةً، حتى إذا أغضبهم أَحدٌ بمقالِهِ أو فِعالِه، كظموا ذلك الغضبَ فلم يُنفذوه بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسانِ والعفو والصفح(١).

فمع الوصيةِ السابعةِ والأربعين لرسول الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمّته بعدم الغضب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: **«لَا تَغْضَبْ»** فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: **«لَا تَغْضَبْ»**(٢).

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: **«لَا**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للشيخ السعدي (ص٧٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦١١٦).

**تَغْضَبْ**»، قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ[1].

وعن جاريةِ بن قدامةَ: أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**» ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا؛ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَغْضَبْ**»[2].

وصيةٌ عظيمةٌ يوصي فيها النبيُّ ﷺ هذا الرجلَ خاصةً وأمتَه عامةً أن يحذروا الغضبَ، فهذا الرجلُ طلبَ من النبيِّ ﷺ أن يوصيَه وصيةً وجيزةً جامعةً لخصالِ الخيرِ ليحفظها عنه خشية أن لا يحفظَها لكثرتِها، فوصاهُ النبيُّ ﷺ أن لا يغضبَ -أيْ: اجتنبْ أسبابَ الغضبِ، ولا تتعرضْ لما يجلِبُه، ثم ردَّد هذا السؤالَ، عليه مراراً؛ والنبيُّ ﷺ يرددُ عليه هذا الجوابَ، فهذا يدلُّ على أن الغضبَ جماعُ الشرِّ والبعدَ عنه جِماعُ الخير.

سؤال: ما الغضبُ؟ وما أنواعُه؟ وما علاجُه؟

الغضب هو: ثَوَرانُ دَمِ القلبِ إرادةَ الانتقام[3].

ويترتبُ على ذلك كثيرٌ من الأفعالِ المحرمةِ، كالضربِ والقتل وأنواعِ الظلمِ، وكثيرٌ من الأقوالِ المحرمةِ كالقذفِ والسَّبِّ والفُحش.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٧٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣١٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٦)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٨٤)، وأبو يعلى (٦٨٣٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧٤٩١)، وابن حبان (٥٦٩٠)، والحاكم (٦٥٧٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٨)].

(٣) «المفردات» للراغب الأصبهاني (ص٣٦١).

وذلك لأن مَن ثارَ قلبُه وهاجت نفسُه قَلَّ تركيزُه وضَعُفَ مِلْكُهُ لنفسِه ولسانِه ويدِهِ، فكم من غضبانَ قتلَ نفساً بريئةً بغير حقٍّ، وكم من غضبانَ آذى غيرَه ظلماً، وكم من غضبانَ طَلَّقَ امرأتَه وهو لا يدري ماذا قال؟ فالغضبُ يجمَعُ الشَّرَّ كُلَّه.

**أنواعُ الغضب:**

الغضبُ نوعان: غضبٌ مذمومٌ، وغضبٌ محمودٌ.

**فالغضبُ المذمومُ**: هو الغضبُ للدنيا الدنيئةِ، ويتسببُ فيهِ الشيطانُ فإن الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدم.

كما قالَ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»(١).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ، فَآذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**»)(٢).

فالغضبُ هو سلاحُ إبليسَن وسهمُه الصائبُ.

وهذا الغضبُ المذمومُ هو الذي نهى عنه الشرعُ وحَذَّر منه ومن عواقبه ونتائجه.

وبَيَّنَ الرسولُ ﷺ أن قوةَ النفسِ ليست بالبطشِ، وإنما هي بالتحكمِ بها والأَخذِ بزمامِها.

(١) **متفق عليه**: البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٤٢)، [«الصحيحة» (٢٣٧٦)].

فقال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[1].

وقال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ**»[2].

فالقوةُ الحقيقيةُ هي التحكُّمُ في النفسِ عند الغضبِ، فلا ينطقُ بسوءٍ ولا يتلفظُ بفُحْشٍ، ولا يُمضي غيظهُ.

ولذلكَ سألَ ابنُ عمرَ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[3].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ؟ قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»)[4].

فهذا النوعُ من الغضبِ كما له أضرارٌ دينيةٌ، فله أضرارٌ بدنيةٌ؛ فقد يؤدّي إلى ارتفاعِ ضغطِ الدمِ، وقد يسببُ الجلطة والوفاة، ويسببُ حالاتِ الاكتئابِ والانهيارِ العصبيِّ وإلى غيرِ ذلك من الأَمراضِ الفتّاكة.

قال أحد الصحابة رضي الله عنه: (الغضبُ يجمعُ الشرَّ كُلَّه)[5].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٧١٧)، وإسحاق بن راهويه (٥١٦)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٥٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٥٠)]

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٧٥)، وابن حبان (٢٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٧)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في الأوسط(٢٣٥٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٩)].

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٧٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣١٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٦)].

وقال عبدُ الله بنُ المبارك: (حُسنُ الخلق هو: تركُ الغضب).

وقال عمر بن عبد العزيز: (قد أفلح من عُصم عن الهوى والغضب والطمع).

وقال جعفرُ بنُ محمد: (الغضبُ مفتاحُ كلِّ شَرٍّ)[1].

ولذلك وَصَّى النبيُّ ﷺ الرجلَ فقال: لا تَغْضَب.

أما **الغضبُ المحمودُ**: فهو الغضبُ للهِ، إذا انتُهكت محارمُه، وهو غضبُ الأنبياءِ والمرسلين والدعاةِ إلى الله المخلصين.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخرُف:٥٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (﴿ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا)[2].

فها هو الله عز وجل يغضبُ إذا انتُهكت محارمُه.

وهذا إبراهيمُ عليه السلام يغضبُ لله عز وجل عندما يرى أباهُ وقومَهُ يعبدونَ الأصنامَ والأَوثان من دون الله.

فيقول لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء].

ويقول لهم: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات].

ويقول لهم: ما تعبدون.

ثم قال لهم مهدداً: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) الأقوال السابقة من «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/ ٣٦٣).

(٢) الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦١٧).

وهذا موسى عليه السلام يغضبُ للهِ عز وجل عندما رجعَ من لقاءِ ربِّه فوجدَ قومَهُ يعبدون العجل من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ [الأعراف:١٤٨] إلى أن قال ربُّ العزةِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الأعراف:١٥٠].

وهذا سليمانُ عليه السلام يغضبُ للهِ عز وجل عندما قال له الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل].

وهذا رسولُنا ﷺ يغضبُ إذا انتُهِكَتْ حرماتُ الله.

عن عائشةَ رضي الله عنها: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: أَيُّها الناس! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**)[1].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

وعن أبي مسعودٍ ﵁ قال: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي الفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ فِيهَا. فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»**)(١).

وعن جابرٍ ﵁ قال: (خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ.

فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **«قَتَلُوهُ؛ قَتَلَهُمُ اللهُ! أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»**)(٢).

فرسولُنا ﷺ كان لا يغضبُ لنفسِه أبداً، وإنما يغضبُ إذا انتُهكت حرماتُ الله.

وروى مجاهدٌ عن ابن عباسٍ أنّ رجلاً قال له: (إِنِّي طَلَّقْتُ امْرَأَتِي ثَلَاثًا وَأَنَا غَضْبَانُ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِلَّ لَكَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكَ، عَصَيْتَ رَبَّكَ وَحُرِّمَتْ عَلَيْكَ امْرَأَتُكَ)(٣).

**أما علاج الغضب:**

فقد وضعَ الشرعُ لعلاجِ الغضبِ أموراً منها:

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٧٠٤)، ومسلم (٤٦٦) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٣٦)، والدارقطني (٧٢٩)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٢)].

(٣) رواه الدراقطني (٣٩٢٧).

**الأمرُ الأولُ: أن يستعيذَ الغضبانُ بالله من الشيطان الرجيم:**

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت].

وعن سليمانَ بنُ صُرَدٍ قال: (اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»** فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آنِفًا؟ قَالَ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»** فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي؟)[1].

وقال ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، سَكَنَ غَضَبُهُ**»[2].

وقال الإمامُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (إن شيطانَ الإنسانِ ربما ينخدعُ بالإحسانِ إليه، فأما شيطانُ الجنِّ فإنه لا حيلةَ فيه إذا وسوسَ إلا الاستعاذةُ بخالقِه، الذي سلطه عليك؛ فإذا استعذْتَ باللهِ والتجأتَ إليه كَفَّه عنك وردَّ كيدَه)[3].

**الأمر الثاني: أن يسكتَ فلا يتكلم:**

قال ﷺ: **«إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»**[4].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له.

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٢٢)، [«صحيح الجامع» (٦٩٥)].

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٥٢).

(٤) **صحيح:** رواه أحمد (١/ ٢٣٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٥)، [«صحيح الجامع» (٤٠٢٧)].

لأن الغضبانَ يصدرُ منه حالَ غضبِه من القولِ ما يندمُ عليه في حال زوالِ غضبِهِ من السبِّ والشتمِ والطلاقِ وغيرِ ذلك مما يَعْظُمُ ضررُه، فإذَا سكتَ زالَ هذا الشَّرُّ كلُّه عنه.

ولذلك قالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

**الأمر الثالث: أن يُغَيِّرَ من الحالِ التي كانَ عليها حينَ الغضب:**

فإنْ كانَ قائمـًا فلْيجلِسْ، وإنْ كان جالسـًا فلْيضطجعْ، قال ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»(٢).

وقال عروة بنُ محمدٍ: (لما استُعْمِلْتُ على اليمن -أي: صار واليـًا عليها- قال لي أبي: أَوُلِّيت؟ قلتُ: نعم. قال: فإذا غضبتَ فانظر إلى السماءِ فوقك، وإلى الأرضِ تحتك ثم عظِّم خالقَهما)(٣).

وذلك لأنَ قربَ الإنسانِ من الأرضِ يُذَكِّرُه ببدايتِه ومنتهاه، كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

**الأمرُ الرابع: أن يخوِّف نفسَه بعقاب الله تعالى:**

وذلك بأن يقولَ: قدرةُ الله عليَّ أعظمُ من قدرتي على هذا الإنسان.

عن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) **صحيح:** رواه ابو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، وابن حبان (٥٦٨٨)، [«صحيح الجامع» (٦٩٤)].

(٣) رواه ابن عساكر (٥٤/ ٢٢١).

صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ**»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ**»، فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا)

وفي رواية:

فَقُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ! هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ**»، أَوْ «**لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»)[1].

**الأمرُ الخامسُ: أن يتفكرَ في صورتِه عندَ الغضب:**

فإذا نظرَ الإنسانُ في المرآةِ وهو غضبانُ ساعدهُ ذلك على تركِ الغضب، فالغضبُ له آثارٌ على الغضبان:

ففي الظاهرِ: يتغيرُ لونُه، وتنتفخُ أوداجُه، وتضطربُ حركتُه.

وفي اللسان: ينطلقُ بالشتمِ والفُحشِ واللعنِ والقذفِ والطلاقِ وغير ذلك.

وعلى الأعضاء: فالضربُ والتهجُّمُ، والتمزيقُ والقتلُ، والجرحُ عند التمكن من غيرِ مبالاةٍ، فإنْ هربَ منه المغضوبُ عليه، وعَجَزَ عن التشفِّي رجعَ الغضبُ على صاحبه فمزَّقَ ثوبَه، أو لطمَ وجهه، وضَربَ بيده على الأرضِ أو على الجماداتِ ويفعلُ أفعالَ المجانين.

**الأمرُ السادس: أن يتذكرَ جزاءَ كظمِ الغيظِ والعفوِ والصفحِ ابتغاءَ مرضاةِ الله في الدنيا والآخرة:**

فيدفعُه ذلك إلى تحملِ جهلِ الجاهلِ، وسَفَهِ السفيه، فجزاءُ كظمِ الغيظِ والعفوِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٥٩).

والصفحِ ما يلي:

**١- محبةُ الله ﷻ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة].

والله ﷻ إذا أحبَّ عبدَهُ لا يُعذِّبُهُ في النار أبداً، قال ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(١).

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾**﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٥)، والحاكم (٧٣٤٧)، [«الصحيحة» (٢٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٤٢).

وحُكي أنّ غلاماً لجعفرِ الصادقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سكبَ الماءَ على يديه في الطَّشْتِ فطارَ الماءُ على ثوبه فنظر إليه جعفرٌ نظرةً منكرةً فقال العبد: يا مولاي ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال: كظمتُ غيظي.

فقال الغلام: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال له: قد عفوتُ عنك.

فقال الغلام: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ فقال: اذهب أنت حُرٌّ لوجهِ اللهِ تعالى ولك من مالي ألفُ دينار![1].

**٢- العِزُّ والتمكينُ في الأرض:**

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»**[2].

وهذا يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعفوه وإحسانِه وصفحِه عن إخوته الذين ظلموهُ أعزَّهُ اللهُ ومَكَّنَهُ في الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف].

---

(١) «بحر الدموع» لابن الجوزي (١٧٣-١٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

**٣- مغفرةُ الذنوبِ والأجرُ العظيم:**

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**»(١).

**٤- الحورُ العينُ في جناتِ النعيم:**

قال ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ**»(٢).

وكظمُ الغيظِ مِن أحبِّ الأعمالِ إلى الله.

عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٥٢)].

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وأبو داود (٤٧٧٧)، [«صحيح الترغيب» (٤١٨٦)].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تتهيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»**[1].

فبعدَ أن تبينَ لنا الأَضرارُ الناتجةَ عن الغضبِ، والثمراتُ التي يتحصلُ عليها الإنسانُ إذا عفا وصفح وكَظَمَ غيظَه فعلينا أن نعملَ بوصيةِ رسولِ الله ﷺ التي قال فيها للرجل: «لا تغضب» يقول الرجل ففكرتُ حين قال رسولُ الله ﷺ ما قالهُ، فإذا الغضبُ يجمعُ الشرَّ كُلَّه.

اللهمَّ رُد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) **حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦)، وفي «الأوسط» (٦٠٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٢٣)].

٤٨

# وصيتهُ ﷺ لأمتهِ بحسن الصمت

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص].

ويقول سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدَّثر].

يخبرنا ربُّنا جلَّ وعلا في هذه الآياتِ أن من صفاتِ عبادِهِ المؤمنين الإعراضَ عن اللّغو، وهو الكلامُ الذي لا خيرَ فيه ولا فائدةَ، وذلك تنزيهـاً لأنفسهم، وترفُّعـاً عنه، وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً، وإذا كانوا معرضين عن اللّغو، فإعراضُهم عن المحرم من باب أولى وأحرى.

ويخبرنا ربُّنا أيضـاً بأن الخوضَ في الباطل سببٌ لدخولِ النار.

ولذلك يُعَدُّ اللسانُ أخطرَ عضوٍ في الإنسان، فهو حجمُه صغيرٌ، وشأنُه عظيمٌ، وجُرمُه كبير.

اللسان هو بمثابة القائِد الأَعلى لأَعضاء الجسد، إن استقامَ استقامتِ الأعضاءُ، وإنِ اعوَجَّ اعوَجَّت الأَعضاءُ.

قال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ** -أي: تَذِلُّ له وتخضَعُ- **فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(1).

فلا ينجو من شرِّ اللسانِ إلا مَنْ قَيَّدَهُ بلجامِ الشرع، فلا يُطلقُهُ إلا فيما ينفعُهُ في الدنيا والآخرة.

فالمؤمنون من صفاتهم الحميدةِ كفُّ ألسنتهم عن اللّغو والمحرمات والكلامِ الذي لا فائدةَ فيه.

ولذلك وصَّى النبيُّ ﷺ أمتَه بالصمتِ وإمساكِ اللسانِ عن الخوض في الباطل.

فمع الوصيةِ الثامنةِ والأربعين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمته: بحسن الصمت.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(2).

وَصيَّةٌ عظيمةٌ من رسولٍ عظيم يوصي أمتَه بسبيل النجاة، يوصي أمته بما كان من هديه، فلقد كان طويلَ السكوتِ، لا يتكلمُ في غير حاجة، ولا يتكلمُ فيما لا يعنيه، ولا يتكلمُ إلا فيما يرجو ثوابَه ويتكلمُ بجوامعِ الكلامِ، وإذا تكلم بكلامٍ بَيَّنَهُ، يحفظُه مَن جلس إليه، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ

---

(1) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧١)].

(2) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٤)].

اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ)[1].

والصمتُ معناهُ: إمساكٌ عن قولِ الباطل دون الحق[2].

سؤال: فما هو قول الباطل الذي يجب على الإنسان الصمتُ عنه؟

**أولاً: الصمتُ عن الكذب؛ لأنَّ الكذبَ حرامٌ، ومن صفات المنافقين.**

قال ﷺ: «**وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[3].

وقال ﷺ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[4].

وقال ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»[5].

**ثانياً: الصمتُ عن الكلامِ فيما لا يعنيك:**

قال ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[6].

---

(١) **صحيح:** رواه النسائي (١٤١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨١٩٧)، وابن حبان (٦٤٢٣)، والحاكم (٤٢٢٥)، [«صحيح الجامع» (٥٠٠٥)].

(٢) «الكليات» (٥٠٧).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٥) **حسن:** رواه أبو داود (٤٩٩٢)، والدرامي (٢٧٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤٠٣/ ٩٥١)، والحاكم (١٤٢)، [«صحيح الجامع» (٧١٣٧)].

(٦) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٨١)، وابن حبان (٢٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٨١)].

وقال الأوزاعي: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ بِرِسَالَةٍ لَمْ يَحْفَظْهَا غَيْرِي وَغَيْرُ مَكْحُولٍ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ)(١).

وعن زيد بن أسلم قال: (دُخِلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَقَالَ: مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٌ أَوْثَقُ فِي نَفْسِي مِنَ اثْنَتَيْنِ: لَمْ أَتَكَلَّمْ فِيمَا لَا يَعْنِينِي، وَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا)(٢).

**ثالثاً: الصمت عن إيذاء المسلمين باللسان وأكل لحومهم لأنه سببٌ لدخولِ النار:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللهِ! فإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ**

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١١٣).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٠)]

**وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»**[1].

ويقولُ معاذٌ رضي الله عنه: قلتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: **«لَقَدْ سَأَلْتَ عن عَظِيم! وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ»**.

فبعدَ أن أخبره بأركانِ الإسلام ودَلَّه على أبوابِ الخير.

ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»** قُلْتُ: بَلَى، يا رسول الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وقَالَ: **«تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا»** قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»)**[2].

وهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يأخذُ بلسانِه ويقولُ: (ويحك قل خيراً تغنمْ، أو أَمسكْ عن شَرٍّ تسلمْ وإِلا ستندمُ)[3].

**رابعاً: الصمتُ عن القولِ على الله بغيرِ علم؛ لأن القولَ على الله بغيرِ علم حرام:**

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف].

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٣٩)].

(٢) **صحيح لغيره:** رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (١٠٣٧).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**(١).

## خامساً: الصمتُ عن الغيبةِ، لأن الغيبةَ حرامٌ:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرات].

وقال ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»**(٢).

ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه كنّا عندَ النبيِّ ﷺ فهبَّتْ ريحٌ مُنتنةٌ، فقال الرسول ﷺ: **«أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»**(٣).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) **حسن صحيح:** رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٠)].

(٣) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١٨٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٤٠)].

**سادساً: الصمتُ عن النميمة؛ لأن النميمة حرامٌ:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].

وقال ﷺ: «**لا يَدخُلُ الجنةَ نمَّامٌ**»(١).

ومرَّ ا لنبيُّ ﷺ على قبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِه**»(٢).

والنميمةُ هي: نقلُ الكلامِ بينَ الناس بقصدِ الإفساد بينهم.

والنمام هو: الذي يقومُ بنقل الكلامِ ليُفسِدَ بين الأحبة، وهو من شرِّ الناس، والنبيُّ ﷺ يقول: «**شِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ**»(٣).

**سابعاً: الصمتُ عن تكفيرِ المسلمين؛ لأن تكفيرَ المسلمين حرام:**

قال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٤).

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٥).

وقال ﷺ: «**لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»(٦).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٥).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) **حسن بشواهده:** رواه أحمد (٤/ ٢٢٧)، [«محققو المسند»].

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٦) **صحيح:** رواه البخاري (٦٠٤٥).

يقولُ أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ** -أي: المذنب-: **خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ** -أي: المجتهد في العبادة-: **وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ)[1].

## ثامناً: الصمتُ عن شهادةِ الزور وقول الزور:

قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** -وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ- **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[2].

## تاسعاً: الصمتُ عن السبِّ واللعنِ وبَذاءةِ اللسان:

قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[3].

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، والبزار (٩٤١٨)، وابن حبان (٥٧١٢)، [«صحيح الجامع» (٤٤٥٥)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

وقال ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلا بِالْفَاحِشِ، وَلا بِالْبَذِيءِ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا**»[2].

## عاشراً: الصمتُ عن السخريةِ والاستهزاءِ بالمسلمين:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحُجُرات].

ومعنى السخرية: الاستهانةُ والتحقيرُ والتنبيهُ على العيوبِ والنقائصِ على وجه يُضحَك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاةِ في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾ [الكهف:٤٩].

قال: (الصَّغِيرَةُ التَّبَسُّمُ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَبِيرَةُ الْقَهْقَهَةُ بِذَلِكَ)[3] وهذا إشارةٌ إلى أن الضحكَ على الناسِ من جملةِ الذنوبِ والكبائر.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن أبي شيبة (٣٠٩٧٤)، [«الصحيحة» (٣٢٠)].

(٢) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٤٩٠٥)، والبزار (٤٠٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٩٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٩٢)].

(٣) رواه أبو داود في «الزهد» (٣٤٠).

**الحادي عشر: الصمتُ عن قذف المحصنات:**

فمَن قذفَ امرأةً مُحصَنةً حرةً عفيفةً عن الزنا والفاحشة فهو ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، بل وعليه في الدنيا الحدُّ ثمانون جلدةً إذ لم يأتِ بأربعةِ شهداءَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» -أي: المهلكات- فذكر منها: «**وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ**»(١).

فعلى الإنسان أن يصمِتَ من هذه الآفات حتى ينجوَ في الدنيا والآخرة.

كما قال ﷺ «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(٢).

وقال بعض الصالحين: (الصمتُ يجمعُ للرجل فضيلتين: السلامةَ في دينهِ، والفَهْمَ عن صاحِبِه)(٣).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٤)].

(٣) «نضرة النعيم» (ص٢٦٤٤).

وعن عمرٍو بن قيسٍ رَحِمَهُ اللهُ: (أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِلُقْمَانَ وَالنَّاسُ عِنْده فَقَالَ: أَلَسْتَ عبدَ بني فلَان؟ قَالَ: بلَى. قَالَ: أَلَسْت الَّذِي كنت ترعى عِنْد جبل كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: بلَى. قَالَ: فَمَا الَّذِي بلغ بك مَا أرى؟ قَالَ: صدقُ الحَدِيث، وَطول السُّكُوت عَمَّا لَا يعنيني)(١).

لذلك أمرَنا رسولُ الله ﷺ إذا تكلم أحدُنا أن لا يتكلمَ إلا بخير فقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

وعن عبد العزيز بن أبي روَّادٍ قال: قَالَ رَجُلٌ لِسَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَكَلَّمْ، قَالَ: وَكَيْفَ يَصْبِرُ رَجُلٌ عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ؟ قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ لَا تَصْبِرُ عَنِ الْكَلَامِ فَلَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا بِخَيْرٍ أَوِ اصْمُتْ)(٣).

فجعل النبيُّ ﷺ أن من علامة الإيمان هو قولَ الخير والصمتَ عن الباطل فعلى الإنسان الذي يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أن يُطلقَ لسانَه في قول الخير.

قال تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾ [النساء].

فيا عبد الله! اشْغِلْ لسانَك بذكرِ اللهِ؛ فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يأمرُك بذلك:

فيقول سبحانه: ﴿**فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾**﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١١٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧٧).

وجاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: **«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»**[1].

والله ﷻ يكون مع مَن ذَكَره، بل ويذكرُه في الملأ الأعلى ويجزيه على ذلك المغفرةَ والأجرَ العظيم.

قال تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[2].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول ﷺ: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»**[3].

يا عبد الله! اشْغِل لسانَك في أقوالِ الخير، في الدعوةِ إلى الله، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس.

قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت].

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩١)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟**» قالوا: بَلَى، قَالَ: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[1].

اللهمَّ اشغلنا بطاعتك وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٩١)، [«صحيح الترغيب» (٢٨١٤)].

٤٩

# وصيتُهُ ﷺ لأمته بإصلاح القلب

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

ويقول سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

يخبرنا ربنا جلَّ وعلا في هذه الآيات بأنّ صاحبَ القلبِ السليمِ الصحيحِ الذي يشهدُ أن لا إله إلا الله ويبتعدُ عن الشرك هو الذي ينجو يومَ القيامة، فإذا لَقِيَ الإنسانُ ربَّهُ يومَ القيامة بقلبٍ طاهرٍ سليمٍ حَيٍّ فاز بجنّةٍ عرضُها السموات والأرض.

ولقد ربى النبيُّ ﷺ أصحابه، ووصى أمّته بإصلاح القلب؛ لأنّ صلاحَ القلب رأسُ كلِّ خير، وفسادَه رأسُ كُلِّ شر.

فمع **الوصيةِ التاسعةِ والأربعين لرسول الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمته بإصلاح القلب.**

يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَا إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

وصيةٌ عظيمة من رسولٍ عظيم يبيّن لأمته فيها أنّ الله ﷻ لا ينظرُ إلى أجسام العباد كبيرةً أو صغيرةً، صحيحةً أو سقيمة، ولا ينظرُ إلى الصورة هل هي جميلةٌ أو ذميمةٌ، وكذلك لا ينظرُ إلى الحَسَبِ والنسبِ، ولكن ينظرُ إلى ما يُكِنُّهُ الإنسانُ في قلبهِ من البرِّ والتقوى.

وهذا يبينُ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرات].

وقوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا،** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف]»[1].

فالقلبُ هو محلُّ نظرِ الله تعالى، فاللهُ ينظرُ إلى القلبِ وما يُخفي من نيةٍ لأَنّ فيه (الإخلاص)، كما ينظرُ إلى العملِ لأن فيه المتابعةَ لرسولِ الله ﷺ وبهذين الشرطين: الإخلاصُ لله ﷻ، والمتابعةُ لرسولِ الله ﷺ تُقبلُ الأعمالُ عندَ اللهِ يومَ القيامة.

فكما جمعَ النبيُّ ﷺ بين هذين الشرطين في هذه الوصية، كذلك جمعَ اللهُ ﷻ بينهما في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فإذا كانَ القلبُ هو محلَّ نظرِ الله تعالى فعلى الإنسانِ أَنْ يعملَ جاهداً ليلاً ونهاراً في إصلاح قلبه.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

وهناك سؤالٌ يطرحُ نفسَه علينا الآن، ما هو القلبُ؟ وما هي أقسامُ القلوبِ؟ وما هي وسائلُ إصلاحِ القلوب؟

**القلبُ:** هو مضغةٌ صغيرةٌ في الجسد، وهي في الجسد كالراعي في رعيته، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فسدَ الجسدُ كُلُّهُ، قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(1).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (الْقَلْبُ مَلِكٌ، والأَعضاءُ جُنُودُهُ، فَإِذَا طَابَ الْمَلِكُ طَابَتْ جُنُودُهُ، وَإِذَا خَبُثَ الْمَلِكُ خَبُثَتْ جُنُودُهُ)(2).

## ما هي أقسامُ القلب؟

تنقسمُ القلوبُ إلى ثلاثةِ أقسام:

قلبٌ سليمٌ، وقلبٌ ميِّتٌ، وقلبٌ مريض.

١- **القلبُ السليم:** هو القلبُ الذي خَلُصت عبوديته لله تعالى، إرادةً ومحبةً وتوكلاً، وإنابةً وخشيةً ورجاءً، وخلُصَ عملُه لله، فإنْ أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، هو القلبُ الذي سَلِمَ من كلِّ شهوةٍ تُخالفُ امرَ اللهِ ونهيَه، ومن كلِّ شُبهةٍ تُعارضُ خبره، فسَلِمَ من عبوديةِ ما سواه، وسَلِمَ من تحكيم غير شرعه، وسَلِمَ من الاقتداء بغير رسوله ﷺ.

ولذلك فصاحبُ هذا القلبِ هو الذي ينجو يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٣٧٥)، والدينوري في «المجالسة» (٥٧٠)، وأبو نعيم في «الطب» (٩٤).

٢- **القلبُ الميتُ:** هذا القلبُ لا حياةَ فيه، فهو لا يعرفُ ربَّه، ولا يَعبدُه، بل هو مُنقطعٌ لشهواتِه ولذاتِه، فهو مُتعبِّدٌ لغير الله حُبًا، وخوفًا، ورجاءً، ورضىً وسُخطًا، وتعظيمًا وذلاً، إن أحبَّ أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه وإن أعطى أعطى لهواهُ، وإن منعَ منع لهواه.

فالهوى إمامُهُ، والشهوةُ قائدةُ، والجهلُ سائِقُه، والغفلةُ مَركَبُهُ، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية:٢٣].

مخالطةُ صاحبِ هذا القلب سُقْمٌ، ومعاشرتُهُ سُمٌّ، ومجالستُهُ هلاكٌ وقد توعَّدَ اللهُ صاحبَ هذا القلبِ بالويل.

فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّمَر].

وأعدَّ اللهُ لصاحبِ هذا القلب جهنَّمَ وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ -أي: ولقد خلقنا- ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

٣- **القلبُ المريضُ:** هذا القلبُ له حياةٌ وبه علةٌ، فله مادّتان، تَمدُّه هذه مرَّةً وهذه أخرى، وهو لما غَلَبَ عليه منهما.

إن غلبَ عليه مرضُهُ التحقَ بالقلبِ الميتِ القاسي، وإن غَلَبَ عليه صِحتُهُ التحقَ بالقلب السليم.

وهذا القلبُ يمرَضُ بمرضِ الشُّبهة، ومرضِ الشهوة، قال تعالى عن مرض الشبهات: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠].

وقال تعالى عن مرض الشهوة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

فكم من إنسانٍ أصبح قلبُه عبداً لشهواته من نساءٍ وأولادٍ ومالٍ؟ وكم من إنسانٍ أصبح قلبُه عبداً للشبهاتِ التي تُلقى عليه من عقائدَ فاسدةٍ وبدعٍ وغيرِ ذلك؟

وقد جمعَ اللهُ ﷻ بينَ هذه القلوب الثلاثةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤)﴾ [الحج].

**ما هي وسائلُ إصلاحِ القلوب؟**

**الوسيلةُ الأولى: الإيمانُ الصادقُ والعقيدةُ الصحيحة:**

فالإيمانُ هو: قولٌ باللسانِ، واعتقادٌ بالقلبِ، وعملٌ بالجوارح، يزيدُ بالطاعةِ وينقص بالمعصية.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحُجُرات].

فالإيمانُ زينةُ القلبِ، ولذلك كان ﷺ يقول في دعائه: « **اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ**»(1).

والإيمانُ الصادقُ يهدي صاحبَهُ إلى كلِّ خير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

والإيمان الصادق سببٌ لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق:١١].

**الوسيلةُ الثانية: تقوى الله ﷻ:**

عن عبد اللهِ بن عمرِو بن العاصِ رضي الله عنهما قال: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**ذُو الْقَلْبِ الْمَخْمُومِ، وَاللِّسَانِ الصَّادِقِ**»، قُلْنَا: فَقَدْ عَرَفْنَا الصَّادِقَ، فَمَا ذُو الْقَلْبِ الْمَخْمُومِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغيَ وَلَا حَسَدَ**»)(2).

وقال ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا**»، يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا(3).

---

(1) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٧٠)، وأحمد (٣/ ٤٢٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٩)، والبزار (٣٧٢٤)، [«الأدب المفرد»]

(2) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشعب» (٤٤٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٣١)].

(3) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

وقـال تعـالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦].

**الوسيلةُ الثالثةُ لإصلاحِ القلوب: القرآنُ الكريم:**

قـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ -أي: بالإيمان- ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ -أي: بالقرآن- ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس].

وقال تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال].

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**»(١).

ما دعا أحدٌ بهذا الدعاء وكان في همٍّ وغمٍّ إلا رفعَ الله عنه هذا الغمّ.

**الوسيلةُ الرابعةُ: زيارةُ القبور:**

فزيارةُ القبورِ من الوسائل المهمة التي تُصلحُ القلوب، تجعلُه يستعدُّ للموت ويعملُ لما بعد الموت، وأنه لا مقعدَ ولا منزلَ إلا القبر، وهو إما روضةٌ من رياضِ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٥٢)، [صحيح الترغيب (١٨٢٢)].

الجنة، أو حفرةٌ من حفَرِ النار إلى يوم البعث والجزاء.

قال ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(١).

فالقلبُ يَرِقُّ ويلينُ بزيارةِ القبورِ، وكذلك بالمسحِ على رأسِ اليتيم.

يقولُ أبو الدرداء رضي الله عنه: (أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوةَ قلبِه فقال ﷺ: «**أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، وتُدرِكَ حاجتَك؟ ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهَ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتُدرِكُ حَاجَتِكَ**»)(٢).

والقلب اللين الرقيق هو القلبُ الذي يحبه الله تعالى.

قال ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا**»(٣).

### الوسيلة الخامسةُ: العلمُ الشرعيُّ:

فالعلمُ الشرعيُّ من أعظمِ وسائلِ إصلاحِ القلوبِ؛ لأنّ القلبَ هو محلُّ النياتِ، والنياتُ لا تصلحُ إلا بالعلمِ الشرعي، ومصاحبةِ العلماء، والعلمُ الشرعيُّ هو علمُ الكتابِ والسنةَ، عِلمُ الوحيين، قال الله تعالى، قال رسوله ﷺ، قال الصحابة رضي الله عنهم.

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (١٣٩٣)، والبيهقي في «الآداب» (٢٨٠)، [«صحيح الجامع» (٤٥٤٨)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه معمر (٢٠٠٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٤)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٨٤٠)، [«صحيح الجامع» (٢١٦٣)].

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨].

فعلى المسلم أن يحافظ على مجالس العلم، فيزدادُ إيمانه ويرقُّ قلبُه، ومجالسُ العلم مجالسُ بَرَكةٍ ورحمةٍ، تَحُفُّها الملائكةُ ويذكر الله أصحابَها في الملأ الأعلى.

**الوسيلة السادسة لإصلاحِ القلوبِ: ذكرُ الله ﷻ:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

(ذكرُ اللهِ هو روحُ الأعمال الصالحة، فإذا خلا العملُ من الذكر كان كالجسد الذي لا روحَ فيه)[1].

كما قال ﷺ: **«مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»**[2].

والغفلةُ عن ذكر الله تُقَسِّي القلوبَ وتُمْرِضُها، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّمَر].

**الوسيلة السابعة: استقامةُ اللسان:**

فَمِنْ أَعظمِ وسائلِ القلوبِ استقامةُ اللسانِ، لأن اللسانَ يُعبرُ عَمَّا في القلب. يقول

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (٤٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) واللفظ للبخاري.

ﷺ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**»(١).

فاستقامةُ اللسانِ تؤدي إلى استقامةِ القلب -أي: صلاحِه- واستقامةُ القلبِ تؤدي إلى استقامةِ العبد على إيمانه.

واستقامةُ اللسان تؤدي إلى استقامة الجسد كُلِّه، واعوجاجُ اللسان يؤدي إلى اعوجاج الجسدِ كلِّه. قال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَم فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانِ** -أي: تخضع وتذل- **فتقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(٢).

وعن خالد الرِّبعيِّ قال: (كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاةَ فَذَبَحَهَا. قَالَ: أَخْرِجْ أَطْيَبَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا، فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاةَ، فَذَبَحَهَا. فَقَالَ: أَخْرِجْ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا، فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: أَمَرْتُكَ أَنْ تُخْرِجَ أَطْيَبَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا، وَأَمَرْتُكَ أَنْ تُخْرِجَ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا، فَقَالَ لَهُ لُقْمَانُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَطْيَبُ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَا أَخْبَثُ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا)(٣).

فإذا طابَ القلبُ واللسانُ طابَ الإنسانُ، وإن خبُثَ القلبُ واللسان خَبُثَ الإنسان.

ولذلك ربط الله ﷻ بين القلب واللسان في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ

(١) **حسن**: رواه احمد (٣/ ١٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٥٤)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والطيالسي (٢٣٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧١)].

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٤٣٥).

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

**الوسيلة الثامنة لإصلاحِ القلوب: الابتعادُ عن المعاصي والذنوب:**

لأن المعاصيَ تُسَوِّدُ القلوبَ، وتُقَسِّيها، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفّفين].

و**الران** هو: أثرُ المعاصي على القلوب.

وقال ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ** -أي: المعاصي- **عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[1].

وكما قال القائل[2]:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوب ... وقد يورثُ الذلَّ إدْمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب ... وخيرٌ لنفسِك عصيانُها

**الوسيلةُ التاسعة: الدعاء:**

فعلى الإنسان أن يدعوَ الله ﷻ دائماً أن يهديَ قلبَه ويصلِحَه ويُثبته، فالله ﷻ علَّمنا

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٤).

(٢) هذا الكلام للإمام ابن المبارك، كما في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٩).

في كتابه كيف ندعوه، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

فالقلبُ سريعُ التقلُّبِ، ولذلك كان ﷺ يُكثِرُ من دعاء: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١).

وقالَ ﷺ لأمِّ سلمةَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(٢).

ويقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: كان أكثر أَيمانه ﷺ: «**لَا وَمُصَرِّفِ الْقُلُوبِ**»(٣).

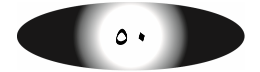
ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وأحمد (٦/ ٣١٥)، وأبو يعلى (٦٩٨٦)، [«صحيح الجامع» (٧٨٥٤)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٠٩٢)، والنسائي (٣٧٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٤٢)، [«صحيح الجامع» (٤٨٠٠)].


٥٠

# وصيتُهُ ﷺ لأمته بالاعتدال في الطعام والشراب

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

يأمرُ ربُّنا جل وعلا عبادَه بَسترِ العوراتِ عندَ الصلاةِ كُلِّها: فرضِها ونَفْلِها، فإن سَترَها زينةٌ للبدن، كما أن كشفها يدع البدنَ قبيحًا.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾؛ أي: مما رزقكم الله من الطيبات ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ في ذلك. والإسراف إما أن يكونَ بالزيادة على القَدْرِ الكافي، والشَّرَهِ في المأكولات الذي يضرُّ بالجسم، وإما أنْ يكونَ بزيادة التَّرفُّهِ في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

فإن السَّرَفَ يُبغضُه اللهُ، ويضرُّ بدنَ الإنسانِ ومعيشتَه، فأَمرَ اللهُ تعالى بتناولِ الأكلِ والشربِ، والنهيِ عن تركهما، وعن الإسرافِ فيهما.

ولذلك ربى النبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه على الاعتدالِ في الطعامِ والشرابِ؛ لأنّ ذلك أنفعُ للبدنِ والصحة.

فمع الوصيةِ الخمسين لرسولِ اللهِ ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمتِهِ بالاعتدال في الطعامِ والشراب.

يقول ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ،**

**فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[1].

وصيةٌ عظيمة، ومعجزةٌ من معجزات النبوة، فإن هذه الوصيةَ جامعةٌ لأصولِ الطبِّ كلِّهِ.

فأخبرَ النبيُّ ﷺ أن الإنسانَ يكفيه لُقَيماتٌ يُقِمن صلبَه، فلا تسقُطُ قوتُه، ولا تضعُفُ معها، فإنْ تجاوزَها، فليأكلْ في ثُلُثِ بطنه، ويدعِ الثلثَ الآخرِ للماءِ، والثالثَ للنَّفَس، وهذا مِن أنفع ما للبدن والقَلبِ، فإنَّ البطنَ إذا امتلأَ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا وردَ عليه الشرابُ ضاق عن النفَس، وعرضَ له الكربُ والتعبُ بحمله، بمنزلة حاملِ الحملِ الثقيل، هذا إلى ما يلزمُ ذلكَ من فساد القلبِ، وكسلِ الجوارحِ عن الطاعاتِ، فامتلاءُ البطن من الطعام مُضرٌّ للقلبِ والبدنِ[2].

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إياكم والبِطْنةَ من الطعامِ والشراب، فإنّها مَفْسدَةٌ للجسم، مُورِثَةٌ للسُّقم، مَكْسَلَةٌ عن الصلاة، وعليكم بالقصدِ في الطعامِ والشرابِ، فإنّه أصلحُ للجسد، وأبعدُ من السَّرَف، وإن الرجلَ لن يهلِكَ حتى يؤثرَ شهوته على دينه)[3].

وقال طبيبٌ نصرانيٌّ لعلي بنِ الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطبِّ شيءٌ، والعِلم علمان: علمُ الأبدانِ وعلمُ الأديان فقال له: إنّ الله قد جمعَ الطبَّ كُلَّه في نصفِ آيةٍ من كتابه!! قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف][4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦٧٣٩)، [«الصحيحة»(٢١٣٥)].

(٢) انظر: أبو نعيم في «**الطب النبوي**» (١/ ٢٤٣).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «**الجوع**» (٨١).

(٤) ذكره الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٠).

وقال طبيبُ العربِ الحارث بن كلدةَ: (الحِميَةُ رأسُ الدواءِ والبِطنةُ رأسُ الداءِ)(١).

وقال عُتبةُ الراسبي: (دخلتُ على الحسن فوجدتُه يتغَدَّى خبزاً ولحماً، فقال: أَقبلْ على طعامِ الأحرارِ. فقلت: أكلتُ حتى لا أستطيعُ الأكلَ!! فقال: سبحان الله! أويأكلُ المسلمُ حتى لا يستطيعَ أن يأكلَ!!)(٢).

فهذهِ بعض منافعِ تقليل الغذاء، وتركِ التملّي من الطعامِ بالنسبة إلى صلاحِ البدن وصحتِه.

وأمّا منافعُه بالنسبة إلى القلبِ وصلاحِهِ؛ فإنّ قلّةَ الغذاءِ توجبُ رقّةَ القلبِ، وقوّةَ الفهم، وانكسارَ النفسِ، وضعفَ الهوى والغضب، وكثرةَ الغذاء توجبُ ضدَّ ذلك.

فمن أراد أن يُطَبِّقَ وصيةَ رسولِ الله ﷺ فعليه بما يلي:

**أولاً: الأكلُ من الطيبات:**

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) نسب هذا الكلام الى النبيِّ ﷺ عدد كبير من أهل التفسير، ولا أصل لذلك، بل هو كلام الطبيب العربي، انظر: «**الدخيل في التفسير**» لعبد الرحيم أبو علبة (٣٩٣).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (١٦٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

قال بعضُ المفسرين: إنّ اللهَ أباحَ لهم أن يأكلوا مما في الأرضِ في حال كونه حلالاً من الله، ﴿طَيِّبًا﴾ أي: مُستَطاباً في نفسه، غيرَ ضارٍّ للأبدان ولا للعقول(١).

وقال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،** فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون]، **وقال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(٢).

فالنبيُّ ﷺ يحثُّ أمتَه ويحضُّهم على تحرّي الحلالِ، والأكلِ منِ الطيباتِ لأنّ الأكلَ من الحلالِ والطيباتِ سببٌ لاستجابةِ الدعاءِ، وقبولِ العبادة، كما أنّ الأكلَ من الحرامِ يمنعُ استجابَة الدعاءِ، ويمنعُ قبولَ العبادة.

ولذلك كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَتَحَرَّوْنَ أكلَ الحلالِ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه كَانَ لهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟

(١) ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ -وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ- إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ[1].

فقيل له: يرحَمُكَ اللهُ! كلُّ هذا من أجلِ هذه اللُّقمةِ؟ قال: لو لم تخرُجْ إلا مع نفْسي لأخرجتُها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كلُّ جسدٍ نبتَ من سُحتٍ فالنارُ أولى به**»، فخشيتُ أن ينبُتَ شيٌ من جَسدي من هذه اللُّقمة[2].

وأفضلُ وأطيبُ ما أكلَ الإنسانُ من عمل يده ومن كَسبه، قال ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[3].

وكسبُ الرجل من عملِ يدِه رفعةٌ وكرامةٌ.

قال ﷺ: «**لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»[4].

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»[5].

---

(١) الى هنا عند البخاري (٣٨٤٢).

(٢) والتكملة عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٣١).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢) واللفظ له.

(٥) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦٠٠٣)، وابن ماجه (٢١٣٧)، وأحمد (٦/ ١٢٧)، [«الإرواء» (٢١٦٢)].

فعلى الإنسان أن يحرِصَ أن لا يُدخِلَ في بطنه إلا طيباً، لأن اللهَ طيبٌ ولا يقبل إلا طيباً.

**ثانياً: أن ينويَ بأكله وشُربِه التَّقَوِّي على عبادةِ اللهِ تعالى:**

فالإنسانُ يأكلُ ويشربُ من أجلِ المحافظةِ على سلامةِ بدنِه الذي به يمكنه أن يعبدَ اللهَ تعالى العبادة التي توصِلُ إلى رضا الله والجنة.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(1).

فهذا رجلٌ يأكلُ الطعامَ شهوةً فقط، والرجلُ الآخرُ يأكلُ الطعامَ امتثالاً لأمرِ الله ﷻ في قوله: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ فصارَ أكلُ الأولِ عادةً، وأكلُ الثاني عبادةً فهو مأجورٌ بهذه النّية.

**ثالثاً: التسميةُ عندَ الطعامِ، والاجتماعُ عليه فيه البركةُ، ويأكلُ بيمينه ومما يليه:**

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا أَنَّهُ لَو كانَ قَالَ: بِسْمِ اللهِ لَكَفَاكُمْ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**»)(2).

وهاهم أَصْحَابُ النَّبِيِّ، ﷺ قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «**فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ**

(1) **متفق عليه:** رواه البخاري (1)، ومسلم (١٩٠٧).

(2) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٣٢٦٤)، [صحيح السنن].

**لَكُمْ فِيهِ**»(١).

عن عُمَرَ بنِ أبي سلمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٢).

## رابعاً: الاعتدالُ في الطعامِ دونَ إفراطٍ ولا تفريط:

فإذا أكلَ الإنسانُ وسَمَّى اللهَ على طعامه فعليه بالاعتدالِ في الطعام، وعدمِ الإكثارِ والشبع الكثير؛ لأنّ أكثرَ الأمراضِ إنّما تنشأُ من إدخالِ الطعامِ على الطعامِ، والزيادةِ في القدْرِ الذي يحتاج إليه الإنسان، وتناولِ الأغذية القليلةِ النفع، البطيئةِ الهضمِ، والإكثارِ من الأغذية المختلفةِ التراكيب؛ ولذلك قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»(٣).

فكان ﷺ وأصحابُه لا يأكلونَ كثيراً ولا يشبعون.

تقول عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ**»(٤).

وعن أبي هريرة قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ)(٥).

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، [«الصحيحة» (٦٦٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٣٩)، وابن حبان (٦٧٤)، [«الصحيحة» (٢٢٦٥)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٤)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٤١٤).

وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تجشّأ رجلٌ عند النّبيِّ ﷺ فقال له ﷺ: «**كُفَّ جُشَاءَكَ عَنَّا، فَإِنَّ أَطْوَلَكُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُكُمْ شِبَعًا فِي دَارِ الدُّنْيَا**»[1].

وعن عطيةَ بنِ عامرٍ الجُهني قال: (سَمِعْتُ سَلْمَانَ، وَأُكْرِهَ عَلَى طَعَامٍ يَأْكُلُهُ، فَقَالَ: حَسْبِي، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا، أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»)[2].

وعن ابن سيرين قال: (قال رجلٌ لابن عمرَ: أَلَا نَجْعَلُ لَكَ جَوَارِشَ؟ قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ جَوَارِشُ؟ قَالَ: شَيْءٌ إِذَا كَظَّكَ الطَّعَامُ فَأَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا يَذْهَبُ عَنْكَ مَا تَجِدُ.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَمَا ذَاكَ أَنْ لَا أَكُونَ لَهُ وَاجِدًا، وَلَكِنِّي عَهِدْتُ أَقْوَامًا يَشْبَعُونَ مَرَّةً وَيَجُوعُونَ مَرَّةً)[3].

لذلك يجبُ أن لا يَمُدَّ المرءُ يدَه إلى الطعام إلا وهو جائع، ثم ينبغي أن يرفعَ اليدَ قبلَ الشبع، وبذلك يكونُ قد استغنى عن الطبيب[4].

ولذلك قيل: (نحن قومٌ لا نأكلُ حتى نجوعَ، وإذا أكلنا فلا نشبع)[5].

وعن رياح القيسي: (أنّه قُرِّب إليه طعامٌ فأكلَ منه، قيل له: ازدد فما أراك شبعت،

---

(١) **حسن:** رواه ابن ماجه (٣٣٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥٢٥٩)، [«الصحيحة» (٣٤٣)].

(٢) **صحيح لغيره:** رواه ابن ماجه (٢١٣٩)، والطيالسي(٢٨٦٩)، والبزار(٢٤٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٢١٣٩)].

(٣) رواه أبو داود في «الزهد» (٣١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٠).

(٤) «الإحياء» (٢/ ٤).

(٥) يُنسب كحديث، ولكن لا أصل له.

فصاح صيحة وقال: كيف أشبعُ أيامَ الدنيا، وشجرةُ الزقوم طعامُ الأثيم بين يدي!! فرفع الرجلُ الطعامَ من بين يديه وقال: أنت في شيءٍ ونحن في شيء)[1].

فعلى الإنسان أن يُمسكَ عن الأكلِ قبلَ الشَّبَع اقتداءً برسول الله ﷺ وحتى لا يقعَ في التّخمةِ المهلكةِ، والبِطنةِ المُذهبة للفِطنة.

**خامساً: أن يحمدَ اللهَ بعد طعامِهِ وشرابِه:**

قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[2].

وعن أبي أمامةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدتَهُ قال: «**الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا**»[3].

اللهم ردَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٤).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أبوداود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأحمد (٦/ ١٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٢١٦٤)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري(٥٤٥٨).



## وصيتهُ ﷺ لأمته بالرحمة باليتيم

**عباد الله!** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [النساء:٣٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

يأمرُ الله ﷻ عباده المؤمنين في هاتين الآيتين بالإحسان إلى اليتامى والعطفِ عليهم وإكرامهم.

ووصى النبيُّ ﷺ أمّته باليتيم، وحثَّ على الاقترابِ منه والإحسانِ إليه ورعايةِ مصالحهِ وتربيته.

فمع **الوصية الحاديةِ والخمسين لرسولِ الله ﷺ ألا وهي: وصيتُهُ ﷺ لأمته بالرحمة باليتيم.**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجُلٌ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَدْنِ الْيَتِيمَ إِلَيْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ**»(١).

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٨٧)، وعبدُ بن حُميد (١٤٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٥)].

وصيةٌ عظيمة أرشد فيها الرسول ﷺ إلى الدواء الشافي لعلاج قسوةِ القلب فقال: «**ارْحَمِ الْيَتِيمَ ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ**»(١).

فحثَّ النبيُّ ﷺ في هذه الوصية على الرحمة باليتيم، وهو أرحمُ الناس باليتامى والمساكين والضعفاء.

**واليتيمُ شرعـًا**: هو الصغيرُ الذي ماتَ أبوه.

فهو بذلك فقدَ العطفَ والحنانَ والرحمةَ، فامسحْ رأسَه، اقتربْ منه، ابتسمْ له، طَيِّبْ خاطِرَه، أدْخِلْ على قلبه الفرحةَ والبهجةَ والسرورَ، فإنه فقد أباهُ الذي كان يمشي في حاجته، ويتعبُ لراحتِه، فإنه فَقَدَ أعظمَ مَنْ يُؤْثِرُه على نفسِه، فيجوعُ ليشبعَ، ويظمأُ ليروى، ويسهرُ لينامَ، ويَعرى ليُكسى، فَمنْ مثلُ الأب؟

ولذلك أمر الله ﷻ بإصلاح أحوال اليتامى والإحسانِ إليهم.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [النساء:٣٦].

بل جعلَ الإحسانَ إلى اليتامى من البِرِّ، ومن أحبِّ الأعمال التي يتقرّب بها

(١) **حسن**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤)، [«الصحيحة» (٨٥٣)].

الإنسان إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

ونبيُّنا الكريم الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

ويقول ﷺ عن نفسه: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١).

هو أرحمُ الناس باليتامى والمساكين.

ولذلك جاءت الأدلةُ من كتاب ربِّنا ومن سنةِ نبيِّنا ﷺ تُرَغِّبُ وتحثُّ على الرحمةِ باليتيم، والاهتمامِ به اهتماماً كبيراً لِيُعوضَّه ذلك عما فقد.

ويظهر ذلك مما يلي:

**أولاً: أمرَ الله ﷻ بإكرام اليتيم، والعطفِ عليه، ونهى عن إهانته، والإساءة إليه، والغلظةِ عليه.**

فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضُّحى].

---

(١) **صحيح**: رواه الدارمي (١٥)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٣٩)، [«الصحيحة» (٤٩٠)].

بل حثَّ ربُّنا جل وعلا على إطعامِ اليتيم، ومَدَحَ المُطعمين له، ووعدهم بالجنّة، والنجاةِ من العذابِ.

فقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

وشدَّدَ الله ﷻ في النهي عن الإساءة لليتيم أو إهانته فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون].

وقال تعالى متوعِّداً هؤلاء: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

وحثَّ النبيُّ ﷺ على إكرامِ اليتيمِ وإطعامِه، ومَسْحِ رأسه وجَعَلَ ذلك سبباً للين القلوب القاسية.

قال ﷺ: «**فَأَدْنِ الْيَتِيمَ إِلَيْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ**»[1].

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٨٧)، وعبد بن حميد (١٤٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٥)].

وقال النبيُّ ﷺ للسائبِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه: «**يَا سَائِبُ! انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ، أَقْرِ الضَّيْفَ، وَأَكْرِمِ الْيَتِيمَ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ**»(١).

ولذلك كان عَبْدُ اللهِ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إلا وعلى خِوَانِه -وهو ما يوضَعُ عليه الطعام- يتيم(٢).

وقال ﷺ في الوصية التي معنا للرجلِ الذي اشتكى قسوةَ قلبه: «**أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، وتُدْرِكَ حاجتَك؟ ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ**»(٣).

**ثانياً: أمر ربُّنا جل وعلا بالمحافظةِ على أموالِ اليتيمِ، وحَذَّر من أكلِ مالِ اليتيم والاعتداء عليه:**

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٩٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٠) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وضعّفه [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «**الأدب المفرد**» (١٣٦).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٨٧)، وعبد بن حميد (١٤٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٥)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤)﴾ [الإسراء].

وحَفظَ اللهُ تعالى أموالَ اليتامى فأرسَلَ الخِضرَ وموسى عليهما السلام لبناءِ الجدار حِفظًا لكنز اليتيمين.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)﴾ [النساء].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)﴾ [النساء]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ -أي اليتيم- فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ

يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٢٠].

فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ(١).

وحَذَّرَ النبيُّ ﷺ من أكلِ مالِ اليتيم والاعتداءِ عليه، وجَعَلَه من الموبقات، فقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» -أي المهلِكات- قالوا : يارسول الله ما هنَّ؟ فذكر منها «**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**»(٢).

وعدَّ النبيُّ ﷺ أكلَ مال اليتيم من الكبائر:

فقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا الْكَبَائِرَ السَّبْعَ: الشركُ بالله، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**»(٣).

وقال ﷺ لأبي ذرٍّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»(٤).

وعن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء:٦] قال: إن كان غنياً فلا يَحِلُّ له أن يأكُلَ من مال اليتيم شيئاً، وإن كان فقيراً فليستقرضْ منه، فإذا وَجَدَ مَيْسَرَةً فليُعطِهِ ما استقْرَضَ منه فذلك

(١) **حسن:** رواه أبو داود (٢٨٧١)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٤٩٥)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٣) **حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (٥٦٣٦)، [«الصحيحة» (٢٢٤٤)].

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (١٨٢٦).

أكلُهُ بالمعروف[1].

وكان عمرُ بنُ الخطاب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يقول: (إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ الله تعالى بمنزلة وليّ الْيَتِيمِ: إِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ وَإِنِ افْتَقَرتُ أَكَلَتُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِذَا أَيْسَرْتُ قضيت)[2].

**ثالثاً: حثُّ النبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على مَنحِ اليتيمِ ميراثَه بخلافِ ما كان سائداً في الجاهلية:**

عن جابرِ بن عبد الله رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا قال: (جَاءَتِ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْ سَعْدٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدٍ قُتِلَ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ جَمِيعَ مَا تَرَكَ أَبُوهُمَا، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُنْكَحُ إِلَّا عَلَى مَالِهَا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّى أُنْزِلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَخَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ: «**أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ ثُلُثَيْ مَالِهِ، وَأَعْطِ امْرَأَتَهُ الثُّمُنَ، وَخُذْ أَنْتَ مَا بَقِيَ**»)[3].

فَلْيحذرِ الذين يَحرمونَ اليتامى من الميراثِ، ويأكلونَ أموالَهم ظُلماً وعدواناً فالله عَزَّوَجَلَّ توَعَّدهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء].

ورسولُنا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحذرُ من الاعتداء على حق الضعيفين فقال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ**

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٤).

(٢) **صحيح لغيره:** رواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٧٨٨)، وابن أبي شيبة (٣٣٥٨٥)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٧، ٥٧٥).

(٣) **حسن:** رواه أبو داود (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٢١٩٩)].

**حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»**(1).

فَلْيَحذرِ الذين يأكلونَ حقَّ اليتامى، وحقَّ البنات من الميراث، ويتعَدَّون حدودَ الله.

فإن الله ﷻ أنزلَ على رسولِه ﷺ آيةَ الميراث، وأعطى كلَّ ذي حقٍ حقّه، ثم قال بعدها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

**رابعاً: وحضَّ ربُّنا جلَّ وعلا والرسولُ ﷺ على كفالة اليتيم والرفق به:**

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا**»(2).

---

(1) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩١٠٤)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«الصحيحة» (١٠١٥)].

(2) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٠٤).

قال ابن بَطَّالٍ: (حقٌ على كلِّ مؤمنٍ يسمع هذا الحديثِ أن يرغبَ في العملِ به ليكونَ في الجنّة رفيقًا للنبي عليه السلام ولجماعة النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ولا منزلةَ عند اللهِ في الآخرةِ أفضلُ من مرافقةِ الأنبياءِ)[1].

والنفقةُ على اليتيم القريب أعظمُ أجراً من غيره، وهو الذي يكون قريباً له كجَدِّه وأمِّه وجدَّته وأخيه وأخته وعمِّه وعمتِه وخالِه وخالتِه، وغيرِهم من أقاربه.

قال ﷺ: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**»[2] -ومعنى قوله-: «**لِغَيْرِهِ**»يكون أجنبياً.

ولما قال النبيُّ ﷺ للنساء: «**تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**».

سألت زينبُ -امرأةُ عبدِ الله بنِ مسعود- النبيَّ ﷺ بواسطةِ بلالٍ رضي الله عنه: أَيُجْزِئُ عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟

فقال النبيُّ ﷺ: «**نَعَمْ! يَكُونُ لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»[3].

وقالت أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِيَ أَجْرٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى بَنِي أَبِي سَلَمَةَ، إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فَقَالَ: «**أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ، فَلَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ**»)[4].

وقال داودُ عليه السلام: (كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ)[5].

---

(١) «شرح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢١٧).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) واللفظ للبخاري.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٦٧)، ومسلم (١٠٠١).

(٥) **صحيح:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٨).

وكافلُ اليتيم: (هو القائمُ بأمرِه المربي له، وإذا كان اليتيمُ شرعـًا هو الصغير الذي فقدَ أباه، فإن كفالةَ اليتيم حينئذ تكونُ بالقيام بأمرِ الطفلِ الصغير، ورعايةِ مصالِحه، وتربيته، والإحسان إليه، حتى يبلغَ مبلغَ الرجالِ إن كان ذكراً، أو تزويجها إن كانت بنتـًا)[1].

فأبشر يا كافلَ اليتيم بصحبةِ النبيِّ ﷺ في الجنة.

أبشر يا كافلَ اليتيم برقّةِ قلبِك وقضاءِ حاجتك.

أبشر يا كافل اليتيم فإنّ الجزاء من جنس العمل.

والله ﷻ يقـــــول: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء].

ونقولُ لليتيم اصبِرْ على فقدانِ الأبِ، وتذكّرْ رسولَ اللهِ ﷺ، الذي ولد يتيمـًا، وتربّى يتيمـًا؛ فقد تُوفي والدهُ قبل أن يولَد، ونشأ في كفالة جَدِّه عبد المطلب يلقى من الرعاية والعناية ما يُعوِّضُه عن فقد أبيه، وكان يُجلِسُهُ معه على الفراش، ويمسحُ ظهرَهُ بيده، ويسُرُّهُ ما يراهُ يصنعُ، وبعد أن تُوفيَ عبدُ المطلب وعمرُهُ ﷺ قد جاوزَ الثماني سنوات بقليل انتقلت كفالتُه إلى عمِّه الشقيق أبي طالب، فنهضَ أبو طالبٍ بحقِّ ابنِ أخيه على أكملِ وجهٍ، وضَمَّهُ إلى ولده وقدَّمه عليهم، واختَصَّه بفضل احترام وتقدير، فكان لا ينامُ إلا وهو إلى جواره، ويصطحبُه معه ما أمكنته الصحبةُ، واللهُ ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضُّحى].

---

(١) «نضرة النعيم» (ص٤٢٤٨).

**خامساً: نهيُه ﷺ عن إجبار اليتيمة على الزواج مِمَّنْ لا ترضاه:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُسْتَأْمَرُ الْيَتِيمَةُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ سَكَتَتْ فَقَدْ أَذِنَتْ، وَإِنْ أَبَتْ لَمْ تُكْرَهْ**»(١).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تُسْتَأْمَرُ الْيَتِيمَةُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ سَكَتَتْ، فَهُوَ إِذْنُهَا، وَإِنْ أَبَتْ، فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا**»(٢).

**سادساً: ومن الحقوقِ التي منحها الله تعالى لليتيم أن قرر له رزقاً من التركة التي تُقَسَّمُ على الورثة وهو ليس منهم:**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء].

قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله في تفسير هذه الآية: (إن هذا الرزقَ هو حقٌّ واجبٌ ما طابت به الأنفسُ).

إنها إذاًالرعايةُ الإلهيةُ لليتيم، جعلَها الله تعالى له في الدنيا مُرَغِّباً في العمل بها قبل أن تُدَكَّ الأرضُ دكاً دكاً، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

فيا عبد الله! ارحم اليتيم فإن من يرحمِ اليتيمَ يرحمُه الله تعالى.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٩٤)، والدارمي (٢٢٣١)، وابن حبان (٤٠٨٥)، [«الصحيحة» (٦٥٦)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٢٠٩٣)، والترمذي (١١٠٩)، والنسائي (٣٢٧٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٩)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢٣٢)].

قـال ﷺ: «**الرحمـون يـرحمُهم الـرحمنُ تبـارك وتعـالى: ارحَمُـوا مَـنْ في الأرض يَرْحَمْكُم من في السماء**»[1].

(١) **حسن لغيره:** رواه أبو داود (٤٩٤٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٦)].

# فهرس موضوعات الجزء الأول

**الموضوع** **الصفحة**